دور الائمة
في
الحياة الاسلامية

شرح وتوسيع وتعليق على

بحث بنفس العنوان

للشهيد السعيد محمد باقر الصدر (قده)

تأليف

الشيخ محمد اليعقوبي

علّق عليه: السيد الشهيد محمدالصدر (قده)

تقريض سماحة آية الله الشهيد السيد محمد الصدر للكتاب

تقريض بقلم سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر الثاني (قده) كتبه عام ١٩٨٥ بعد اطلاعه على مسودة الكتاب: «الكتاب محاولة جيدة جداً لإبراز نقاط القوة الرئيسية المنظورة لتربية الائمة للناس وطرق سلوكهم معهم أصدقاء كانوا أو أعداء فجزاك الله خير جزاء المحسنين وأرجوه تبارك وتعالى أن يوفر لهذا الكتاب فرصة الانتشار إنه ولى التوفيق» .

وقال (قده) في بعض تعليقاته على هذا الكتاب: «إننا ينبغي أن نفهم من أهدافهم(ع) ما هو ناجح فعلاً وهذا البحث كفيل بإبراز جانب مهم من ذلك فعلاً» .

المقدمة والتعريف بالكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على محمد وآله الطيبين الطاهرين

كثيراً ما يسألني الفضلاء وطلبة العلم والشباب الواعون الرساليون: ما هو تكليفنا في هذه المرحلة؟ وهو سؤال نابع من الشعور بالمسؤولية تجاه الله تبارك وتعالى وتجاه الامة وقادتها وتجب إثارته ليس في هذه المرحلة بل في كل مرحلة لان التكاليف تتنوع بحسب اختلاف الظروف كما ان الاحكام تختلف بحسب تعدد الموضوعات.

والمصدر الذي ننطلق منه لمعرفة تكليفنا ودورنا وعملنا هي سيرة المعصومين(ع) لانهم إعدال الكتاب وصنوه كما نصّ عليه حديث الثقلين المشهور - وانهما لا يفترقان فاذا كان القرآن لم يفرّط في شيء(١) يمكن أن يستفاد منه في هداية الانسان وتكميله وإصلاحه وتهذيبه وسعادته واستقامه وأن فيه تبياناً لكل شيء(٢) كما نطقت به الآيات الشريفة - فإن سيرة أهل البيت(ع) كذلك لم تترك حالة أو واقعة أو موقفاً إلاّ وتجد في سيرتهم (ع) حكمه ورأي الشريعة فيه حتى ورد عنهم (ع): (ما من واقعة إلاّ ولله فيها حكم) ، وروى سماعة عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) في حديث قال: فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله (ص) الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال (ع): (نعم وما يحتاجون اليه الى يوم القيامة) فقلت: فضاع من ذلك شيء ؟ فقال (ع) : (لا هو عند أهله)(٣) . وهي تجسيد عملي على ارض الواقع لكلمات القرآن وما علينا الا استقراء مفردات حياتهم(ع) واستثارة كوامنها وتحليلها وفهم المغزى منها ونظم هذه المفردات في منهج متكامل نتعرف من خلاله على (دور الائمة في الحياة الاسلامية) ليكون نبراساً لنا في معرفة دورنا نحن بمقدار ما نفهم وما نستطيع تطبيقه من هذه الاعمال والفعاليات

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، الأنعام/ ٣٨.

(٢) إشارة لقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، النحل/٨٩.

(٣) أصول الكافي ، ج ١ ، ص ٥٧، باب البدع والرأي والمقاييس/ ج ١٣.

الضخمة التي كان يقوم بها الإمام(ع) فكان هذا الكتاب قراءة تحليلية لسيرة الائمة(ع) لاستنباط هذه الادوار المتنوعة لكنها تنتظم ضمن أهداف محددة وهي تلك التي سعى الائمة(ع) لتحقيقها وأنجز منها بمقدار ما وُفقّت الامة له وعليها أن تسعى لإتمام المسيرة حتى يقام العدل الكامل على يد بقية الله الاعظم (أرواحنا له الفداء). ولا أدعي أنني استقصيت ما كان يقوم به الائمة من نشاطات في حياة الأمة وأنى لمثلي ذلك وكل ما فعلت هو إثارة جملة من النقاط في هذه المسيرة الطويلة المباركة تكون كافية لايضاح معلم هذا المنهج التحليلي في دراسة سيرة المعصومين (ع) أمام المفكرين والباحثين والعلماء.

فهذا الكتاب مما لا يستغني عنه القادة ليعرفوا كيف يتصرفون في المواقف وما هي مسؤولياتهم ووظائفهم.

والمربّون ليتعلموا الطرق السليمة والمنافذ الدقيقة لتربية الامة وإصلاح مفاسدها.

والعلماء والفقهاء ليتعرفوا على الاتجاه العام لسيرة الائمة(ع) والمنهج الذي ساروا عليه والذوق الذي من خلاله نقيّم ما يمكن نسبته اليهم(ع) أو عدم نسبته.

والرساليون الذين حملوا همّ العمل الاسلامي المبارك وسعوا الى نشر راية الاسلام وبسط نظامه العادل السعيد في كل مكان.

وتعود أصل فكرة هذا الكتاب الى اربعين سنة حين أقامت جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف موسماً ثقافياً سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ وشارك فيه نخبة من العلماء والمفكرين والادباء من بلدان عربية واسلامية عديدة ونشرت نصوص بحوثهم وكلماتهم وقصائدهم في العدد الاخير من مجلة الايمان النجفية وهو العدد (٧ - ١٠) من السنة الثالثة.

وكان منها بحث قيم ومبتكر للسيد الشهيد الصدر الاول(قده) بعنوان (دور الائمة في الحياة الاسلامية) اعقبه نفس السيد (قده) بمحاضرات أخر تدور حول نفس المحور ونشرت لاحقاً في كتاب (حياة الائمة: تنوع أدوار وهدف مشترك).

وكان مما يسّر لي الله تبارك وتعالى الاطلاع عليه اثناء فترة اختفائي في البيت ابتداءً من عام ١٩٨٢ لامتناعي عن المشاركة في جيش صدام المجرم الذي كان يخوض حرباً عدوانية شرسة ضد جمهورية ايران الاسلامية هو البحث الاول واعجبت بفكرته وعزمت على توسيعه وذكر الشواهد عليه واستقراء المفردات التفصيلية في حياة الائمة (ع) لاستنباط المزيد من

الادوار المشتركة مستفيداً مما توفر لدي من ثقافة دينية وتاريخية ومن مصادر قليلة نسبياً حيث كان الكتاب الاسلامي يومئذ محظوراً ويتعرض لاقسى العقوبات من يضبط عنده، لذا فإنك تجد اكثر المصادر التي اعتمدتها هي مصادر ليست أصلية وإنما ناقلة (سيرة الائمة الاثني عشر، الشيعة والتشيع، منتهى الآمال، مجلة الايمان، ...) ولم تتيسر لي المصادر الأصلية (أصول الكافي، وسائل الشيعة، عيون الأخبار، ...).

والآن وبعد أن توفرت لم تسمح لي كثرة مشاغلي بتخريج الاحاديث والروايات من جديد وعلى أي حال فقد بدأت بالعمل حتى تجاوز البحث - الذي أصله عشر صفحات تقريباً - مائتي صفحة ومنّ الله تبارك وتعالى في عام ١٩٨٥ بالاتصال سراً عن طريق المكاتبة مع السيد الشهيد الصدر الثاني(قده) الذي كان هو الآخر في إقامة جبرية ومراقبة من قبل جلاوزة صدام.

فعرضت مجموع ما كتبت عليه(قده) فعلّق على أصل البحث وعلى تعليقاتي وإضافاتي مع تقريض من عدة اسطر للكتاب رفع من همّتي وأكّد لي ما أحسّه من أهمية الكتاب، وكان من تعليقاته(قده) أن تعدّد الهوامش وكثرتها وطولها يشوش القارئ ويشتت ذهنه فتارة يقرأ في المتن (والذي هو أصل بحث السيد الشهيد الاول(قده)) وأخرى في شرحه وبيانه في الهامش وأخرى في التعليقات وذكر الشواهد في هامش منفصل آخر، ورفعاً لهذا الاشكال ارتأيت أن يكون الكتاب بقسمين:

الاول: كتابة المتن أي أصل بحث السيد الشهيد الاول (قده) وتعليقات السيد الشهيد الصدر الثاني(قده) عليه وتخريج شواهده التاريخية.

وهذه التعليقات للسيد الشهيد الصدر الثاني (قده) على اختصارها إلاّ أنها تعبّر عن اراءه (قده) في جملة من القضايا المهمة التي قد يختلف فيها مع السيد الشهيد الاول (قده) ، وهو من تراثه الذي لم يُنشر ولم يتعرف عليه القرّاء فجاء هذا القسم مزيجاً من عطاء هذين المرجعين القائدين المصلحين المفكرين أقدّمه وفاءً لهما وإحياءً لذكرهما وتراثهما فإن بحثاً يكتبه مثل السيد الشهيد الصدر الاول (قده) ويعلّق عليه مثل السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) لحقيقٌ بأن يكون محلاً للنظر والتأمل والتدقيق.

وسنرمز لتعليقة السيد الشهيد الصدر الثاني بوضع الحرف (ص) في نهايتها تمييزاً لها عن بقية الهوامش والتعليقات.

الثاني: الكتاب الذي ألفته في ضوء النقاط التي أثارها السيد الشهيد الصدر الاول في بحثه.

ولم يتيسر لي تنفيذ هذه الصياغة وإعادتها لضخامة العمل وتكثّر المسؤوليات وشعوري بعدم الجدوى من إنجازه سريعاً مادام البطش الصدامي وإخراس الالسن والاقلام موجوداً، حتى بدأ الغزو الامريكي البريطاني على العراق لاسقاط صدام ليلة الخميس ١٦/ محرم/ ١٤٢٤ الموافق ٢٠٠٣/٣/٢٠ وبدأت بالقائه على شكل محاضرات يومية ثم اسبوعية على فضلاء وطلبة الحوزة العلمية الشريفة لتحقق الحاجة اليه وكان نبراساً للكثير من الحاجات والتحديات التي استجدّت وكانت هذه المحاضرات فرصة لاضافة معلومات مفيدة وقد كنت خلال المحاضرات أحاول تطبيق بعض الافكار على ما تعيشه الامة من تحديات وقضايا مما لم اذكره في هذا الكتاب للمحافظة على عموميته.

هذه هي قصة الكتاب وهذا هو هدفه وقد لمستُ بركاته في حياتي ولازلت انهل منه واجد في طيّاته ما احتاج لم تصبني حيرة او تردد برغم المشاكل المعقدة التي تعيشها الامة الاسلامية والاضطراب الذي يعاني منه العراق في ظل الاحتلال المتغطرس وتخريب المنافقين والمتحجرين والمرتزقة وحماقات الجهلة والنزقين.

ولا يمكن لقائد أن يتصدى لمسؤولية تربية الامة وإصلاحها دون أن يعيش في أجواء المدرسة القرآنية المباركة وينهل من سيرة المعصومين(ع) قادة الاسلام العظيم وقد توفرت لي هذه الفرص بمقدار ما يناسب عجزي وقصوري وتقصيري وقد شرحت هذه التجارب في كتب (شكوى القرآن) (الاسوة الحسنة في بناء الذات وإصلاح المجتمع) المستفادة من سيرة رسول الله(ص) و(دور الائمة في الحياة الاسلامية) الخاص بسيرة الائمة(ع) .

فالحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم ونسأله تعالى التوفيق لما وفق له محمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين.

محمد اليعقوبي

جمادى الاولى / ١٤٢٥

دور الائمة
في
الحياة الاسلامية

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على القادة من حملة الرسالة الكبرى محمد وآله الطاهرين الذين نعيش الآن ايها الاخوة الاعزاء يوماً من أيامهم العظيمة، يوم مولد القائد الثاني من قادة الرسالة[١] والامام الاول من أئمة أهل البيت علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام ومن الطبيعي لنا أن نلتقي مع هذا اليوم وغيره من أيامهم العظيمة التي تمرّ بنا في كل عام إلتقاءً روحياً مخلصاً والتقاءً فكرياً واعياً لكي نعمّق باستمرار صلتنا الروحية بقادة الرسالة ونبلور اكثر فاكثر مفهومنا ودراستنا عنهم، ونستمد دائماً من تاريخهم العظيم قبساً ينير لنا الطريق .

وعلى هذا الاساس أودّ أن أجعل من هذه المناسبة التي نعيشها الآن مجالاً للتعبير عن اتجاه معين من دراسة حياة الأئمة (ع) وسوف لن يتسع لحديثي معكم أيها الاخوة الاعزاء في حدود هذه الفرصة أن يرسم اتجاهاً معيناً ويجسده أو يخطط له وإنما كل ما أحاوله هو إثارة التفكير حول هذا الاتجاه، وإعطاء بعض الملامح العامة عن حياة الائمة(ع).

وهذا الاتجاه الذي اريد أن اتحدث اليكم عنه هو الاتجاه الذي يتناول كل إمام ويدرس تاريخه علىأساس النظرة الكلية بدلاً من النظرة التجزيئية أي ينظر إلى الائمة(ع) ككل مترابط ويدرس هذا الكل ويكتشف ملامحه العامة وأهدافه المشتركة ومزاجه الأصيل، ويفهم الترابط بين خطواته، وبالتالي الدور الذي مارسه الائمة(ع) جميعاً في الحياة الاسلامية ولا اريد بهذا أن نرفض دراسة الائمة على أساس النظرة التجزيئية أي دراسة كل إمام بصورة مستقلة بل إن هذه الدراسة التجزيئية نفسها ضرورة لانجاز دراسة شاملة للائمة ككل إذ لابد لنا أولاً: أن ندرس الأئمة(ع) بصورة مجزأة ونستوعب إلى اوسع مدى ممكن حياة كل إمام بكل ما تزخر به

---

(١) ألقي في ١٤ رجب ١٣٨٦ تزامناً مع ذكرى مولد أمير المؤمنين B في ١٣ رجب .

من ملامح وأهداف ونشاط[١] حتى نتمكن بعد هذا أن ندرسهم ككل ونستخلص الدور المشترك للائمة(ع) جميعاً وما يعبّر عنه من ملامح وأهداف وترابط.

وإذا قمنا بدراسة سيرة الائمة(ع) على هذين المستويين فسوف نواجه على المستوى الأول اختلافاً في الحالات وتبايناً في السلوك وتناقضاً من الناحية الشكلية[٢] بين الأدوار التي مارسها الائمة(ع) فالحسن(ع) هادن معاوية بينما حارب الحسين(ع) يزيداً حتى قتل، وحياة السجاد (ع) طافحة بالدعاء بينما كانت حياة الباقر (ع) طافحة بالحديث والفقه.

وأما على المستوى الثاني حين نحاول اكتشاف الخصائص العامة والدور المشترك للأئمة ككل فسوف تزول كل تلك الاختلافات والتناقضات لأنها تبدو على هذا المستوى مجرد تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة وإنما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مر بها كل إمام وعاشتها القضية الاسلامية والشيعية في عصره عن الظروف والملابسات التي مرت بالرسالة في عهد إمام آخر.

---

(١) وقد تكفلت كتب كثيرة بتاريخ الائمة Φ كـ (مناقب آل ابي طالب) لابن شهر اشوب و(منتهى الآمال) للشيخ عباس القمي و(سيرة الائمة الاثني عشر) للسيد هاشم معروف الحسني و(موسوعة حياة الائمة Φ) للعلامة الشيخ باقر شريف القرشي.

ونحن لكي لا نعدم فكرة مختصرة عن تاريخ كل إمام لتكون بها تمام الكتاب الحقنا فصلاً في (موجز تاريخ الائمة Φ).

(٢) هذه الناحية شكلية إلى درجة الضحالة لأنه حسب علمي وفهمي انه يعلم حتى العوام المتدينون بأن الائمة Φ كلهم سائرون في طاعة الله سبحانه وتعالى ومطبقون لتعاليمه ومنجزون ما فيه المصلحة لهم وللجميع لا يشك في ذلك الا منافق او معاند كل ما في الامر ان مصاديق وتطبيقات هذه الطاعة وهذه المصلحة اختلفت باختلاف الزمان وتقلّبات الدهور، الأمر الذي يسمى في علم الاصول باختلاف الموضوع وبتعبير آخر: أنه كلما اختلف المرض اختلف الدواء، والمقصود الاساسي دائماً شفاء المريض او التهوين من حالته مهما أمكن.

وليس الامر مقتصرا على الائمة Φ فحسب بل يعمّ كل الصالحين والقادة من اصحابهم ومن تأخرّ عنهم ممن يوثق به ويركن اليه، من اوضح مصاديق هذا الحقل مسلم بن عقيل والمختار والشيخ الطوسي والعلامة الحلي في اعمالهم الاجتماعية وغيرهم كثير فكيف بالمعصومين الذين لا ينكر فضلهم الا النواصب (ص).

ويمكننا عن طريق دراسة الائمة على اساس النظرة الكلية أن نخرج بنتائج اضخم[١] من مجموع النتائج التي تتمخض عنها الدراسات التجزيئية، لاننا سوف نكشف الترابط بين اعمالهم ، وسوف استخدم مثالاً بسيطاً لتوضيح الفكرة فنحن نقرأ في حياة أمير المؤمنين (ع) أنه جمع الصحابة في خلافته واستشهدهم على نصوص الامامة فشهد عدد كبير بالسماع من الرسول الاعظم(ص) [٢].

ونقرأ في حياة الامام الحسين (ع) أنه جمع في عرفة علىعهد معاوية من تبقى من الصحابة والمهاجرين وعدداً كبيراً من التابعين وطلب منهم أن يحدثوا بنصوص النبي (ص) في علي (ع) وأهل البيت (ع) [٣] .

---

(١) أي عند ضم النظرة الكلية إلى النظرة التجزيئية او بتعبير آخر عند النظر إلى التفاصيل كلها ككل مترابط واما في ظاهر العبارة من أن النظرة الكلية وحدها اضخم من مجموع نتائج التفاصيل فهذا لا ينبغي ان يكون مقصوداً على أي حال (ص).

(٢) لما بلغ امير المؤمنين (ع) إتهام الناس له في ما كان يرويه من تقديم رسول الله 3 إياه على غيره ونوزع في خلافته حضر في مجتمع الناس بالرحبة في الكوفة واستشهدهم بحديث الغدير رداً على من نازعه فيه وقد بلغ الاهتمام بهذه المناشدة إلى أن رواها غير يسير من التابعين وتظافرت إليها الأسانيد في كتب العلماء ونختار هنا رواية الاصبغ بن نابته ، قال: نشد عليّ الناس في الرحبة من سمع النبي 3 يوم غدير خم ما قال الا قام ولا يقوم الا من سمع رسول الله 3 يقول، فقام بضعة عشر رجلاً (وبالجمع بين الروايات يصبح العدد بضعة وعشرين فيهم ابو ايوب الانصاري وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وابو الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وابو سعيد الخدري وسهل بن سعد وعدي بن حاتم الطائي والنعمان بن عجلان وابو فضالة الانصاري وابو قدامة الانصاري وحبشي بن جنادة السلولي وثابت بن وديعة الانصاري) فقالوا: نشهد انا سمعنا رسول الله 3 يقول: الا من كنتُ مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحبّ من أحبّه وابغض من أبغضه وأعن من أعانه (تجد المصادر من كتب العامة في كتاب الغدير للاميني ١/ ١٦٦ ـ ١٨٦).

(٣) لما كان قبل موت معاوية بسنتين (توفي معاوية سنة ٦٠ للهجرة) حجّ الحسين بن علي (ص) وعبد الله بن جعفر وعبد الله بن عباس معه وقد جمع الحسين بن علي (ص) بني هاشم رجالهم ونسائهم ومواليهم وشيعتهم من حج منهم ومن لم يحج من الانصار ممن يعرفونه وأهل بيته ثم لم يدع أحداً من اصحابرسول الله 3 ومن ابنائهم والتابعين ومن الانصار المعروفين بالصلاح والنسك الا جمعهم فاجتمع عليه بمنى اكثر من الف رجل والحسين (ع) في سرداقه فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اما بعد فان الطاغية (يعني معاوية) قد صنع بنا وبشيعتنا ما قد علمتم ورأيتم وشهدتم وبلغكم وإني اريد أن أسألكم عن أشياءفإن

ونقرأ في حياة الامام الباقر (ع) أنه قام بنفس العملية واستشهد التابعين وتابعي التابعين[١]

.

وحين ندرس الائمة (ع) ككل ونربط بين هذه النشاطات بعضها ببعض ونلاحظ أن العمليات الثلاث وُزّعت على ثلاثة أجيال نجد انفسنا أمام تخطيط مترابط يكمل بعضه بعضاً يستهدف

صدقت فصدقوني وان كذبت فكذبوني اسمعوا مقالتي واكتموا قولي ثم ارجعوا إلى أمصاركم وقبائلكم من أمنتموهم ووثقتم به فادعوهم إلى ما تعلمون فإني أخاف أن يندرس هذا الحق ويذهب والله متم نوره ولو كره المشركون فما ترك الحسين (ع) شيئاً انزل الله فيهم من القرآن الا قاله وفسّره ولا شيئاً قاله الرسول 3 في أبيه وأمه وأهل بيته الا رواه وكل ذلك يقول الصحابة: (اللهم نعم قد سمعناه وشهدناه) ويقول التابعون: (اللهم قد حدثنا من نصدّقه ونأتمنه) حتى لم يترك شيئاً الا قاله ثم قال: (أنشدكم بالله الا رجعتم وحدثتم به‌من تثقون به) ثم نزل وتفرق الناس على ذلك. (الاحتجاج: ٢ / ١٨).

(١) حيث جاء في حديث له (ع) مع عبد الله بن نافع الازرق وهو من الخوارج كان يرى ان علياً قتل اهل النهروان وهو ظالم لهم – والعياذ بالله – ويبرأ من علي وولده: [... وبعث أبو جعفر (ع) إلى جميع أبناء المهاجرين والانصار فجمعهم ثم خرج الى الناس في ثوبين ممغرين، وأقبل على الناس كأنه فلقة قمر فقال: الحمد لله محيث الحيث ومكيف الكيف ومؤين الأين، الحمد لله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الارض – الى آخر الآية – وأشهد أن لا إله إلا الله (وحده لا شريك له) وأشهد أن محمداً 3 عبده ورسوله اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم.

الحمد لله الذي أكرمنا بنبوته واختصنا بولايته ، يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار من كانت عنده منقبة في علي بن أبي طالب (ع) فليقم وليتحدث، قال: فقام الناس فسردوا تلك المناقب – فقال عبد الله: أنا أروي لهذه المناقب من هؤلاء وإنما أحدث علي Δ الكفر بعد تحكيمه الحكمين – حتى انتهوا في المناقب‌إلى حديث خيبر «لاعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فقال أبو جعفر (ع): ما تقول في هذا الحديث، فقال: هو حق لا شك فيه ولكن أحدث الكفر بعد، فقال له أبو جعفر (ع): ثكلتك أمك اخبرني عن الله عز وجل أحب علي بن أبي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟، قال ابن نافع: أعد عليّ فقال له أبو جعفر (ع): أخبرني عن‌الله جلّ ذكره أحب علي بن ابي طالب يوم أحبه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان ام لم يعلم؟ قال: إن قلت لا، كفرت قال: فقال: قد علم، قال: فاحبه الله على أن يعمل بطاعته ، فقال له أبو جعفر (ع) : فقم مخصوماً، فقام وهو يقول: حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، الله أعلم حيث يجعل رسالته[(روضة الكافي، حديث ٥٤٨ صفحة ٢٨٨].

الحفاظ على تواتر النصوص عبر أجيال عديدة حتى تصبح في مستوى من الوضوح والاشتهار بتحدى كل مؤامرات الاخفاء والتحريف.

وفي عقيدتي ان وجود دور مشترك مارسه الائمة (ع) ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرراته التاريخية وإنما هو مما تفرضه العقيدة نفسها وفكرة الإمامة بالذات[١] لأن الامامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها فيجب ان تنعكس انعكاساً واحداً في سلوك الأئمة وادوارهم مهما اختلفت الوانها الظاهرية بسبب الظروف والملابسات، ويجب ان يشكّل الأئمة (ع) مجموعهم وحدة مترابطة الاجزاء يواصل كل جزء في تلك الوحدة دور الجزء الآخر ويكمله.

---

(١) راجع: كتب العقائد وعلم الكلام لتتعرف على ذلك.

ما هو الدور المشترك للائمة (ع)

وقد لا نحتاج إلى شيء من البحث لكي نتفق بسرعة على نوعية الدور المشترك الذي اسند إلى الائمة في تخطيط الرسالة فكلنا نعلم ان الرسالة الاسلامية بوصفها رسالة عقائدية قد خططت[١] لحماية نفسها من الانحراف وضمان نجاح التجربة خلال تطبيقها على مرّ الزمن فأوكلت امر قيادة التجربة وتنويرها تشريعياً، وتوجيهها سياسياً إلى الائمة (ع) بوصفهم الاشخاص العقائديين الذين بلغوا في مستواهم العقائدي إلى درجة العصمة عن الانحراف والزلل والخطأ.

غير اننا حين نحاول أن نحدّد الدور المشترك الذي مارسه الائمة(ع) ككل في تاريخهم المرير لا نعني هذا الدور القيادي في تزعّم التجربة الاسلامية لأننا نعلم جميعاً أن الاحداث المؤلمة التي وقعت بعد وفاة الرائد الاعظم(ص) قد اقصت الائمة(ع) عن دورهم في تزعم التجربة، وسلمت مقاليد الرسالة ومسؤولية تطبيقها إلى أشخاص آخرين انحرف معهم التطبيق[٢] واشتد الانحراف على مرّ الزمن[٣].

---

(١) هذا المجاز على انه مستعمل في كثير من الاتجاهات الا انني لا استسيغه فإن الذي يخطط ليس هي الرسالة الاسلامية وإنما هو واضعها وقائدها، والبديل بنحو (الحقيقة) موجود عندنا وقريب فلماذا هذا المجاز، وأتذكر هنا – بلا تشبيه – كلمة لكارل ماركس يقول فيها: إن الشيوعية تعلم انها هي الحل!! إن هذا مما لا معنى له بالضرورة. (ص).

(٢) راجع: محاضرة (ماذا خسرت الائمة حينما ولّت امرها من لا يستحق) التي القيت بمناسبة ذكرى رزية يوم الخميس في صفر ١٤٢٣ ونشرت في كتاب (من وحي الغدير).

(٣) حتى وصلت إلى مثل:

١- يزيد بن معاوية الذي وصفه الحسين(ع) بقوله: »إن يزيد بن معاوية رجل فاسق شارب للخمر قاتل للنفس المحترمة معلن بالفسق والفجور«، وقال فيه عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة – وهو يخاطب الثوار في واقعة الحرة بالمدينة - : (يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد بن معاوية حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الامهات والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويترك الصلاة

وإنما نريد بالدور المشترك في تاريخ الأئمة(ع) الموقف العام الذي وقفوه في خضمّ الاحداث والمشاكل التي اكتنفت الرسالة بعد انحراف التجربة واقصائهم عن مركزهم القيادي في زعامتها.

وهنا نجد تصوراً شائعاً لدى الكثير من الناس الذين اعتادوا أن يفكروا في الائمة(ع) بوصفهم اناساً مظلومين فحسب قد اقصواعن مركزالقيادة وأقرّت الأمة هذاالاقصاء وذاقوا بسبب ذلك الوان الاضطهاد والحرمان، فهؤلاء الناس يعتقدون ان دور الائمة(ع) في حياتهم كان دوراً سلبياً على الاغلب[١] نتيجة لاقصائهم عن مجال الحكم فحالهم حال من يملك داراً

والصيام والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت في الله فيه بلاءً حسناً)، وكان يزيد ينبئ عن عدم إيمانه بالنبي3 بتمثله بأبيات ابن الزبعرى:

لعبت هاشم بالملك فلا خبرٌ جاء ولا وحي نزل

٢- الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي استفتح بالقرآن فخرجت له الآية: (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فجعل المصحف غرضاً لسهامه وقال مستهزءاً:

تهددني بجبار عنيد فها أنذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

ونظير هؤلاء كثير (سيرة الائمة الاثنى عشر: ٢ / ٤١) وكتاب (صراع الامويين مع الاسلام: د. نوري جعفر).

(١) هذا التعبير يحتوي على اعتراف ضمني ان هناك اعتقاداً سائداً بأن فعاليات المعصومينΦ لا تقتصر على السلبية وإن كانت قليلة . وهذا الاعتقاد سائد فعلاً الا ان الخلاف بين وجدان الافراد وهو مقدار نسبة السلبية إلى نسبة التحرك، ولكنه على أي حال خلاف مستأنف ولا حاجة اليه، أولا: لوجود الروايات والنقول التاريخية التي تعرفنا مجموع نشاطهم بكل وجوهه . ثانياً: انهم على أي حال في طاعة الله وفي مصلحة المجتمع (إمامان إن قاما وإن قعدا) ، وثالثاً: انهم اعلم بتكليفهم بصفتهم معصومين ومسددين من قبل الله سبحانه وتعالى وهذا امر مفهوم لدى عموم الشيعة أيضاً. (ص)

فتغصب منه وينقطع أمله[١] في امكان استرجاعها وهذا التفكير بالرغم من انه خاطئ يعتبر خطراً من الناحية العملية لأنه يحبب إلى الانسان السلبية[٢] والانكماش والابتعاد عن مشاكل الامة ومجالات قيادتها ولهذا اعتقد ان من ضروراتنا الاسلامية الراهنة ان نثبت خطأ ذلك التفكير وندرس حياة الائمة(ع) على أساس نظرة كلية لنتبين ايجابيتهم الرسالية على طول الخط ودورهم المشترك الفعال في حماية الرسالة والعقيدة.

---

(١) هذا لا معنى له جداً بعد الايمان بالمهدي (عجل الله فرجه) فإن من يراجع كلمات الائمة من آبائه Φ يجد أنهم كانوا مقتنعين على ان العمل الاساسي في إصلاح العالم موكول إليه وغير موكول اليهم (ودولتنا في آخر الدهر تظهر) فهم مقتنعون بأن عملهم ينبغي أن يقتصر على القليل ولا يشمل الكثير وانهم إن قاموا به فقد أدّوا مسؤوليتهم امام الله سبحانه وتعالى وليس من مسؤوليتهم إصلاح العالم بل ولا اقامة دولة عادلة علجة هذا وينبغي أن نلاحظ بهذا الصدد أننا ينبغي ان نفهم أهداف الائمة Φ بالشكل الذي تكون ناجحة ومنجزة وليست فاشلة اذ لا معنى لفشل المعصوم أيّاً كان وخاصة بعد الايمان بأنهم مسدّدون من قبل الله سبحانه وتعالى.

فمثلاً، لو كان هدف الحسين(ع) قتل يزيد او الاجهاز على الحكم الاموي أو إقامة دولة عادلة برناسته ونحو ذلك لكان فاشلاً تماماً وحاشاه كما انه لو كان هدف الامام الصادق(ع) او غيره مثل ذلك او ما يقرب منه لكانت النتيجة هي النتيجة ، إذن نفهم من عدم حصولهم على الدولة عدم استهدافهم لها لحكمة ومصلحة هم أعلم بها قد يبدو لنا بعضها وقد يخفى بعضها (وما اوتيتم من العلم الا قليلاً) واكرر انه ينتج من هذا اننا ينبغي أن نفهم من اهدافهم ما هو ناجح فعلاً وهذا البحث كفيل بابراز جانب مهم من ذلك فعلاً. (ص)

(٢) هذه السلبية لهاعدة مبررات بعضها خاطئ وبعضها صحيح لا حاجة إلى تفصيلها ، ولكن من زاوية مراد السيد Π فإن أفضل موقف يمكن اتخاذه بهذا الصدد هو جعل الائمة Φ أسوة حسنة فننكمش حيث انكمشوا وننطلق حيث انطلقوا على ان نحسن بجدارة وعمق فهم هذه الجهة وأنهم متى انكمشوا ومتى انطلقوا وأولى اشكال الفهم الظاهري لذلك هو دراسة الاحوال التي اوجبت ردود افعالهم تلك حتى تكون تلك الاحوال بمثابة (موضوعات) نطبق فيها نفس الاحكام في مثيلاتها في المجتمعات المتأخرة عن عصر الاسلام كمجتمعنا وغيره (ص).

إن الائمة(ع) بالرغم من التآمر على اقصائهم عن مجال الحكم كانوا يتحملون باستمرار مسؤوليتهم في الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الاسلامية[١] وتحصينها ضد التردي[٢] إلى هاوية الانحراف والانسلاخ من مبادئها وقيمها إنسلاخاً تاماً فكلما كان الانحراف يطغى ويشتد وينذر بخطر التردي إلى الهاوية كان الائمة(ع) يتخذون التدابير اللازمة ضد ذلك وكلما وقعت التجربة الاسلامية[٣] او العقيدة في محنة او مشكلة وعجزت الزعامات المنحرفة[٤] عن علاجها بحكم عدم كفاءتها بادر الائمة(ع) إلى تقديم الحل ووقاية الامة من الاخطار التي كانت تهددها.

وبكلمة مختصرة كان الائمة(ع) يحافظون على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الاسلامي ويحرصون على ان لا يهبط إلى درجة تشكل خطراً ماحقاً[٥] وهذا يعني ممارستهم جميعاً دوراً ايجابياً فعالاً في حماية العقيدة وتبنّي مصالح الرسالة والامة.

---

(١) أشرنا في بعض ما كتبناه إليكم أن هذا الاستعمال مهما مالت اليه النفس فهو غير مستساغ ابداً، لأن كون الاسلام اطروحة او تجربة او مجرد اختيار ليس خطأ فحسب بل هو ورطة امام الله سبحانه وتعالى وليس كالقوانين الوضعية التي يدخلها الخطأ والصواب فتحتاج إلى تجربة ثم تحتاج إلى تبديل وهكذا (ص).

(٢) هنا ايضاً مجاز مهم في التعبير لابد من الالتفات اليه وهو يتضح من حقيقة ان الرسالة الاسلامية لا يمكن ان تنحرف ولا معنى له والحافظ لها – بكل صورة – هو الله سبحانه وتعالى وليس غيره (إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) وإنما الذي ينحرف هو الناس ومع انحرافهم يبقى العلم في صدور اهله محفوظاً لا تزلزله العواصف (ص).

(٣) بغض النظر عن لفظ التجربة الذي ناقشناه فإن ما يقع في محنة ومشكلة ليس هي (العقيدة والرسالة وإنما هم افراد المجتمع فإن الدنيا دار بلاء (ليحيى من حيّ عن بيّنة ويهلك من هلك عن بينة) وهذا هو ديدنها أو قل: انه الاصلح للتربية والتمحيص في الحكمة الالهية (ص).

(٤) هذا يمثل القليل من المشاكل جداً تلك التي تحرص الخلافة نفسها على تذليلها كمشكلة النقد التي مشى فيها الامام الباقر (ع) وغيرها مما هو مذكور في المتن ولم تكن مثل هذه المشكلات لتواجه المجتمع كله ولعل الاعم الاغلب منه لا يشعرون بها على الاطلاق وإنما هي مشكلات للخلافة وبطانتها خاصة، والغرض أن المشكلات الرئيسية التي كانت تعم المجتمع إنما هي ناشئة من الزعامات نفسها، وهي الكثيرة والعميقة مثل هذه الاعمال تسندها الدولة لا انها تحاول كشفها وإزالتها.

(٥) هذا التأكيد موجود في عبارة المتن مكرراً.
مع ان الأفضل الالتفات إلى نقطتين:

تمثل الدور الايجابي في إيقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف كما عبّر عنه الامام علي(ع) حين صعد عمر على المنبر وتساءل عن ردالفعل لو صرف الناس عمّا يعرفون الى ما ينكرون فردّ عليه الامام(ع) بكل وضوح وصراحة إذن لقومنّاك بسيوفنا[١] .

وتمثل في تعرية الزعامة المنحرفة اذا اصبحت تشكل خطراً ماحقاً[٢]

أولاً: إن الائمةΦ بحسب ظاهرهم كانوا عاجزين عن حل كل مشكلات المجتمع وتطبيق العدل الكامل فيه ولم يكن تكليفهم الشرعي الإلهي هو ذلك.

ثانياً: انه مع العجز عن العدل الكامل يجب استغلال ما تبقى من الامكانات المتوفرة فاللازم بذل أقصى الامكان لتوفير اقصى (الحلول) للمشكلات وهذا يختلف بين مشكلة ومشكلة او مجتمع ومجتمع، إذن فليس الامر مقتصراً على درء الخطر الكامل بل لو امكن العمل اكثر من ذلك لكان واجباً، الا انه قد يكون حيناً وقد لا يكون حيناً آخر.

بل ينبغي الالتفات إلى ان الخطرالكامل المتصور كاجتثاث كل المجتمع المسلم او ارتدادهم جميعاً او نحو ذلك ليس مما يكفله الائمةΦ ولعلهم بحسب الظاهر غير قادرين على ذلك بل يكفله الله سبحانه وتعالى فانه ايضا مشمول لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)، وإنما يبقى على الائمةΦ المشكلات الاقل اهمية –مهما كانت مهمة– ونلاحظ انه ليس في الامثلة ولم ينقل التاريخ اصلاً وجود خطر داهم على مستوى واسع جداً (ص).

(١) أخرج الموفق الخوارزمي بسنده الى محمد بن خالد الضبّي ، قال: خطبهم عمر بن الخطاب فقال: لو صرفناكم عما تعرفون الى ما تنكرون ما كنتم صانعين؟ قال: فسكتوا، فقال: ذلك ثلاثاً، فقام عليΔ فقال: يا أمير المؤمنين إذن كنّا نستتيبك ، فإن تبت قبلناك، قال: فإن لم أتب! قال: إذن نضرب الذي فيه عيناك فقال: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من إذا اعوججنا أقام أودنا. (المناقب، الموفق الخوارزمي، ٩٨ - ٩٩) ونحن نقلناه بواسطة تحقيق عبد الرزاق الصالحي لكتاب الشهيد الصدر (أهل البيت: تنوّع أدوار ووحدة هدف).

ويوجد نظير هذا الموقف مع عثمان في كتاب الانساب للبلاذري ٥/ ٤٨ وقد ذكرناه في القسم الثاني من الكتاب.

(٢) لم يكن الخطر ماحقاً حقيقة وكان يكفي لدرء الخطر الاكتفاء ببعض الاعمال دون الشهادة كذهابه (ع) إلى اليمن او غير ذلك ولو لفترة محدودة، بل حتى لو هادن الحسين(ع) يزيداً لم يكن عمله سيئاً وليس بأكبر من فعل أبيه وأخيه(ص) غير ان الحكمة اقتضت مقتله لوجوه اكثرها مخفي عن العامة نذكر منها اثنين:

ولو عن طريق الاصطدام المسلح بها والشهادة في سبيل كشف(١) زيفها وشل تخطيطها كما صنع الامام الحسين(ع) مع يزيد.

وتمثّل في مجابهة المشاكل التي تهدد كرامة الدولة الاسلامية وتعجز الزعامات المنحرفة عن حلها كما في المشلكة التي أحدثها كتاب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان إذ عجز عبد الملك عن الجواب على كتاب في مستواه فملأ الامام زين العابدين(ع) هذا الفارغ وأجاب بالشكل الذي يحفظ للدولة كرامتها وللأمة الاسلاميــة هيبتهـــا(٢).

وتمثّل في إنقاذ الدولة الاسلامية من تحدٍ كافر يهددّ سيادتها كالتحد ي الذي واجهه هشام من الروم بشأن النقد وعجز عن الرد عليه وكان الامام الباقر(ع) في مستوى الرد على هذا التحدي فخطط للاستقلال النقدي(٣).

الاول: مصلحة تعود اليه وإلى الشهداء بين يديه حيث ان له درجات مذخورة عند الله سبحانه وتعالى لا يمكن ان ينالها الا بالشهادة وما ارخص الشهادة في نظره لنيل تلك الدرجات وهذا نفسه منطبق ايضاً على اصحابه لينالوا ثوابهم كلّ حسب درجته وإخلاصه.

الثاني: مصلحة تعود إلى المجتمع وهو اعطاء الامثولة الكاملة للتضحية في سبيل الله إذ بعد ذلك ماذا يبقى في يد أي إنسان الا ما هو دون تضحيته سلام الله عليه سواء على مستوى الجهاد الاصغر او الجهاد الاكبر او أي عمل من الاعمال الخاصة والعامة وإن الانسان ليغضي حياءً حين يقارن عمله بعمل الحسين(ع) ويجد البون لا زال شاسعاً إلى غير ذلك (ص).

(١) بحسب فهمي القاصر إن هذا لو كان هو المطلوب للحسين(ع) لكفى فيه إيجاد الجماعة الواسعة المخلصة مع إعلان الأمر بالخطب والكتب ونحوها ولا اعتقد ان يزيد كان متخفياً بشرب الخمر والملاهي الامرالذي يجعله مكشوف الزيف سلفاً ولا اقل من سهولة كشفه (ص).

(٢) مناقب آل ابي طالب ٣/ ٢٩٩ وفي الكشكول للبهائي (١/ ١١١) انها حصلت مع محمد بن الحنفية وهو غير صحيح فربما كان الامر بواسطته مع ابن اخيه الامام السجاد(ع) . ويبدو أن أصله كتاب (تاريخ دمشق) لابن عساكر ٥٤ / ٣٣٢ وهو ممن لا يعتقد بالامامة الحقّة.

(٣) اختلفت المصادر في سبب المشلكة فقيل انها حدثت بسبب صراع عنيف اواشتباكات بين الدولتين الرومانية والإسلامية وقيل : كان سببها إبطال والي مصر عبد العزيز بن مروان بأمر أخيه عبد الملك الطراز الروماني للقراطيس التي كانت تصنع في مصر وطرازها (أب وابن وروح القدس) وأمر أن تطرز بسورة من القرآن وكتب إلى عماله في الآفاق بذلك وأياً كان السبب فقد غضب ملك الروم ، وهدّد عبد الملك بأن ينقش على

الدراهم والدنانير الرومية - التي كانت متداولة في البلاد الاسلامية - شتم النبي 2 أو أن يقطعها أصلاً عن الدولة الاسلامية مما يسبّب شلل الاقتصاد ودارحوار بين الطرفين لم ينتهِ إلى حل للازمة فضاق الأمر بعبد الملك واستشار اعوانه وذوي الرأي من المسلمين بيد انهم لم يصلوا إلى حل فقال له روح بن زنباغ: إنك لتعرف المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال له: ويحك من هو؟ فقال: عليك بالباقر من أهل بيت النبي 2 ، فقال: صدقت ولكنه ارتج عليّ الرأي فيه فكتب إلى عامله بالمدينة: أن أشخص اليّ محمد بن علي بن الحسين B مكرماً ومتّعه بمائة الف درهم لجهازه وبثلاثمائة الف درهم لنفقته، ولما عرض الوالي على الامام الباقر B كتاب عبد الملك شدّ الرحال واتجه إلى الشام ودخل على عبد الملك فاستقبله ورحّب بقدومه وقصّ عليه ما جرى له مع ملك الروم وطلب منه المخرج من تلك الأزمة التي استعصى عليه حلها، فقال له الباقر B: لا يعظم هذا عليك الرأي أن تدعو في هذه الساعة من يضرب لك الدراهم والدنانير وتنقش على احد وجهيها سورة التوحيد وعلى الوجه الثاني محمد رسول الله وتجعل في مدارها: ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة التي يضرب فيها، ثم وضع له الإمام(ع) خطة يستحيل معها التلاعب في وزن الدراهم والدنانير، او تزويرها كما بيّن له الكيفية التي يتم صنع النقود الاسلامية فيها بصنع صنجات من قوارير لا تستحيل إلى زيادة ولا نقصان على حد تعبير الراوي، ثم قال الامام(ع): فاذا فعلت ذلك فأمر بوجوب التعامل بها وتهدد المخالفين بأشد العقوبات وبذلك تقطع الطريق على ملك الروم وتستغني عن نقوده، فاستحسن ذلك عبد الملك وباشر فعلاً بما أشار اليه الامام الباقر(ع) وخلال اشهر قليلات انتهى كل شيء وأصدر أوامره إلى جميع الاقطار الاسلامية بالتعامل بالدنانير والدراهم الاسلامية وإبطال ما كان متعارفاً من استعمال الطروز الرومانية، وقيل لملك الروم: افعل ما كنت تهدد به ملك العرب، فقال: إنما أردت أن اغيظه بما كتبت اليه لأني كنت قادراً عليه والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا افعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الاسلام (سيرة الائمة الاثنى عشر: ٢/ ٢٢١ ــ ٢٢٥).

أقول: المنقول تاريخياً ان هذه الحادثة وقعت في خلافة عبد الملك بن مروان بالضبط سنة ست وسبعين للهجرة وهذا يعني انها كانت في امامة السجاد(ع) فيكون الامام الباقر(ع) (صامتاً) يومئذٍ فلا يتصدى للشؤون العامة وبحسب ذوق العامة فان الامام الباقر(ع) لم يبلغ العشرين من عمره حينذاك ولم يكن صيته ذائعاً في بلاد الاسلام فنسبة الامر اليه بعيد ويمكن حل الاشكال بوجهين:

١- أن يقال ان الحادثة وقعت في إمامة الباقر(ع) بعد استشهاد أبيه السجاد(ع) سنةَ ٩٥ هـ وهو ما اختاره السيد Π في المتن فقال: انها في زمن هشام لكن هذا مخالف للنقول التاريخية.

٢- أن يقال انها وقعت في تاريخها المذكور وقد استشير الامام السجاد(ع) فعلاً الا انه ارسل ولده الباقر(ع) إلى الشام لحل القضية لبيان فضل ولده وعلو شأنه وهذا مسلك معروف للائمة Φ كما كان يحيل امير المؤمنين(ع) بعض الاسئلة لولده الحسن(ع) وإحالة الصادق(ع) إلى ولده الكاظم(ع) (الكافي، كتاب الحجة، أبواب النصوص على الامامة)، (الاحتجاج)، لتعريف الامة بقادتها الحقيقيين لكن التوجيه مخالف

وتمثل الدور الايجابي للائمة(ع) ايضاً في تلك المعارضة القوية العميقة التي كان الائمة(ع) يواجهون بها الزعامات المنحرفة بارادة صلبة لا تلين وقوة نفسية صامدة لا تتزعزع فإن هذه المعارضة بالرغم من انها اتخذت مظهر السلبية والمقاطعة في اكثر الاحايين بدلاً من مظهر الاصطدام الايجابي[١] والمقابلة المسلحة غير ان المعارضة حتى بصيغتها السلبية كانت عملاً

لظاهر الرواية، ولعل تحريفاً أو سهواً حصل في تفاصيلها وقد علق السيد الشهيد الصدر الثاني Π على التوجيه الثاني بقوله: (وهذا وإن كان محتملاً بالتأمل العقلي الا انه غير عملي لأن كل إمام فهو صامت في حياة الامام السابق عليه وليس له أي إتصال (حقيقي) في المجتمع، والذي استشمّه من كلامك ان مصادر اهل السنة التاريخية تعيّن الخليفة بعبد الملك والمصادر الشيعية تعيّن الامام الباقر(ع) وقد حدث مثل هذا الخلط في اكثر من مورد مع شديد الاسف وهو من خلط الرواة وتداخل الاحداث والشخصيات في اذهانهم . هذا ولعل التدقيق في التاريخ اكثر يحلّ هذه المشكلة او اننا نبقى مع (احد الامويين) و(احد المعصومين Φ) في قيامهما بهذا العمل مردداً بين شخصين في كليهما ولا بأس به إذ أن المنقبة الحقيقية لأهل البيت Φ تبقى على ما هي عليه وكان في بالي ان هذا العمل منسوب الى الامام السجاد(ع) في بعض المصادر ان لم تخن الذاكرة فإن ثبت فهو حلّ للمشكلة).

أقول: نسبت الرواية الى الامام السجاد Δ في البداية والنهاية ٩/ ١٢٢ وان السيد الشهيد Π في تقديمه للصحيفة السجادية لم يذكر هشاماً بل ذلك عبد الملك بن مروان، ذكر ذلك عبد الرزاق الصالحي في تخريجه لاحاديث كتاب (أهل البيت Φ: تنوع أدوار ووحدة هدف).

(١) يجب التفريق هنا بين مفهومين او تعريفين لمصطلحي الايجاب والسلب حول مسألةٍ ما:

الاول: تعريف الرد الايجابي بانه العمل المنسجم مع سلوك الخصم لكنه عكس الاتجاه على ان تتضح الضدّية بينهما وتعريف السلب بالعمل غيرالمشابه فلو ضرب شخص آخر فان ردّ الآخر بالضرب فهو رد إيجابي وان ردّ بالكلام او التظلّم عند الآخرين فهوسلبي.

الثاني: ان الايجاب هو إبداء الرأي حول المسألة بأية صورة كانت ولو بالاشارة او حتى السكوت اذا فهم منه رأي ما والسلب بعدم ابداء أي رأي والوقوف مكتوف اليدين من تلك القضية.

والسيد Π أشار إلى المفهومين معاً في المتن ففي الفقرة التي سبقت الهامش سار على التعريف الاول لذا لم يرد الا في القتال والمواجهة المسحلة عملاً إيجابياً ولكنه في الفقرة التي تلي الهامش التزم بالتعريف الثاني.

وفي الحقيقة فان المعنى الحركي للمصطلحين هو الثاني وعلى هذا فإن الائمة Φ كان موقفهم إيجابياً دائماً اذ لا يمكنهم – بحكم منصبهم الالهي في قيادة الامة – الوقوف على هامش الحياة وعدم اعطاء رأيهم

إيجابياً عظيماً في حماية الاسلام والحفاظ على مُثله وقيمه لأن انحراف الزعامات القائمة كان يعكس الوجه المشوه للرسالة فكان لابد للقادة من أهل البيت(ع) ان يعكسوا الوجه النقي المشرق لها وان يؤكدوا عملياً باستمرار المفارقات بين الرسالة والحكم الواقع وهكذا خرج الاسلام على مستوى النظرية سليماً من الانحراف وإن تشوهت معالم التطبيق[١].

ويمكنني أن اذكر بهذا الصدد مثالاً جزئياً ولكنه يعبّر عن مدى الجهود التي بذلها الائمة(ع) في سبيل الحصول على هذا المكسب.

تصوّروا أيها الاخوة ان الامام موسى بن جعفرH سجين قد هدّ السجن صحته وأذاب جسمه حتى اصبح حين يسجد لربه كالثوب المطروح على الارض[٢] فيدخل عليه رسول الزعامة المنحرفة فيقول: (إن الخليفة يعتـــــذر[٣] اليك ويأمر باطلاق سراحك على ان تزوره وتعتذر

في ما يجري هنا وهناك ولو لبعض الخاصة عندما تقتضي التقية عدم إظهار رأيهم في الاحداث بصورة علنية.

(١) راجع: محاضرة (ماذا خسرت الامة حينما ولّت امرها من لا يستحق) المنشورة في كتاب (من وحي الغدير) .

(٢) في هذه العبارة إشارة إلى رواية معينة يحسن تخريجها، ولكنها على أي حال ليست صريحة في كون وضع الامام(ع) ناتجاً من هزاله (ص).

أقول:نص الرواية عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال: بعثني هارون الى ابي الحسنΔ برسالة وهو في حبس السندي بن شاهك فدخلت عليه وهو يصلي فهبته أن أجلس فوقفت متكئاً على سيفي، فكانΔ إذا صلى ركعتين وسلّم واصل بركعتين أخريين، فلما طال وقوفي وخفتُ أن يسأل عني هارون وحانت منه تسليمة فشرعت في الكلام فأمسك، وقد كان قال لي هارون: لا تقل بعثني امير المؤمنين اليك، ولكن قل: بعثني أخوك ، وهو يقرؤك السلام ويقول لك: إنه بلغني عنك اشياء اقلقتني فأقدمتك إليَّ ، وفحصت عن ذلك فوجدتك تقي الجيب، بريئاً من العيب، مكذوباً عليك فيما رميتَ به، ففكرت بين اصرافك الى منزلك ومقامك ببابي ، فوجدت مقامك ببابي ابرأ لصدري ، وأكذب لقول المسرعين فيك، ولكل إنسان غذاء قد اغتذاه وألفت عليه طبيعته، ولعلك اغتذيتَ بالمدينة أغذية لا تجد من يصنعها لك ها هنا، وقد أمرتُ الفضل أن يقيم لك من ذلك ما شئت، فمرهُ بما أحببت وانبسط فيما تريده، قال: فجعل Δ الجواب في كلمتين من غير أن يلتفت اليَّ، فقال: لا حاضرٌ مالي فينفعني ولم أخْلق مسؤولاً ، الله اكبر. ودخل في الصلاة (الدر النظيم، الباب التاسع، فصل في ذكر بعض اخبار موسىΔ «مخطوطة» عن الانوار البهية للشيخ عباس القمي / ١٩٤)، وقد نقلناها بواسطة تخريج عبد الرزاق الصالحي لاحاديث البحث.

(٣) يبدو أن هذا نقل بالمعنى وابراز له باللغة الحديثة، ويحسن من المؤلف تخريجه ومراجعته (ص).

اليه وتطلب رضاه[١] فيشمخ الامام(ع) وهو يجيب بالنفي بكل صراحة ويتحمل مرارة الكأس إلى الثمالة لا لشيء الا لكي لا يحقق للزعامة المنحرفة هدفها في ان يبارك الامام خطها[٢] فتنعكس معالم التشويه من التطبيق المنحرف على الرسالة نفسها.

وتمثّل الدور الايجابي للأئمة(ع) في تموين الامة العقائدية بشخصيتها الرسالية والفكرية ومقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة وضربها في بدايات تكونها من ناحية أخرى، وللإمام من علمه المحيط المستوعب ما يجعله قادراً على الاحساس بهذه البدايات وتقدير أهميتها ومضاعفاتها والتخطيط للقضاء عليها، وقد نفسّر على هذا الضوء اهتمام الامام العسكري(ع) وهو في المدينة بمشروع كتاب يصنّفه الكندي و هو في العراق حول متناقضات القرآن اذ اتصل به عن طريق بعض المنتسبين إلى مدرسته وأحبط المحاولة وأقنع مدرسة الكندي بأنها على خطأ[٣].

أقول: تجد نص الرواية في مناقب آل ابي طالب ٣ / ٤٠٩ وهي منقولة بالمعنى.

(١) مناقب آل ابي طالب ٣ / ٤٠٩. وتجد في كتاب: منتهى الامال للشيخ عباس القمي (٢٩٣/٢) وصف حال الامام في سجنه بهذا الوصف.

(٢) بل يكفي صدور الاعتذار من الامام(ع) مع العلم انه لم يعمل الا بالحق – مهما كان مصداقه – فانه تنازل للمظلوم الى الظالم وفيه مضاعفات على شيعته غير خفية وليس فيها مصلحة (ص).

(٣) نصّ الرواية من مناقب آل ابي طالب ج ٣ ص ٥٢٥ – ٥٢٦ ، وفيها ان يعقوب بن اسحاق الكندي كان فيلسوف العراق في زمانه أخذ في تأليف تناقض القرآن وشغل نفسه بذلك وتفرد به في منزله وان بعض تلامذته دخل يوماً على الامام الحسن العسكري Δ فقال له ابو محمد Δ: أما فيكم رجل رشيد يردع استاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن ؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا او في غيره. فقال له ابو محمد: أتؤدي اليه ما ألقيه اليك؟ قال: نعم، قال: فصر اليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فاذا وقعت الأنسة في ذلك فقل قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت اليها؟ فإنه سيقول لك إنه من الجائز، لانه رجل يفهم اذا سمع، فاذا أوجب ذلك ، فقل له: فما يدريك لعله قد اراد غير الذي ذهبتَ انت اليه فيكون واضعاً لغير معانيه. فصار الرجل الى الكندي وتلطف الى أن ألقى عليه هذه المسألة ، فقال له: أعد عليَّ ، فأعاد عليه فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملاً في اللغة وسانغاً في النظر ، فقال: اقسمت عليك الا اخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فاوردته عليك، فقال: كلا، ما مثلك من اهتدى الى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرّفني من اين لك هذا؟ فقال: امرني به ابو

الايجابية تتكشف

في علاقات الائمة(ع) بالامة

وفي الواقع ان حياة الائمة(ع) زاخرة بالشواهد على إيجابية الدورالمشترك الذي كانوا يمارسونه فمن ذلك علاقات الائمة(ع) بالامة والزعامة الجماهيرية الواسعة النطاق التي كان إمام أهل البيت(ع) يتمتع بها على طول الخط، فإن هذه الزعامة لم يكن إمام أهل البيت(ع) يحصل عليها صدفة او على اساس مجرد الانتساب الى الرسول(ص) - والمنتسبون الى الرسول(ص) كثر - بل على اساس[١] العطاء والدور الايجابي الذي يمارسه الامام(ع) في الامة بالرغم من اقصائه عن مركز الحكم فإن الامة لا تمنح على الاغلب الزعامة مجاناً ولا يمتلك الفرد قيادتها ويحتل قلوبها بدون عطاء سخي منه تستشعره الامة في مختلف مجالاتها وتستفيد منه في حل مشكلاتها والحفاظ على رسالتها.

محمد، فقال: الآن جئتَ به وما كان ليخرج مثل هذا الا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه.

وقد علق السيد الثاني Π هنا بقوله: (يحسن بالمؤلف تخريج هذه الرواية وذكر مصدرها وهناك بعض المؤلفات التي تتعرض للكندي وتقول: ان هذه الرواية ضعيفة فهم يجلون الكندي ويستعظمونه عن ان يتورط في مثل ذلك والله العالم).

(١) ليست زعامة الائمة E - كما يبدو من العبارة - ناشئة من خدماتهم للأمة ولا من عطاء الامة لهم بل هي ناشئة بالتعيين من قيام الحجة الواضحة على الناس عن النبي2 بوجوب موالاتهم واطاعتهم، واما عطائهم للامة وعطاء الامة لهم فهو متفرع عن ذلك، ومن العجيب صدور مثل هذه الكلمات من مثل السيد العظيم (ص).

إن تلك الزعامة الواسعة التي كانت نتيجة لايجابية الائمة(ع) في الحياة الاسلامية هي التي جعلت من علي(ع) المثل الاعلى للثوار الذين قضوا على عثمان[١] وهي التي كانت تتمثل في مختلف العلاقات التي عاشها الائمة(ع) مع الامة.

---

(١) راجع للتفاصيل: الغدير ٩ / ١٦٨ وراجع: شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، كانت الجماهير المحاصرة لعثمان تهتف باسم عليΔ ولما فشلت المساعي الاصلاحية التي بذلها الامامΔ للتوفيق بين عثمان والناقمين على سياسته بعد اشتداد مطالبتهم بتنازله عن الخلافة طلب من امير المؤمنينΔ ان يغادر المدينة الى ارضه الزراعية وامتثل الامام Δ وبعد ان قتل عثمان زحفت الجماهير بقضّها وقضيضها الى عليΔ لتبايعه، وهنا نترك الكلام لهΔ ليصف بيعته، ففي البداية جعل نصب عيني الامة حراجة الموقف وأن الحق صعب مستصعب لا يحتمله الا من اخلص نفسه للايمان وقال لهم: (دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت ، والمحجة قد تنكّرت واعلموا اني إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم، ولم اصغي الى قول القائل، وعتب العاتب وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلّي اسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم ، وأنا لكم وزيراً، خير لكم مني أميراً) (نهج البلاغة، الخطبة ٩٠ ص ١٧٢) فأصرّوا عليه وقبلوا شرطه فأقيمت الحجة عليه وعليهم فمدّ يده للبيعة (فما راعني الا والناس كعرف الضبع الى ينثالون علي من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان، وشق عطفاي ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم) (الخطبة ٣ ص ٣٧) (فأقبلتم الي إقبال العود المطافيل على اولادها ، تقولون: البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها) (الخطبة ١٣٥ ص ٢٤٣) ووالله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني اليها وحملتموني عليها) (الخطبة ٢٠٣ ص ٣٩١) (وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء ووطئ الضعيف ، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير، وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب) (الخطبة ٢٢٦ ص ٤٢٤) ولما بلغ خبر بيعة الامام عليΔ الى الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان امين سرّ رسول الله2 في المنافقين وكان والياً على المدائن فرح وقال: الآن عاد الحق الى اهله ثم صفق باحدى يديه على الاخرى أخذاً للبيعة على نفسه خشية الوفاة وكان مريضاً قبل ان يرى علياً واوصى ولديه بمرافقة امير المؤمنينΔ ففعلا ذلك واستشهدا في صفين.

هكذا كانت بيعة عليΔ ولا نعلم احداً بويع بيعة شعبية وان الجماهير فرضت عليه تولي امورها كعليΔ ولا سرّت الناس بوصول احدٍ الى سدة الحكم كيوم بيعة عليΔ وقد قال يزيد بن ارقم ، من قبل عندما حدث نزاع بين المهاجرين والانصار عقب رحلة النبي2 حول من يكون خليفته، قال - وهو يخاطب المهاجرين - : وأن ممن ذكرتم - وقد افتخروا بفضلائهم وذوي السابقة فيهم - من لو وليها لم يختلف عليه اثنان يعني علياً (السقيفة والخلافة).

انظروا إلى الامام موسى بن جعفرH كيف يقول لهارون الرشيد[١] انت إمام الأجسام وأنا إمام[٢] القلوب، انظروا إلى عبد الله بن الحسن حين اراد لابنـــــه محمد[١]، كيف يقول للإمام

---

(١) يوجد اعتراض على تداول مثل هذه الالقاب فما امر هارون برشيد ولا هو ولا اسلافه بخلفاء ولا يبرّر ان هذا قد جرى على السن الناس وأقلام الكتاب والمؤرخين فنقلوها جرياً معهم لأن هذا الاستعمال ناشئ من الغفلة وعدم الالتفات وقد علق السيد الشهيد الصدر الثانيΠ على اطلاق لفظ الخلافة على هؤلاء فقال: (هذا التعبير يعطي الاعتراف بأن الخلافة حقيقية، واروي لكم ان كاتب هذه السطور في بعض سنين الغفلة كان يعبّر عن الخلافة الاولى بالراشدة باعتبار ان هذا مجرد اصطلاح على فترة من فترات تاريخ الاسلام الى ان تم تنبيهه على ذلك من قبل بعض الاشخاص جزاه الله خيراً، فالاولى تبديل اللفظ الى قولنا: السلطات او الجهات الحاكمة او نحو ذلك مما لا يعطي باليد اعترافاً) وإن كان عذر الجميع انهم يستعملونه للاشارة الى من يعرفه الناس بهذا العنوان لا للاعتراف بانطباقه على المعنون وكذا في مناداة الائمةE لبعضهم أمير المؤمنين.

(٢) روي ان المأمون العباسي قال لملأه: أتدرون من علمني التشيع؟ فقال القوم: لا والله ما نعلم ذلك، قال: علمنيه الرشيد (أبوه)! قيل له: وكيف ذلك والرشيد يقتل اهل البيت E؟ قال: كان الرشيد يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم ثم قال: انه دخل موسى بن جعفر(ص) على الرشيد يوماً فقام اليه فاستقبله وأجلسه في الصدر وقعد بين يديه وجرى بينهما اشياء ، ثم قال موسى بن جعفر(ص) لأبي: يا امير المؤمنين ان الله عز وجل قد فرض على الولاة عهده: أن ينعشوا فقراء هذه الامة ويقضوا عن الغارمين، ويؤدوا عن المثقل ويكسوا العاري ويحسنوا الى العاني وأنت اولى من يفعل ذلك فقال: أفعل يا ابا الحسن ثم قام فقام الرشيد لقيامه وقبّل بين عينيه ووجهه، ثم اقبل عليّ وعلى الامين والمؤتمن فقال: يا عبد الله ويا محمد ويا ابراهيم امشوا بين يدي ابن عمكم وسيّدكم ، خذوا بركابه، وسّووا عليه ثيابه، وشيّعوه الى منزله، فأقبل اليّ ابو الحسن موسى بن جعفر(ص) سراً بيني وبينه فبشرني بالخلافة، وقال لي: (اذا ملكت هذا الامر فأحسن الى ولدي) ثم انصرفنا وكنت اجرأ ولد ابي عليه، فلما خلا المجلس قلت: يا امير المؤمنين ومن هذا الرجل الذي اعظمته وأجللته وقمت من مجلسك اليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه ثم امرتنا باخذ الركاب له؟ قال: إمام الناس، وحجة الله على خلقه وخليفته على عباده ، فقلت : يا امير المؤمنين اوليست هذه الصفات كلها لك وفيك؟ فقال: انا إمام الجماعة في الظاهر بالغلبة والقهر، وموسى بن جعفرΔ إمام حق، والله يا بني انه لأحقّ بمقام رسول الله2 مني ومن الخلق جميعاً، ووالله لو نازعتني في هذا الامر لأخذت الذي فيه عينك لأن الملك عقيم (الاحتجاج ٢/ ١٦٥ - ١٦٦) وفي الحقيقة فإن هارون ليس وحده الذي اعترف بهذا الحق والامامة الشرعية لهمE بل إن كل منصف مع نفسه قال ذلك، هذا عمر بن الخطاب يقول لابن عباس: والله إن صاحبك - يعني: علياً - لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله2 ، الا اننا خفناه على اثنين خفناه لحداثة سنه ولحبه لبني عبد المطلب،وقال في مناسبة اخرى لابن عباس: ما أرى يا بن عباس صاحبك

الا مظلوماً فقال له ابن عباس: فاردد عليه ظلامته يا امير المؤمنين فوقف عمر قليلاً ثم قال: ما اظنّ ان القوم منعهم عنه الا انه كان شاباً حدثاً، وفي مناسبة ثالثة قال : ان قريشاً كرهت ان تجمع الخلافة والنبوة في بيت واحد، وقال: اما والله لو وليها علي بن ابي طالبΔ لحملهم على المحجة البيضاء والحق الواضح (سيرة الائمة الاثنى عشر ١ / ٣٦٨ - ٣٧١).

وقال المنصور: (ان جعفر بن محمد(ص) من السابقين بالخيرات ومن الذين اصطفاهم الله من عباده وأورثهم الكتاب)، وكان يردد: (اعلموا انه ليس من اهل بيت نبوة الا وفيهم محدث وأن جعفر بن محمد(ص) محدثاً اليوم)(١) وسأل رجل ابا حنيفة عن رجل وقف ماله للإمام فأي إمام يستحق ذلك؟ فقال المستحق: جعفر بن محمد الصادقΔ لأنه هو إمام الحق (٢). وقال عمر بن عبيد: هلك من سلبكم تراثكم ونازعكم في الفضل والعلم (٣). (١ - ٣ : سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ / ٢٤٨ - ٢٥٠).

وقال المأمون لما عاتبه اقرباؤه على تسليمه ولاية العهد للإمام الرضاΔ: (فما بايعتُ له الا مستبصراً في أمره عالماً بأنه لم يبقَ أحد على ظهرها ابين فضلاً ولا أظهر عفة ولا اورع زهداً في الدنيا ولا أطلق نفساً ولا ارضى للخاصة والعامة، ولا أشدّ في ذات الله منهُ) (سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ / ٣٥٨).

وقال المأمون لمن اعترض على تزويجه الامام الجوادΔ بنته ام الفضل والامام يومذاك دون العشر من السنين: (ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم وإنه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسنّته وأحكامه وأقرأ لكتاب الله منكم وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وخاصه وعامه وتنزيله وتأويله) (نفس المصدر ٢ / ٤٤٨)، وقال عمر بن عبد العزيز - وقد قام من مجلسه علي بن الحسينΔ - لمن حوله: من أشرف الناس؟ فقالت حاشيته من المتملقين والمرتزقة: أنتم يا امير المؤمنين فقال: كلا أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحب الناس أن يكونوا منه ولم يحب أن يكون من احد (نفس المصدر ٢ / ١٥٤).

أقول: ظاهر الرواية وقوعها في زمن ملك عمر بن عبد العزيز وقد تولاه سنة ٩٩ هـ بينما كانت وفاة الامام السجادΔ سنة ٩٥ هـ فالظاهر وقوع اشتباه فيها ويمكن ان يكون الصحيح انها وقعت في ايام ولاية عمر على المدينة عاملاً لملك الشام.

(١) لما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك واختلف اهل الشام فيما بينهم وضرب بعضهم بعضاً وتشتت امرهم اجتمع جماعة من بني هاشم بالابواء بين مكة والمدينة فيهم ابو العباس السفاح وابو جعفر المنصور وعبد الله المحض بن الحسن المثنى وولداه محمد النفس الزكية وابراهيم وغيرهم من علويين وعباسيين واتفقوا على ان يختاروا أحداً ليبايعوه فوقع الاختيار على محمد وبايعه الحاضرون فأرسلوا الى الامام الصادقΔ من يخبره ولما جاء الامام Δ التفت الى عبد الله وقال ان هذا الامر لا يتم لولدك وإنه لمقتول وسيليها صاحب القباء الاصفر - ابو جعفر المنصور - وولده من بعده حتى تتلاعب به النساء والصبيان (مقاتل الطالبيين/

الصادق(ع): (واعلم فديتك إنك اذا اجبتني لم يتخلف عني احد من اصحابك ولم يختلف عليّ اثنان من قريش ولا غيرهم)[١].

ولاحظوا مدى ثقة الامة بقيادة ائمة اهل البيت(ع) نتيجة لما يعيشونه من دور ايجابي في حماية الرسالة ومصالح الامة[٢].

---

١٤٠) وتكرر نفس الموقف مع الامام الصادقΔ عندما جاءه رؤوساء المعتزلة يعرضون عليه فكرتهم بمبايعة محمد والدعوة له فقالوا: وقد احببنا ان نعرض ذلك عليك فانه لا غنى بنا عن مثلك لفضلك ولكثرة شيعتك (الاحتجاج ٢ / ١١٨).

(١) اصول الكافي، كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في امر الامامة ح ١٧.

(٢) لم تكن مكانتهم في القلوب ناشئة من الاعتقاد بولايتهم وزعامتهم للأمة فان الكثير ممن لا يعتقدون بذلك كانوا يشعرون بنفس المشاعر فما هي الا الهيبة التي يضفيها الله تبارك وتعالى عليهم استجابة لدعوة جدهم ابراهيم الخليلΔ: ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾(ابراهيم: من الآية٣٧). فتفعل في القلوب والنفوس ما لا تستطيع كل قوى الارض فعله وقد أحسّ كل من قابلهمE بهيبة تسري في عروقه وتأخذ بمجامع قلبه، جاء قتادة بن دعامة البصري إلى الامام الباقرΔ يريد ان يسأله فالتفت الامامΔ اليه وقال: من انت؟ فقال: انا قتادة بن دعامة البصري، فقال له ابو جعفرΔ: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم ، فقال: ويحك يا قتادة إن الله عز وجل خلق خلقاً فجعلهم حججاً على خلقه فهم أوتاد في ارضه قوام بأمره نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه اظلة عن يمين عرشه فسكت قتادة طويلاً ثم قال أصلحك الله والله لقد جلست بين يدي الفقهاء ومع ابن عباس فما اضطرب قلبي من احد منهم ما اضطرب منك، فقال له ابو جعفرΔ: اتدري أين انت؟ انت بين يدي بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له بالغدوّ والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكرالله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فانت ثم ونحن اولئك، فقال له قتادة: صدقت والله جعلني الله فداك ما هي بيوت حجارة ولا طين (سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ / ٢١٤) وأعدّ ابو حنيفة اربعين مسألة بأمر المنصور ليسأل الصادقΔ لعله يفشل في واحدة منها، يقول ابو حنيفة: وبعث إليّ فدخلت عليه وجعفر بن محمدΔ جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلتني من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور (سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ / ٢٤٧).

وقصد ابن أبي العوجاء - وهو من المنكرين لوجود الله تبارك وتعالى - الامام الصادقΔ لينـاظره لكنه وقف صامتاً فقال له الامام: ما يمنعك من الكلام فقال له: إجلالاً لك ومهابة منك ولا ينطق لساني بين يديك وإني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني من هيبة أحد منهم مثلما تداخلني من هيبتك يابن رسول الله2 (المصدر نفسه: ٢٤٨).

لاحظوا المناسبة الشهيرة التي انشد فيها الفرزدق قصيدته في الامام زين العابدين(ع) كيف ان هيبة الحكم وجلال السلطان لم يستطع أن يشقّ لهشام طريقاً لاستلام الحجر بين الجموع المحتشدة من افراد الامة في موسم الحج بينما استطاعت زعامة أهل البيت(ع) ان تكهرب تلك الجماهير في لحظة وهي تحسّ بمقدم[١] الامام القائد وتشق الطريق بين يديه نحو الحجر[٢] .

وهكذا اقترنت جماهيرية أهل البيتE بالمهابة والإجلال، يقول عدي بن حاتم الطائي -وينسب القول إلى ضرار بن ضمرة الكناني- وهو يصف علياًΔ بعد استشهاده بين يدي معاوية: (كان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويدنينا إذا أتيناه ونحن مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه لهيبته ولا نرفع اعيننا إليه لعظمته) (مراقد المعارف ٢ / ٦٦).

ومن مظاهر هيبة الائمةE التي تأخذ بمجامع القلوب وما يحدث للملوك بعد تغيظهم وتوثّبهم لعمل الشرّ بالائمةE ثم بمجرد دخول الامامΔ على أحدهم ينقلبون على العكس (راجع ترجمة الامام الهاديΔ في المنقب ٣ / ٣٥٧ وسيرة الائمة الاثنى عشر).

(١) ما معنى ان الزعامة أحسّت بمقدم القائد وتشقّ له الطريق، إن هو الا مجاز أقول: انه لم يثبت ان الحجاج ساعتئذٍ كانوا كلهم شيعة بل لم يثبت ان أكثرهم شيعة وإنما هي هيبة الامام الموهوبة له من الله سبحانه وتعالى اخضعت له قلوب الاصدقاء والاعداء، ولعل كثيراً منهم فعلوا ذلك من دون أن يعرفوا شخصه أصلاً وليس للحب والولاء في ذلك دخلاً ملحوظاً، وهذا أوكد في كرامة الامام وعظمة تأثيره، وينبغي التفريق بين الهيبة وبين التكبّر طبعاً ولكن لا حاجة إلى ذكره في الكتاب على ما أعتقده (ص).

(٢) حجّ هشام بن عبد الملك الاموي فطاف حول البيت وحاول ان يلمس الحجر الاسود فلم يجد لذلك سبيلاً من كثرة الزحام فوضع له من كان معه كرسياً في ناحية من نواحي الحرم وجلس عليه ينتظر إلى الناس إذ أقبل الامام زين العابدينΔ وكان من احسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً - على حدّ تعبير الرواي - فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر انفرج له الناس عنه ووقفوا له إجلالاً وتعظيماً حتى اذا استلم الحجر وقبّله والناس وقوف ينظرون اليه وكأنما على رؤوسهم الطير فلما مضى عنه عادوا الى طوافهم، هذا وهشام بن عبد الملك ومن معه من أهل الشام يرون كل ذلك ونفس هشام يعبث بها الحقد والحسد أما من كان معه من وجوه أهل الشام فكانوا لا يعرفون الرجل الذي هابه الناس وافرجوا له عن الحجر، والأمير حاول هو وجنده أن يجدوا ممراً إلى الحجر فلم تجدهم المحاولة فالتفت أحدهم إلى هشام بن عبد الملك وسأله: من هذا الذي هابه الناس هذه المهابة فقال: لا اعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق الشاعر حاضراً فقال: انا أعرفه فقال الشامي: ومن هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق: هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبE وابن فاطمة بنت رسول الله2 ومضى على البديهة في وسط تلك الجموع المحتشدة يقول:

لاحظوا قصة الهجوم الشعبي الهائل الذي تعرض له قصر المأمون نتيجة لاغضابه الامام الرضا(ع) فلم يكن للمأمون مناص عن الالتجاء إلى الامام لحمايته من غضب الامة ، فقال له الامام(ع): (اتق الله في امة محمد وما ولأك من هذا الامر وخصّك به فإنك قد ضيّعت امور المسلمين وفوّضت ذلك إلى غيرك يحكم فيها بغير حكم الله عز وجل)[١].

إن كل هذه النماذج والمظاهر للزعامة الشعبية التي عاشها أئمة أهل البيت(ع) على طول الخط تبرهن على إيجابيتهم وشعور الامة بدورهم الفعال في حماية الرسالة.

هـذا الـذي تعـرف البطحـاء وطأتـه والبيـت يعرفـه والحـلّ والحـرمُ

إلى أخر القصيدة التي تتجاوز (٣٠) بيتاً (سيرة الائمة الاثنى عشر ٢ / ١٦١ - ١٦٢).

(١) مناقب آل ابي طالب ٣ / ٤٥٧.

الايجابية تتكشف في علاقة الائمة(ع) بالحكام

ويمكننا أن ننظر من زاوية جديدة لنصل إلى نفس النتيجة من زاوية علاقات الزعامات المنحرفة مع إمام أهل البيت(ع) على طول الخط فإن هذه العلاقات كانت تقوم على أساس الخوف الشديد من نشاط الائمة(ع) ودورهم في الحياة الاسلامية حتى يصل الخوف لدى الزعامات المنحرفة أحياناً إلى درجة الرعب وكان محصول ذلك باستمرار تطويق إمام الوقت[١] بحصارٍ شديد ووضع رقابة محكمة عليه ومحاولة فصله عن قواعده الشعبية ثم التآمر على حياته شهيداً بقصد التخلص من خطره، فهل كان من الصدفة أو مجرد تسلية أن تتخذ الزعامات المنحرفة كل هذه الاجراءات تجاه أئمة أهل البيت(ع) بالرغم من أنها تكلّفها ثمناً باهضاً من سمعتها وكرامتها أو كان ذلك نتيجة لشعور الحكام المنحرفين بخطورة الدور الايجابي الذي يمارسه أئمة اهل البيت(ع) وإلاّ فلماذا كل هذا القتل والتشريد والنفي والسجن.

---

(١) هذا ما حصل ابتداءً من الإمام الرضاΔ واتضح اكثر ابتداءً من الإمام الهادي Δ حين اشخص إلى سامراء ، ولم يحصل ذلك باستمرار كما تنصّ العبارة (ص).

هل كان الائمة يحاولون استلام الحكم

يبقى سؤال واحد قد يتبادر إلى الاذهان وهو ان ايجابية الائمة هل كانت تصل الى مستوى العمل لاستلام زمام الحكم من الزعامات المنحرفة او تقتصر على حماية الرسالة ومصالح الامة من التردي الى الهاوية وتفاقم الانحراف.

والجواب على هذا السؤال يحتاج الى توسع في الحديث يضيق عنه هذا المجال، غير ان الفكرة الاساسية في الجواب المستخلصة من نصوص وأحاديث عديدة: ان الائمة(ع) لم يكونوا يرون الظهور بالسيف والانتصار المسلّح آنياً كافياً لإقامة دعائم الحكم الصالح على يد الامام، إن إقامة هذا الحكم وترسيخه لا يتوقف في نظرهم على مجرد تهيئة حملة عسكرية بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالإمام وعصمته إيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة من مكاسب.

وكلكم تعلمون قصة ذلك الخراساني الذي جاء الى الامام الصادق(ع) يعرض عليه تبني حركة الثوار الخراسانيين، فأجل جوابه ثم أمره بدخول التنور فرفض، وجاء ابو بصير [١] فأمره بذلك فسارع إلى الامتثال، فالتفت الامام إلى الخراساني وسأله كم له من امثال ابي بصير وكان هذا هو الرد العملي من الامام على اقتراح الخراساني .

وعلى هذا الاساس[٢] تسلم امير المؤمنين(ع) زمام الحكم في وقت توفر فيه ذلك الجيش العقائدي الواعي متمثلاً في الصفوة من المهاجرين والانصار والتابعين من اصحابه رضي الله عنهم .

---

(١) ليس هو أبا بصير بل شخص آخر لا يحضرني مصدره فراجعه في إرشاد المفيد أو إعلام الورى للطبرسي او مناقب ابن شهر اشوب ونحوها من الكتب (ص).

أقول: كما نبّه اليه سيدنا الاستاذ Π فإن الشخص هو هارون المكي كما في منتهى الآمال ٢ / ٢٢٠.

(٢) هذا الاساس قريب من المصلحة الا انه ليس علة تامة بل - في رأي المجتمع يومئذٍ كان لانتهاء المبايعة مع المشايخ الثلاثة بموتهم دخلٌ في رجوعهم إلى الامام، إذ من الواضح انهم لم يرجعوا إليه بدلاً عنهم ولا حل حياتهم ، لانهم - اي افراد المجتمع - كانوا يشعرون بأهمية البيعة التي أعطوها.

رعاية الشيعة بوصفها الكتلة المؤمنة بالامام (ع)

عرفنا ان الدور المشترك الذي كان الائمة(ع) يمارسونه في الحياة الاسلامية هو دور الوقوف في وجه المزيد من الانحراف وإمساك المقياس عن التردي إلى الصفر والهبوط إلى الهاوية غير ان هذا في الحقيقة يعبّر عن بعض ملامح الدور المشترك وهناك جانب آخر في هذا الدور المشترك لم نشر اليه حتى الآن وهو جانب الاشراف المباشر على الشيعة بوصفهم الجماعة المرتبطة بالامام والتخطيط لسلوكها وحماية وجودها وتنمية وعيها وامدادها بكل الاساليب التي تساعد على صمودها وارتفاعها الى مستوى الحاجة الاسلامية الى جيش عقائدي وطليعة واعية.

ولدينا عدد كبير من الشواهد من حياة الائمة(ع) على انهم كانوا يباشرون نشاطاً واسعاً في مجال الاشراف على الكتلة المرتبطة بهم حتى ان الاشراف كان يصل احياناً الى درجة تنظيم اساليب لحل الخلافات الشخصية بين افراد الكتلة ورصد الاموال لها كما يحدث بذلك المعلّى بن خنيس[١] عن الامام الصادق(ع) .

وعلى هذا الاساس يمكننا ان نفهم عدداً من نصوص الائمة(ع) بوصفها تعليم اساليب للجماعة التي يشرفون على سلوكها وقد تختلف الاساليب باختلاف ظروف الشيعة والملابسات التي يمرّون بها.

أحسنّ ايها الاخوة ان ما قدّمته كافٍ لاثارة النقاط التي احببتُ إثارتها والتي يجب ان يرتكز عليها الاساس في دراساتنا للأئمة(ع) أرجو أن يكون هذا منطلقاً للباحثين في حياة أهل البيت(ع) .

إن الزهراءϑ قد حدت بهم للرجوع إلى الامام Δ في خطبتها في زمن الاول فاعتذروا بالبيعة وكان يمكنهم جعل الامام ثانياً بعد وفاة الاول ولكنهم بايعوا غيره ثم بايعوا غيره (ص).

(١) خلاصة الواقعة: مرّ المعلى بن خنيس مولى الامام الصادقΔ برجلين يتنازعان في ميراث فأخرج من جيبه مالاً أصلح به كليهما فاستغربا منه هذا الصنيع فقال: ما هو والله من مالي وإنما هو من مال مولاي الامام الصادقΔ جعله عندي وخوّلني أن أصلح به خلافات شيعته.

وختاماً ابتهل الى المولى سبحانه وتعالى أن يرجعنا جميعاً من اتباع الائمة والسائرين على هداهم والملتزمين بكل حدودهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ابتدأت بتدوينه صباح يوم الخميس ١٦/ محرم / ١٤٢٤ هـ

الموافق ٢٠/ ٣ / ٢٠٠٣ م

وهو اول ايام الهجوم الامريكي البريطاني على العراق، وانتهيتُ من كتابته مساء اليوم التالي، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

دور الائمة
في
الحياة الاسلامية

القسم الثاني

سلسلة محاضرات تجاوزت العشرين

القيت على طلبة الحوزة العلمية

الشريفة في النجف الاشرف

عام ١٤٢٤ هـ

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما يستحقه حمداً كثيراً هو أهله وصلى الله على الهداة إلى طاعته والادلاء على سبيله محمد وآله الطاهرين.

(الاستغلال الواعي للمناسبات الدينية)

لشخصية الرسالي والذي تمثل الحوزة العلمية الشريفة بعلمائها وفضلائها وطلبتها المصداق الأوضح له - ثلاثة أبعاد:

١- البعد الأخلاقي ونعني به الجهاد المتواصل في تهذيب النفس وضبط شهواتها وأهوائها وتنقية القلب من الرذائل وتحليته بالفضائل والعمل على إخلاص النية لله تبارك وتعالى حتى يكون هو الهدف ولا يُرى شئ إلا ويرى الله قبله وبعده وفيه ولا يجعل لغيره تبارك وتعالى عليه سبيلا وحينئذ تذوب أنانيته وتسمو أهدافه ولا يبقى مكان في قلبه لغير الله تبارك وتعالى فتنضبط سيرته وتجري الحكمة على لسانه ويكون مصدر إشعاع وهداية لغيره.

٢- البعد العلمي: فلابد من امتلاء عقله بالعلوم والمعارف التي يحتاجها في أداء مسؤولياته ووظيفته في الإصلاح والهداية خير قيام وتشمل الفقه والأصول والتفسير والتاريخ وعلوم العربية والأدب والمنطق والفلسفة والحكمة والعقائد وعلم الكلام ويضمّ إليها الثقافة العامة والعلوم العصرية ويتفاوت المقدار المطلوب لدى الرسالي بحسب موقعه فان المطلوب من خطيب المنبر غير ما يشترط في وكيل المرجعية الشريفة وهكذا يرتقي المطلوب حتى يصل درجة الاجتهاد في القائد وولي أمر المسلمين.

٣- البعد الحركي والاجتماعي: بمعنى انه يحمل وعياً اجتماعياً وتفاعلاً مع هموم الأمة وآلامها وآمالها وما تحيط بها من تحديات والوسائل والأدوات المناسبة لمواجهة هذه المشاكل والتحديات فيمتلك رؤية مرحلية (تكتيكية) وثابتة (استراتيجية) لكيفية الارتقاء بالمجتمع وإصلاحه وضمان سعادته وتلبية احتياجاته وحمايته من الانحراف.

والعقيدة هي محور هذه الأبعاد بل أن هذه الأبعاد نشاطات وأوجه لها فالعقيدة فيها جنبة أخلاقية تؤثر في سلوك الإنسان وتوجهه فهذا هو البعد الأول كما أن لها جانباً علمياً يتضمن

الأدلة على صحتها ورد الشبهات والاشكالات الموجهة لها سواء على مستوى الدين أو المذهب وتقنين أفعال الفرد وفق الشريعة المعبّر عنه بالفقه وسائر مقدماته وأدواته فهذا هو البعد الثاني كما أنها تنظم علاقات الأمة فيما بينها ومع الأمم الأخرى وتوزّع وظائف أفرادها وتشعرهم جميعاً بالمسؤولية فهذا هو البعد الثالث.

ورغم أن مسؤولية القائمين بشؤون الحوزة الشريفة هي تربية الشخصية الرسالية على جميع الأبعاد وبعلاقة مطردّة أي أنه كلما ارتقى مستواه العلمي لابد أن يرتقي معه وبنفس المقدار مسؤوليته الأخلاقية (المعبّر عنها فقهياً بالعدالة) والاجتماعية فالعدالة المطلوبة في الشهود ليست كالمطلوبة في إمام الجماعة وهذه ليست كالمطلوبة في مرجع التقليد أو ولي أمر المسلمين الذي بيده أزمّة أموال ونفوس وأعراض ملايين المسلمين وكذا الوعي الاجتماعي يزداد عمقاً وتركيزاً كلما تقدم الموقع.

لكن المناهج المتداولة لا تتعرّض للبعدين الأول والثالث وتكتفي بالتربية العلمية فقط بل هي غير مستوعبة للحاجة حتى في هذا المجال فلا تجد فيها دروساً إلزامية في التاريخ والتفسير والحكمة وعلوم القرآن والعلوم العصرية وقد تفاقمت المشكلة في العقود الأخيرة وبدأ النقص واضحاً وظهرت آثاره السلبية مما حدا بالعلماء الواعين المخلصين ومنهم السيدان الشهيدان الصدران الأول والثاني (قدس سرهما) إلى معالجة هذا النقص فعلى الصعيد العملي فكر الأول (قده) في وضع شروط لقبول الطلبة في الحوزة بحيث يكونون حملة شهادات أكاديمية وذو ي ذهنية متفتحة وثقافية جيدة وإدخال العلوم العصرية في مناهج الدراسة وإضافة المناهج الضرورية التي تفتقدها الدراسات المعروفة ونفذ الثاني (قده) هذا المشروع.

أما البعدان الآخران فحاولا (قدس سرهما) تغطيتهما باستثمار المناسبات الدينية لإلقاء محاضرات في الأخلاق والوعي الاجتماعي ولكن الاتجاه الأكثر وضوحاً في محاضرات السيد الأول (قده) هو الوعي الحركي والاجتماعي عكس الثاني (قده) حيث غلب على محاضراته في المناسبات الدينية الموعظة والأخلاق وربما كان ذلك ناشئاً من تشخيصهما المختلف لحاجة الحوزة والمجتمع.

وهذا البحث للسيد الأول (قده) يمثل خطوة مهمة في بناء الوعي الاجتماعي للحوزة وللامة معاً وقد عبّر عن هذا الاستغلال الواعي للمناسبات الدينية بقوله (ومن الطبيعي لنا أن نلتقي مع

هذا اليوم - وهو يوم ميلاد أمير المؤمنين (ع) - وغيره من أيامهم العظيمة التي تمر بنا كل عام التقاءاً روحياً مخلصاً، والتقاءاً فكرياً واعياً) لكنه (قده) في هذا البحث أشار إلى الالتقاء الثاني دون الأول فلم يتطرق إلى سعيهم (ع) في بناء ذواتهم وتكامل شخصياتهم وتعميق صلتهم (ع) بالله تعالى ومعه حق باعتبار انه (قده) عنون بحثه بدور الأئمة في حياة الأمة أي العمل الاجتماعي لهم (ع) وليس مطلق الأدوار المشتركة ولكنني استغل هذه الفرصة للإشارة إلى نقصٍ غالباً ما يتوفر في تفكير قادة الوعي الإسلامي حيث ينهمكون في العمل الاجتماعي وتربية الناس عليه ويتركون بناء الأمة أخلاقياً وكانت من نتائج ذلك فشل الكثير في المواقف الحاسمة أو سقوطهم في رذائل الأنانية وحب الحياة والعنوان والتحزب والفئوية والتقاطع في العمل مع الآخرين إلى حد المعاداة والخصومة(١).

ولكي يكون هذا البحث تاماً عليَّ أن أضيف إليه مطلبين:

الأول: أخلاقي في إعداد المتصدي للمسؤولية الاجتماعية نفسه لهذا الموقع العظيم باستقراء واقع أئمة أهل البيت (ع).

الثاني: عقائدي في بيان أصل الإمامة والتعريف بها وحدودها وصفات الإمام وشروطه.

لكنني سأترك الأول إلى سلسلة محاضرات (الأسوة الحسنة في بناء الذات وإصلاح المجتمع) المستفادة من استقراء سيرة رسول الله (ص) وإلى المحاضرات الأخرى التي طبعت في كتاب

---

(١) عن هذا النقص في تربية المشتغلين بالعمل الاجتماعي الاسلامي والأسف من عدم اكتمال التربية قال الشهيد السيد محمد باقر الصدر رائد الحركة الاسلامية في العراق: (اننا استطعنا ان نربي الآخرين إلى نصف الطريق) وعلق عليه الشهيد السيد محمد الصدر Π: (ولم يقل إلى نهايته لانه لو كان الأمر كذلك لما حصل أي شيء من تلك النتائج. ولو كان اولئك المتدينون قد اصلحوا انفسهم قبل اصلاح الآخرين، وما رسوا المقدمات المنتجة لصفاء النفس ونور القلب وعمق الاخلاص وقوة الارادة وعفة الضمير لما عانوا ما عانوا بل ولعلهم لم يحتاجوا في الحكمة الإلهية إلى كل هذا البلاء الذي وقع عليهم وانما كانوا مع شديد الأسف مصداقاً لقوله تعالى (وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم)(محمد: من الآية٣٨) ولم يكونوا مصداقاً لقوله تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُور)(الحج: ٤١) وليس ذلك الا لان الافراد التامين الجهات التامين الاوصاف الجامعين للشرائط عددهم قليل، وأقل من الحاجة بكثير. كتاب (حديث الروح مع الشهيد الصدر / الجزء الثاني / ص ١٧٨).

(من وحي المناسبات) وكتاب (نحن والغرب) خصوصاً محاضرة (عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (ع).

وأترك الثاني إلى الكتب العقائدية المتخصصة وهي كثيرة خشية الإطالة وسأكتفي بإذن الله تعالى بشرح وتفصيل المطالب التي تعرض لها السيد (قده) في أصل البحث.

(دراسة حياة الأئمة (ع) بنظرة كلية)

تدرس حياة الأئمة وتعرض في ضوء نظرتين:

الأولى: تجزيئية بأن تُعرض حياة كل إمام على حده ابتداءاً من ولادته حتى وفاته مروراً بتفاصيل حياته الشخصية وهو ما دأبت عليه كتب السيرة والرجال والتاريخ عموماً.

الثانية: الكلية وتتحقق بالنظر إلى مجموع حياة الأئمة (ع) نظرة كلية واستخلاص الأهداف المشتركة التي كانوا (ع) يسعون لتحقيقها وإن اختلفت الأساليب وآليات العمل بحيث تبدو وفق النظرة الأولى وكأنها متباينة إلا أنها بالنظرة الثانية تبدو أنها اوجه مختلفة لعملة واحدة كما يعبرون - وسنكشف حينئذ الترابط الوثيق بين أعمالهم.

والعمل الثاني لاحق للأول ومبتني عليه إذ تتم أولاً الدراسة التجزيئية فيحاط بتفاصيل حياة الأئمة ومواقفهم إزاء القضايا المختلفة وباستقراء هذه المواقف المتعددة تستخلص الأدوار المشتركة لهم (ع) وهو ما دعا له السيد (قده) ويوجد لهذا النمط من الدراسة موردان مشابهان:

الأول: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم الذي عرضه السيد (قده) نفسه في أواخر حياته[١].

الثاني: الفقه الاجتماعي الذي بيّنت أسسه ومعالمه ومبرراته والشواهد عليه[٢] في مناسبة سابقة.

وتترتب على هذه النظرة الكلية لحياة الأئمة (ع) ثمرات عديدة تعتبر مبررات هذا العمل الجبار وقد أشار السيد (قده) في البحث إلى بعضها: -

الأولى: فهم التباين في السلوك والتناقض الظاهري في حياة الأئمة (ع) فبينما يهادن الإمام الحسن(ع) معاوية يحارب الإمام الحسين (ع) يزيداً ويقدّم تلك التضحيات الجسيمة ويعتزل الإمام السجاد(ع) الحياة ويتفرغ للدعاء والتضرع ويتصدى الإمامان الباقر والصادق لنشر علوم

---

(١) راجع كتاب (المدرسة القرآنية) له Π.

(٢) راجع: محاضرة بعنوان (الفقه الاجتماعي ضرورة حضارية) ونشرت في كتاب (نحن والغرب)ص٨١ .

أهل البيت (ع) بأوسع الأشكال وبهذه النظرة الكلية (ستزول كل تلك الاختلافات والتناقضات لأنها تبدو على هذا المستوى مجرد تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة وإنما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مرّ بها كل إمام وعاشتها القضية الإسلامية والشيعية في عصره عن الظروف والملابسات التي مرّت بالرسالة في عهد إمام آخر).

الثانية: الإجابة عن عدة تساؤلات قد لاتفي النظرة التجزيئية بالإجابة عليها لذا لم يتمكن الكثيرون من اتخاذ الموقف المناسب ومن تلك التساؤلات المهمة: هل سعى الأئمة (ع) لتسلم الحكم وهل صحيحٌ ما يقال من عزوف الأئمة (ع) عن العمل السياسي بعد فاجعة كربلاء وأنهم تفرغوا للعلم والعبادة فقط وقد ترتبت على ذلك آثار سلبية كالانكماش وترك العمل الاجتماعي والعمل بالتقية أزيد مما ينبغي وعدم استثمار الفرص المتاحة.

الثالثة: الاطلاع على ضخامة الدور وجسامة المسؤوليات التي كان يضطلع بها الامام B ومنه تعرف الابعاد الحقيقية للإمامة ولدور الامام في الحياة الاسلامية مقابل المسؤوليات الهزيلة التي أعطاها علماء مذاهب غير الإمامية للخليفة[١] ولنرد على التصور الشائع (لدى الكثير من الناس الذين اعتادوا أن يفكروا في الأئمة (ع) بوصفهم أناساً مظلومين فحسب قد أقصوا عن مركز القيادة وأقرّت الأمة هذا الإقصاء وذاقوا بسبب ذلك الوان الاضطهاد والحرمان فهؤلاء الناس يعتقدون أن دور الأئمة في حياتهم كان دوراً سلبياً على الأغلب نتيجة لإقصائهم عن مجال الحكم وهذا التفكير بالرغم من انه خاطئ يعتبر خطراً من الناحية العملية لأنه يحبّب إلى الإنسان السلبية والانكماش والابتعاد عن مشاكل الأمة ومجالات قيادتها. ولهذا أعتقد أن من ضروراتنا الإسلامية الراهنة أن نثبت خطأ ذلك التفكير وندرس حياة الائمة (ع) على أساس

---

(١) لتجد الاسفاف في قدسية هذا الموقع الالهي الشريف، يقول الاسفاراييني: تنعقد الامامة بالقهر والاستيلاء ولو كان فاسقاً او جاهلاً أو عجمياً.

وقال حذيفة: ليس من السنة أن تشهر السلاح في وجه السلطان، قال النبي 2: (سترون بعدي فتناً وأثرة، قيل: فما تأمرنا بعدُ يا رسول الله؟ قال: اعطوا الحق الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم) ثم قال: وهذا أصل عظيم من اصول الاسلام نقلتها عن كتاب (تجاربي مع المنبر) للشيخ الوائلي K ص/٢٦، وهو نقلها عن (الالهيات على هدي الكتاب والسنة) للشيخ جعفر السبحاني و(نظام الحكم والادارة) للشيخ محمد مهدي شمس الدين.

نظرة كلية لنتبين إيجابيتهم الرسالية على طول الخط ودورهم المشترك الفعال في حماية الرسالة والعقيدة).

الرابعة: إثراء الفكر الإسلامي والإنساني عموماً بنظم ورؤى ناضجة ومتكاملة لمختلف قضايا البشرية النفسية والأخلاقية والاجتماعية والفكرية ومواجهتها بالأساليب المتعددة لنستفيد منها عند مواجهتنا لنفس تلك القضايا بدلا من أن تلهث البشرية حتى تتعب للوصول إلى نظام يكفل لها السعادة حتى يتراءى لها أنها قد وجدته فإذا هو سراب بقيعةٍ يحسبه الضمآن ماءاً أما الدراسة التجزيئية فتقدم رؤية ناقصة ومشوشة[١].

الخامسة: اكتشاف الترابط الوثيق بين أعمالهم (ع) وأن بعضهم يكمل دور بعض بما يشبه العمل المؤسسي وليسوا أفراداً متفرقين يعمل كل منهم بغض النظر عمّا أنجزه الآخر وحققه.

السادسة: وهي من تعليقات سيدنا الأستاذ (قده) (إذا أخذنا بالنظرة التجزيئية منفصلة عن النظرة الكلية فإننا عندئذ سنسيئ الفهم ونخلط بين الموضوعات ومن ثم نخلط بين الأحكام كما هو واضح لمن يفكر) والفقيه خير من يفهم ذلك عند تعامله مع نصوص الأحكام

والالتفات إلى هذه النتائج مهم بالنسبة إلى العلماء الذين هم ورثة الأنبياء والأئمة (ع) والمواصلون لدورهم والمتحملون لمسؤوليتهم في حدود ما هو متاح لهم وما أحوج المرجعية الشريفة في هذا العصر: عصر صراع الحضارات وحوارها وعصر الظلم والانحراف وعصر العلم والتكنلوجيا إلى تحقيق هذه النتائج واستيعابها والاستفادة منها لتحقيق الوراثة الحقيقية لهم (ع) لأنهم لا يستطيعون فهم كل ما يجب عليهم إلا إذا عرفوا كل الأدوار التي مارسها الأئمة (ع) لأن بعض الأئمة قد تتسنى له فرصة القيام بعددٍ منها ولا يتحقق موضوع أدوار أخرى لكن دراسة المجموع سيعطي إطاراً كاملاً لكل ما يمكن أن يواجه القادة والمصلحين من مشاكل وتحديات.

وقد ذكر السيد (قده) مثالاً لهذا الدور المترابط وهو حرص الأئمة في الأجيال المتعاقبة على (الحفاظ على تواتر النصوص عبر أجيال عديدة حتى تصبح في مستوى من الوضوح والاشتهار يتحدى كل مؤامرات الاخفاء والتحريف) فالإمام علي(ع) يستنشد الصحابة سنة٣٦ هـ الذين

---

(١) راجع: بحث الاسس العامة للفقه الاجتماعي.

سمعوا حديث الغدير في حقه فشهدوا له أمام من لم يسمع ثم يجمع الإمام الحسين (ع) سنة ٥٨ هـ بقية الصحابة والتابعيين يستشهدهم على هذا الحق فشهدوا له وكذلك يفعل الإمام الباقر (ع) المستشهد سنة ١١٤ هـ وهكذا تناقلت الأجيال هذا الحق الصريح وبلغ حد التواتر(١) ويعقب السيد (قده) بـ (أن وجود دور مشترك مارسه الأئمة (ع) جميعاً ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرراته التاريخية وإنما هو مما تفرضه العقيدة نفسها وفكرة الامامة بالذات لأن الإمامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في سلوك الأئمة (ع) وأدوارهم مهما اختلفت الوانها الظاهرية بسبب الظروف والملابسات ويجب أن يشكّل الأئمة (ع) مجموعهم وحدة مترابطة الاجزاء يوصل كل جزء في تلك الوحدة دور الجزء الآخر ويكمله) ولأجل هذا اقتضى كمال البحث شرح فكرة الإمامة وشروطها ومسؤولياتها وكيفية تعيين الإمام ونحوها من المطالب لكننا اوكلناها الى كتب العقائد وعلم الكلام وربما سنحت الفرصة لتناولها باختصار لشعوري باهميتها.

وهنا أريد أن أجيب عن تساؤل حاصله أن الأئمة (ع) عرفوا بألقاب وصفات متعددة فالإمام علي بن أبي طالب (ع) بالشجاعة والامام الحسن (ع) بالكرم والإمام الحسين (ع) بالصبر والتضحية والإمام السجاد (ع) بالعبادة والباقر والصادق H بالفقه والحديث وموسى بن جعفر (ع) بكظم الغيظ وهكذا فهل يعني هذا تفوق كل واحد منهم بهذه الصفة وكماله من هذه الجهة وهذا يعني إشكالين:

أحدهما: أن الإمام هو أكمل أهل زمانه من جميع الجهات وبكل الصفات فلا معنى لكمال صفة اكثر من أخرى.

وثانيهما: أنهم جميعاً مشتملون على هذه الكمالات فلا معنى لتفوق أحد منهم (ع) على غيره بصفة دون أخرى وإن كنا لا ننفي تفاوتهم في المنزلة، فنورهم واحد وطينتهم واحدة(٢) والجواب أنهم مشتركون ومتحدون فعلاً في جميع الفضائل إلا أن الذي أثار هذا الإشكال أمور:

---

(١) راجع: الغدير/ الجزء الأول لتطلع على أسماء رواة حديث الغدير من الصحابة والتابعين. وبعض هذه الحوادث مذكورة في كتاب الاحتجاج (١٨/٢).

(٢) زيارة الجامعة الكبيرة.

الأول: أن هذه الصفات إنما تظهر للآخرين بآثارها ولا تحصل آثارها إلا إذا توفرت موضوعاتها والمواقف التي تبرزها وتكشف عنها فلما كان أمير المؤمنين في زمن حرب وقتال في عهد رسول الله(ص) وفي عهد خلافته بدت شجاعته بوضوح وكذا شجاعة الإمام الحسين (ع) حيث كان تكليفه مقاومة الفاسقين بينما كان تكليف الآخرين التقية والصبر والمداراة وهم جميعاً أشجع أهل زمانهم أما الباقر والصادق H فقد أتيحت لهما فرصة نشر علوم آل محمد (ص) حيث عاشا ضعف دولتين هما الأموية في آخر أيامها والعباسية في أوائل عهدها فخفّت قبضة الحكام عليهما ولو أتيحت نفس الفرصة لغيرهما لأدّى نفس الدور، وقد تظهر آثار الكرم والسخاء وكثرة الصدقات وعتق العبيد عند الإمام السجاد (ع) لسعة ذات يده أو لكثرة الفقراء في بلده دون الباقي وهم جميعاً أكرم الناس وقد تكون العبادة عند إمام اظهر منها عند غيره لقلة اطلاع الناس على حال الآخر أو قصر عمره وغير ذلك وكلهم اعبد أهل زمانه وقد يظهر الحلم لكثرة ما يبتلى به من أنواع الأذى ووقاحة الأعداء وهكذا.

الثاني: أن السؤال أصلاً ليس بصحيح لأن الصفات والفضائل التي نقلت عن بعضهم خاصة نقلت مثلها عن الآخرين فإثارة الإشكال نابع من الجهل بتفاصيل حياة الأئمة (ع) فمثلاً عرف عن السجاد (ع) صدقة السر وانه يجوب بيوت الفقراء والمحتاجين ليلاً وكان يعول بأكثر من أربعمائة بيت في المدينة وتم التركيز عليها في حياته (ع) دون الآخرين ولكن لو تحريّنا سيرتهم (ع) لوجدنا في تاريخ الإمام الحسين(ع) مثله(١) والإمام الصادق (ع)(٢) والكاظم (ع)(٣) وكثير من الروايات التي تنقل الخصال الكريمة لهم تُنسب إلى أكثر من واحد لاتفاق الجميع فيها.

الثالث: أن هذا السؤال مبني على ضيق في فهم الصفات والملكات الحميدة فهل أن الشجاعة هي فقط الضرب بالسيف؟ أليس الإمام السجاد (ع) في قمة الشجاعة وهو يقف أسيراً مكبلاً بين يدي يزيد في عاصمة ملكه وقد ملأته نشوة الانتصار وزهوه ثم يخطب تلك الخطبة الجليلة

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٢٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٣٩٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٣٣.

يعرّف فيها فضل أهل البيت (ع) ويفضح اعلام بني امية المضلل أو ينشد الإمام الهادي (ع) بين يدي المتوكل العباسي في قمة أمجاد تلك الدولة وقد أخذت الخمرة في رأسه أبياتاً في الموعظة والتحذير من هذه الدنيا الفانية أو يسأل المهدي العباسي الإمام الكاظم (ع) عن حدود فدك ليردّها إلى ذرية فاطمةo فيجيبه الامام (ع) بكل شموخ وثقة: حدودها الأندلس غرباً والصين شرقاً واليمن جنوباً وبلاد الروم شمالاً ليفهمه أن حقّنا هو إمامة المسلمين جميعاً وسياسة بلادهم كلها وأنت غاصب لهذا الحق وهكذا نفهم الصفات الأخرى.

الرابع: توجد روايات تدل على ان هذه الالقاب قد اقترنت بهم واضيفت عليهم من قبل الله تبارك وتعالى فهي منصوصة و(توقيفية) فقد روي عن البزنطي انه قال: قلت لابي جعفر محمد بن علي بن موسى (ع) : ان قوماً من مخالفيكم يزعمون أن أباك (ع) إنما سمّاه المأمون (الرضا) لما رضيه لولاية عهده، فقال (ع) : كذبوا والله وفجروا ، بل الله تبارك وتعالى سمّاه (الرضا) لأنه كان راضياً لله تعالى في سمائه ورضياً لرسوله والائمة من بعده صلوات الله عليهم في ارضه ، قال: فقلت له: ألم يكن كل واحد من آبائك الماضين (ع) رضياً لله تعالى ولرسوله والائمة (ع)؟ فقال: بلى، فقلت: فلم سُمّي أبوك (ع) من بينهم الرضا؟ قال: لأنه رضي به المخالفون من أعدائه كما رضي به الموافقون من أوليائه ولم يكن ذلك لأحد من آبائه فلذلك سمّي من بينهم الرضا[١] .

وروى ابن بابويه والقطب الراوندي ان علي بن الحسين(ع) سُئل مَن الامام بعدك؟ قال: محمد ابني، يبقر العلم بقراً ومن بعد محمد جعفر اسمه عند أهل السماء الصادق، قلت: كيف صار اسمه الصادق وكلكم الصادقون؟ قال: حدثني أبي عن أبيه، ان رسول الله(ص) قال: اذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فسمّوه الصادق فان الخامس الذي من ولده الذي اسمه جعفر يدّعي الامامة اجتراءً على الله وكذباً عليه فهو عند الله جعفر الكذاب المفتري على الله[٢] .

---

(١) منتهى الآمال للشيخ عباس القمي ٢ / ٤٠٤.

(٢) نفس المصدر ٢ / ١٨٩.

(الأدوار المشتركة للأئمة(ع) في حياة الأمة)

إن من يستقرأ تفاصيل حياة الأئمة (ع) يصاب بالذهول لسعة النشاط الذي كان يمارسه الأئمة (ع) ودقته فيجد نفسه أمام كمّ هائل وكيان زاخر بالعمل الدؤوب وكل تصرف يكشف عن موقف معين يمكن أن يستفاد منه في الواقع المشابه وهذا نابع من موقعهم كهداة للبشرية ومصلحين فان كلامهم حكم وفعلهم حكم وسكوتهم أيضاً حكم لذا فإننا لا نستطيع أزيد من الإشارة إلى بعض هذه الأدوار المشتركة التي استطعنا بقصورنا وتقصيرنا أن نفهمها من حياة المعصومين (ع) وسنترك التعرض لعلاقتهم وأدوارهم المشتركة على جهتين مع الله تبارك وتعالى والثانية مع أنفسهم رغم أهميتها لما ذكرناه سابقاً من أن عنوان البحث لم يشملهما واكتفاءاً بما كتبناه في المصادر التي تقدم ذكرها ولأنها لوحدها تحتاج إلى جهد ضخم مستقل وسنكتفي بالحديث عن جهة واحدة وهي علاقتهم مع الآخرين ويمكن أن نصنّف تفاصيلها على عدة محاور: .

الأول: دورهم في حياة الأمة عموماً

الثاني: دورهم في حياة شيعتهم خاصة

الثالث: علاقتهم مع الدولة الإسلامية والحكام المتصدين لشؤونها

الرابع: هل كان الأئمة (ع) يسعون لتسلّم الحكم

وسأحاول أن أجعل الكلام مختصراً وإلا فهذا الباب واسع وكلما زادت مسؤولية الشخص في حياة الأمة كان فهمه أوسع. وأترك الفرصة للمفكرين والمثقفين والواعين كي ينهلوا من هذا المورد العذب الذي لا ينفد وحسبي أنني وضعت لهم هذه المعالم في الطريق.

المحور الاول: دورهم (ع)في حياة الامة عموماً

ويمكن أن نستكشف فيه عدة نقاط:

(الاولى): تموين الامة بالعلم والعقيدة والفكر وشخصيتها الاسلامية الاصيلة.

وهي اعظم المسؤوليات الملقاة على الائمة(ع) لانهم اعلم الناس بالرسالة وقد أخذوها من معادنها الاصيلة وكثيراً ما كانوا(ع) يرددون (حديثي حديث ابي وحديث ابي حديث جد ي وحديثه حديث امير المؤمنين(ع) عن رسول الله(ص) عن جبرئيل عن الباري تبارك وتعالى) واذا كان

هدف الرسالة الاسلامية هو إصلاح البشرية وهدايتها والاخذ بيدها نحو الكمال فلابد ان يمثلها من كمل نفسه اولا من جميع الجهات وهذه هي عقيدتنا فيهم(ع) فانهم اكمل الخلق من جميع الجهات اما الناقص - مهما كانت درجته - فانه قاصر عن اداء هذا الدور كاملاً قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[١] ، ويعبر الامام الباقر(ع) عن هذه المسؤولية وقيامهم بها مهما كلف الثمن (بليةالناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا)[٢] وقد حمّل رسول الله(ص) الامة المسؤولية في أن تأخذ منهم وحدهم بحديث الثقلين (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وقد نبأني

---

(١) يونس: من الآية/ ٣٥.

(٢) الارشاد للمفيد/ ٢٩٩.

اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة وإني سائلكم عنهما)[١] لذا وصفهم الامام السجاد(ع): (المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق)[٢].

وقد سار كل إمام بطريقته الخاصة التي تنسجم مع الظروف المحيطة به لتزويد الامة باصول دينها وفروعها فسيرة الامام أمير المؤمنين(ع) مشهورة في ذلك خصوصاً في فترة خلافته فهذا اثره الخالد (نهج البلاغة) وسائر خطبه حافلة بانواع العلوم من عقائد وأخلاق وموعظة وإدارة واجتماع وغيرها ويقول(ع) فيه (ولقد ادبتكم بما أدبت به الانبياء اممهم) اما الامامان الحسن والحسينH فقد كانت لهما حلقات درس في مختلف العلوم الاسلامية يعقدانها في المسجد فعن ابي سعيد الخدري قال: «رأيت الحسن والحسينH وقد صليا مع الامام صلاة العصر في الكعبة ثم اتيا الحجر فاستلماه وطافا في البيت سبعاً وصليا ركعتين وقد أحاط بهما الناس حتى لا يستطيعان أن يمضيا» الى أن قال: «وكان - أي الامام الحسين(ع) - حيث يوجد يلتف حوله الناس كالحلقة هذا يستفتيه في امر دينه وهذا يأخذ من فقهه وهذا يستمع الى روايته وهذا لحاجته» وقد وصفه معاوية لبعض من سأله عنه «اذا وصلت مسجد رسول الله(ص) فرأيت حلقة فيها قوم كأنّ على رؤوسهم الطير فتلك حلقة أبي عبد الله الحسين(ع) مؤتزراً الى أنصاف ساقيه»[٣].

وكان للامام الحسن(ع) حلقة علمية في مسجد رسول الله(ص) يدرس فيها - وهو شاب - تفسير القرآن ففي مجمع البيان روي ان رجلاً دخل مسجد رسول الله(ص) يريد أن يسأل فسأل صاحب حلقة ثم سأل آخر يقول الرواي: فجزتهما الى غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله(ص) فقلت أخبرني عن شاهد ومشهود فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد(ص) واما المشهود فيوم القيامه اما سمعت الله سبحانه يقول: «يا ايها النبي إنا ارسلناك شاهدا ومبشرا

---

(١) راجع كتاب المراجعات في مصادر الحديث والفاظه.

(٢) من دعائه(ع) في شهر شعبان.

(٣) سيرة الائمة الاثني عشر ٢/٣٤.

ونذيرا» وقال: ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت - يقول الراوي عنه فقالوا: الحسن بن عليH[١].

أما دور الامام السجاد B فكان مغايراً لذلك فإنه بعد مأساة كربلاء والفضائع التي ارتكبها الامويون في أهل البيت (ع) فقد سلك B اسلوباً توجيهياً وتربوياً في تموين الامة بالمعارف والعلوم وذلك من خلال الدعاء والمناجاة مع الله تبارك وتعالى وهي طريقة لا تثير السلطات بأي شكلٍ من الاشكال، وقد احتوت الصحيفة السجادية المباركة على ستين دعاءً ضمت شتات العلوم الاسلامية من الاخلاق والإلهيات والواجبات بين الراعي والرعية ودعوة الناس الى العودة الى كتابهم وإسلامهم وإنصاف المظلوم وتقويم الحكّام وفضل آل محمد (ص) وتقدمهم على الناس جميعاً. ثم بعد أن سنحت له الفرصة كان الامام السجاد B يعظ كل جمعة في مسجد رسول الله (ص) يندد فيها بالسلطة من خلال ذم الظلم وبيان عاقبته الوخيمة ويدعو الناس إلى معرفة ربهم ونبيّهم وإمامهم[٢].

اما الامامان الباقر والصادقH فقد عاشا في فترة انهيار وضعف الدولة الاموية وبداية نشوء الدولة العباسية فاستغلا تخفيف قبضة الدولتين عنهما ليؤسسا جامعة أهل البيت الكبرى التي شملت انوارها العالم الاسلامي وانجبت الآلاف من العلماء في مختلف العلوم والفنون على قصر عمرها حيث لم تتجاوز أربعة عقود وقد بلغ عدد المنتمين اليها اربعة آلاف كما أحصاهم ابو العباس احمد بن عقدة المتوفى سنة ٢٣٠ هـ في كتاب مستقل، وأيدّه الشيخ نجم الدين في المعتبر وأدرك منهم الحسن بن علي الوشا وكان من اصحاب الرضا(ع) تسعمائة شيخ كانوا يجتمعون في مسجد الكوفة يحدّثون عن جعفر بن محمد ويتدارسون فقهه وذلك بعد اكثر من عشرين عاماً مضت على وفاة الامام الصادق(ع)[٣].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٢٥٥/٢٠.

(٢) روضة الكافي: الحديث ٢٩ ص ٦٠، الحديث ٧٩ ص ٨٩.

(٣) سيرة الائمة الاثني عشر ٢٥٥/٢.

وقد كانت للائمة الآخرين وسائل أخرى كمجالس المناظرة والمكاتبة حتى رويت الكثير منها عنهم[١].

ولذلك كانت الأمة تفزع اليهم اذا استعصت عليهم مسألة فيبيّنون لهم

الاحكام[٢] التي لا توجد عند غيرهم من دون أن يسألوهم عن مصدرها[٣] لأنهم يعلمون أصالة علم الأئمة وكثيراً ما كانوا(ع) يوصفون بانهم (قوم زُقوا العلم زقا) ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ان عمر بن الخطاب نزلت به نازلة فقام لها وقعد وقال لمن عنده من الحضور: يا معشر من حضر ما تقولون في هذا الامر فقالوا يا أمير المؤمنين: أنت المفزع فغضب وقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أما والله إني وإياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها، فقالوا كأنك اردت علي بن ابي طالب فقال: وأنى يعدل بي عنه وهل طفحت حرة بمثله؟ فقالوا دعوته يا امير المؤمنين فقال: هيهات ان هناك شمخاً من هاشم واثرة من علم ولحمة من رسول الله، إن علياً يؤتى ولا يأتي فامضوا بنا اليه فمضوا نحوه فألفوه في حائط (أي بستان) له وهو يركل مسحاته ويقرأ أيحسب الإنسان أن يُترك سدى ودموعه تنهمل على خديه فأجهش الناس لبكائه فسأله ابن الخطاب عن تلك الواقعة، فأصدر جوابها، فقال عمر بن الخطاب: اما والله لقد ارادك الحق ولكن ابى قومك، فقال: يا ابا حفص: خفض عليك: من هنا ومن هنا ان يوم الفصل كان ميقاتا[٤].

وعن أبي جعفر الباقر(ع) قال: بينا أمير المؤمنين في الرحبة والناس عليه متراكمون فمن بين مستفتي ومن بين مستعدي، إذ قام اليه رجل فقال: السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة

---

(١) راجع كتاب الاحتجاج للطبرسي، وتحف العقول لابن شعبة الحراني، وكتاب وسائل الشيعة للحر العاملي وغيرها.

(٢) راجع قول الامام الرضا(ع) في (سيرة الائمة الاثني عشر ٢/٣٥٩).

(٣) نقل ابو الصلت الهروي عن الامام الرضا B بقوله: كنت أجلس بالروضة والعلماء في المدينة متوافرون فإذا أعيت الواحد منهم مسألة أشاروا الي بأجمعهم، وبعثوا اليّ بالمسائل فاجيب عنها (سيرة الائمة الاثني عشر للحسني ٢/ ٣٤٧).

(٤) سيرة الائمة الاثني عشر : ١/٢٦٧.

الله وبركاته، فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟ قال: أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك، فقال له: ما أنت برعيتي وأهل بلادي ولو سلّمت عليَّ يوماً واحداً ما خفيت عليَّ، فقال: الأمان يا امير المؤمنين، فقال: هل احدثت منذ دخلت مصري هذا؟ قال: لا، قال فلعلك من رجال الحرب؟ قال: نعم قال: اذا وضعت الحرب اوزارها فلا بأس، قال: انا رجل بعثني اليك معاوية متغفلا لك، أسألك عن شيء بعث به ابن الاصفر (أي ملك الروم) اليه، وقال له: ان كنت احق فهذا الامر والخليفة بعد محمد فأجبني عما أسألك، فإنك إن فعلت ذلك اتبعتك وبعثت اليك بالجائزة فلم يكن عنده جواب وقد اقلقه فبعثني اليك لاسألك، فقال امير المؤمنين: قاتل الله ابن آكلة الاكباد، وما أضله واعماه ومن معه، حكم الله بيني وبين هذه الامة، قطعوا رحمي وأضاعوا أيامي ودفعوا حقي وصغروا عظيم منزلتي، واجمعوا على منازعتي، يا قنبر عليَّ بالحسن والحسين ومحمد فاحضروا، فقال: يا شامي هذان ابنا رسول الله(ص) وهذا ابني فاسأل ايهم احببت، فقال: أسأل ذا الوفرة يعني الحسن(ع) فاجابه الحسن(ع) على جميع الاسئلة فكتبها الشامي وذهب بها الى معاوية فبعثها الى ابن الاصفر، فكتب اليه ابن الاصفر: يا معاوية لِمَ تكلمني بغير كلامك، وتجيبني بغير جوابك، اقسم بالمسيح ما هذا جوابك وما هو الا من معدن النبوة وموضع الرسالة واما أنت فلو سألتني درهما ما عطيتك[1].

ونذر المتوكل العباسي وقد أصيب بوعكة أن يتصدق بمال كثير ولم يعين مقداره فلما اراد الوفاء بنذره جمع الفقهاء ليحددوا له مصداق الكثير فاختلفوا ولم ينتهوا الى نتيجة فأشار عليه بعض خواصه باستشارة الامام الهادي(ع) فأرسل اليه من يسأله فقال الإمام يكفي لتحقق الكثير ثمانون ولما سأله الرسول عن الدليل قال: ان الله عز وجل يقول في كتابه: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين...» فعددنا تلك المواطن فكانت ثمانين[2].

وأقرّ سارق عند المعتصم بالسرقة على نفسه وطلب تطهيره بالحد فجمع الفقهاء لذلك وقد احضر الامام الجواد(ع) معهم فسألهم عن القطع في أي موضع يجب أن تقطع يد السارق؟ فقال ابن ابي داود (قاضي القضاة) من الكرسوع لقول الله في التيمم «فامسحوا بوجوهكم وايديكم»

---

(١) الاحتجاج: ١/ ٣٩٨- ٤٠١.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢/٤٧٧.

واتفق معه جماعة، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق والدليل أن الله تعالى لما قال: «وايديكم الى المرافق» في الغسل دلّ على ان حد اليد هو المرفق، فالتفت الى الامام الجواد(ع) فقال: ما تقول في هذا يا ابا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا امير المؤمنين قال: دعني مما تكلموا به أي شيء عندك؟ قال اعفني عن هذا يا امير المؤمنين قال: أقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك فيه، فقال: اما اذا اقسمت عليَّ بالله إني اقول: إنهم اخطأوا فيه السنة، فان القطع يجب أن يكون من مفصل اصول الأصابع فتترك الكف، قال وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله(ص): السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين فاذا قطعت يده من الكرسوع او المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى «وإنّ المساجد لله» يعني هذه الاعضاء السبعة التي يسجد عليها«فلا تدعوا مع الله احدا» وما كان لله لم يقطع فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الاصابع دون الكف[١].

(الثانية): مقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطرا على الرسالة.

ولعل من اوائل تلك الافكار المضللة القول بالجبر والذي يتتبع نشوء مسألة الجبر، يجد أن الغرض من خلقها وبثها كان سياسيا وهو إيجاد مستند شرعي لتسلط الحكام بغير حق فحينما كان الثوار يطالبون عثمان بالتخلي عن السلطة وإرجاعها الى من يستحقها كان رد حاشيته انه لا ينزع قميصا ألبسه الله تعالى وهم يعلمون ان الله تعالى لم يلبسه إياها إنما ألبسه الناس على خلاف ما اراده الله تعالى ثم حاول عمرو بن العاص (العقل المدبر لمكائد معاوية) أن يدسها في العقيدة الاسلامية فقد قال يوما أين أجد أحدا أحاكم اليه ربي؟ فقال ابو موسى الاشعري: انا ذلك المتحاكم اليه؟ فقال عمرو: او يقدر علي شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال: نعم قال عمرو: لِمَ؟ قال: لانه لا يظلمك فسكت عمرو ولم يحر جوابا، وقال الشهرستاني صاحب (الملل والنحل) بعد ما ذكر انتساب ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري مؤسس مذهب الاشاعرة الى ابي موسى «وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الاشعري كان يقرر عين ما يقرره الاشعري ابو الحسن في مذهبه» ثم ذكر مناظرة ابن العاص[٢].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٥/٣٣٥- ٣٣٦.

(٢) مجلة دراسات اسلامية، العدد الثالث، سنة ١٣٨٥، ص/٣٩ عن الملل والنحل ص/٩٤.

ويبدو ان هذه الشبهه لم تتأخر طويلا في التسرب الى عقول الناس - وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين - حيث طلع علينا أول مضلل بهذه العقيدة ويصفه الرواة بانه شيخ شامي في جيش الامام علي(ع) - ولعله من جواسيس معاوية الذين دسهم لتمزيق جيش الامام(ع) وخلخلته - فقد سأل الامام(ع) عن مسيرهم الى أهل الشام اهو بقضاء الله وقدره؟ فأجاب الامام(ع): نعم فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي فنهره الامام(ع) ورد شبهته بحجج قوية(١).

وعندما دخلت نساء الحسين(ع) وأطفاله سبايا على عبيد الله بن زياد ومعهم الامام السجاد(ع) سأله عبيد الله عن اسمه فقال: علي بن الحسين فقال: اليس الله قد قتل علياً فقال(ع): كان لي أخ اسمه علي قتله الناس.

وكان للامامين الباقر(ع) والصادق(ع) (ومن تلاهما من الائمة(ع)) اثر كبير في التصدي للتيارات الفكرية الخطيرة فقد عاشوا في زمن توسع الدولة الاسلامية توسعاً مذهلاً واطمأن المسلمون واستقروا من هذه الجهة فالتفتوا الى الفكر والعلم وانفتحوا على الحضارات المختلفة التي اتصلوا بها، وترجمت كتب كثيرة الى العربية فبرزت اتجاهات كان اكثرها يؤدي الى الالحاد والكفر والشرك وبالتالي تهديد اساس العقيدة الاسلامية بحيث كان الزنادقة والدهرية ونظرائهم يمثلون شريحه واسعة معلنة لافكارها ومتحدية لافكار المسلمين ويستهزؤن علناً بمشاعر المسلمين وشعائرهم(٢) وكان للحكام دور فعال في دعم ونشر هذه التيارات وتأجيج الصراعات الفكرية لإشغال المسلمين وخصوصا الطبقة المفكرة منها بمشاكل هامشية وجانبية ليتسنى لهم تمرير أهدافهم الهدامة ولتحوك السلطة مؤامراتها بمنأى عن الرقيب هذا من جانب ومن جانب آخر وجدت تلك الحكومات مبررا لتصرفاتها وجرائمها وتلميع صورتها في بعض تلك النظريات الجديدة كمسألة الجبر التي تضع عنهم مسؤوليات جرائمهم وتلقيها على قضاء الله وتعالى وكالإرجاء الذي يجعلهم في صفوف المؤمنين وكالتفويض الذي هو شرك بالله تعالى. وشجع الحكام أيضا المسائل المذهبية خصوصا الإمامة ونظرية عدالة الصحابة وغيرها.

---

(١) الاحتجاج: ٣١٠/١ - ٣١١.

(٢) طبّق هذا الكلام على ما يواجهه المسلمون اليوم لتتعلم الدروس من الائمة E في كيفية مواجهتها وهو ما ابتغيناه من هذا الكتاب.

وقد استخدم الائمة اسلوب المناظرات والاحتجاجات لتبكيت الخصوم ولترسيخ دعائم العقيدة وتطهيرها أو القاء النظريات الاسلامية الاصيلة فقد اشتهرت كلمتهم(ع) (لا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين امرين) وأن القائل بالجبر كافر وبالتفويض مشرك التي ردوا بها على كلا الاتجاهين.

وشجعوا أصحابهم على المناظرة ودربوا من له القابلية على ذلك كهشام بن الحكم ومؤمن الطاق والذي يراجع كتاب الاحتجاج للطبرسي/ الجزء الثاني يجد الكثير من هذه المناظرات ويتعرف على اشكال التيارات الفكرية التي عصفت بالمجتمع آنذاك وقد استعمل الائمة كل الوسائل والآليات المناسبة في هذه المواجهة ومن ذلك اجادتهم لمختلف اللغات والاطلاع على مختلف الثقافات للتمكن من تفنيد افكارها وتدعيم اسس الاسلام ومذهب الإمامية[١] وفي كتاب التوحيد من أصول الكافي تجد المناظرات مع مختلف الاتجاهات الفكرية) واذا كان علم الامام إلهامياً - كما نعتقد نحن الإمامية - فالذي نستفيده هنا ان ولي امر المسلمين يجب ان يكون كذلك - باعتباره وارثهم(ع) - او يوفر عنده من يقوم بذلك لكي لا يكون اختلاف اللغات حاجزاً دون الاطلاع على شؤون المسلمين في مختلف انحاء العالم وكذا بالنسبة لاختلاف الثقافات خصوصاً في هذا العصر الذي اعلن فيه الغرب (صراع حضارات) مع الاسلام والذي يشهد ثورة عارمة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ويلاحظ هنا أن الامام في مناظراته مع الخصوم كان يطلع على نفسية الخصم للدخول الى قلبه من أسهل الطرق ويأخذ عليه جميع الجهات لذا غالباً ما تنتهي المناظرات بايمان هؤلاء بالاسلام وبالامامة أحيانا.

وألف الكثير من اصحابهم في الرد على هذه الافكار المنحرفة فألف هشام بن الحكم كتاباً رد فيه على الزنادقة والملحدين وآخر في الرد على الثنوية وألف غيرهما في الامامة والجبر والقدر والرد على ارسطاطاليس وبعض فلاسفة اليونان والهند وألف أبان بن عثمان كتاباً في المبدأ والمبعث[٢]، وغيرها كثير مما ذكر في معاجم الرجال والكتب.

---

(١) راجع الكافي، كتاب الحجة، الباب ٣٤ الحديث/ ١، ٢ والباب ٦١ حديث/ ٧.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢/ ٢٦٨ - ٢٦٩.

ولابد من الالتفات الى أن البراهين العقلية التي أدلى بها الائمة لافحام الخصوم وإثبات العقائد الاسلامية النقية لا تعني بالضرورة الاهتمام بها ذاتها والتوسع بها وإنما الذي نستفيده ان الامام (أو نائبه بالحق) يجب ان يواجه الفلسفات والتيارات الفكرية التي تعصف بالمجتمع بما يفندها ويعري زيفها من الاصول الاسلامية ولكل زمان ما يناسبه من الادلة التي تنسجم مع الاتجاهات الفكرية العامة فيه وتستند على المبادئ الاصيلة للدين الحنيف فإذن بعض ما يذكر في فلسفة التوحيد التي أتى بها الائمة(ع) للرد على بعض الشبهات التي كانت مثارة في زمنهم (ع) ليست بذاتها مطلوبة للدراسة والتوسع الآن إذ يصبح ذلك ترفا فكريا بعد أن أهملت بعض هذه المطالب في زوايا النسيان، ولم يعد يوجد من يتبنى تلك الضلالات وحتى في عصرنا الحاضر فان بعض ما كتب قبل اربعين أو خمسين عاماً أو ثلاثين لمواجهة تحديات فكرية واقتصادية واجتماعية واخلاقية يومئذٍ ليس من الضروري استنساخها الآن لتغيّر التحديات. نعم، يؤخذ منها ما يثار في العصر الحاضر وأيضاً ما يفيدنا في مواجهة المشاكل الفكرية الاخرى التي تتحدى الامة الاسلامية اما من يكتب للمسلمين طلباً لتثبيت ايمانهم وتعزيز قناعتهم بمعتقداتهم فهو في غنى عن كل ذلك ويكفيه الادلة التي تخاطب الفطرة وهو صريح حديث الباقر(ع): (كفى لأولي الالباب بخلق الربّ المسخّر، وملك الرب القاهر، وجلال الرب الظاهر، ونور الرب الباهر، وبرهان الرب الصادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما ارسل به الرسل، وما أنزل على العباد دليلاً على الرب)[١].

ومن الملاحظ تنوع المشاكل الفكرية التي تعصف بالمجتمع وتمزقه وما إن تضمحل مشكلة حتى تثار أخرى ففي عصر الامام الصادق(ع) كانت مسألة إثبات وجود الصانع وتوحيده وفي عهد الرضا(ع) التجسيم والرؤية وفي زمان الامام الجواد(ع) خلق القرآن[٢] مما يؤيد أنّ إثارة هذه المشاكل من دسائس السلطات الحاكمة وسيأتي في الفصل الثالث الاشارة الى ذلك بإذن الله تعالى.

---

(١) اصول الكافي، كتاب التوحيد، الباب الاول، حديث/ ٧.

(٢) تحصل على هذه النتيجة من استقراء مناظراتهم الموجودة في كتاب الاحتجاج وتحف العقول.

ولم يقف الائمة(ع) عند هذا الحد بل قاوموا ايضا الاتجاهات الفكرية التي كان مصدرها علماء المسلمين انفسهم بحسن نية منهم او غيرها لكن الامام(ع) يعلم ان فيها خطرا على الرسالة فالعمل بالقياس للتوصل الى الاحكام الشرعية كان له منشأ في صدر الاسلام الا انه بدأ يتبلور وتتضح معالمه في عصر الامام الصادق(ع) وكان وراء ذلك دوافع عدة:

١- سياسي فقد كان الحكام يريدون التحرر من مصادر التشريع الحقيقية وهي كتاب الله وسنة رسوله(ص) لانهما يكشفان عدم استحقاقهم لهذا الموقع وتعريهم وتكشف زيفهم امام الناس فشجعوا مصادر بديلة للتشريع تقنّن لهم الاحكام حسب ما يشتهون.

٢- الغاء دور أهل البيت(ع) في إمامة الامة لانهم(ع) باعتراف الجميع اعلم الناس بكتاب الله وسنة جدهم رسول الله(ص) واليهم تفزع الامة في معرفة احكامهما فاذا تم الاستغناء عنهما فسيتحجم دور الائمة(ع) وبالتالي يمكن اقصاءهم.

٣- حب الجاه وتصدر الناس عند بعض العلماء السائرين في ركاب السلطة ولجهلهم بمنابع التشريع الاصلية ففكروا في سد نقصهم بالقياس والاستحسان وإعمال الرأي. وقد قال زعيم أهل القياس للامام الصادق (ع) وقد أفحمه وأثبت له بطلان العمل بالقياس: (لا أتكلم بالرأي والقياس في دين الله بعد هذا المجلس)، فقال له الامام(ع) : (كلا ان حب الرئاسة غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك) [١] .

وقد حاول الحكام فعلا وضع شريعة مقابل شريعة الله تعالى فقد قال مرة سليمان بن عبد الملك أن المرأة لا ترث فاعترض عليه عمر بن عبد العزيز بأن هذا مخالف لكتاب الله فانها ترث وللذكر مثل حظ الانثيين فقال سليمان، لا عليّ بما تقول: ائتوني بصحيفة عبد الملك بن مروان لانظرما فيها.

وقد احتاجت الامة العمل بالرأي والاستحسان بعد رحيل رسول الله(ص) وابعاد أهل البيت(ع) عن قيادة الامة فهُجر كتاب الله تعالى بهجرهم[٢] فلجأوا الى الاجتهاد حتى مع وجود النصوص الشرعية لتبرير الافعال المخالفة لشريعة الله سبحانه[٣] فوقف الائمة(ع) بحزم في

---

(١) الاحتجاج ٢/ ١١٧.

(٢) راجع: كتاب (شكوى القرآن).

(٣) راجع: كتاب (النص والاجتهاد) للسيد شرف الدين لتطلع على اجتهادات الصحابة مقابل النص.

وجه من يتأول برأيه من دون الاستناد الى دليل شرعي صحيح بأحاديث شديدة (من افتى برأيه فليتبوأ مقعده من النار) (أكبه الله على منخريه في نار جهنم).

ومن أخطر هذه الاتجاهات الفكرية العمل بالقياس لاستنباط الحكم الشرعي فانه ماحق للدين كما وصفه الامام(ع) فحذّر الامام الصادق(ع) علماء المسلمين وخصوصا أبا حنيفة رأس مدرسة القياس من الاخذ به وأبطل ادلته ووضح له التناقض الذي يقع فيه العامل بالقياس وقال كلمته المشهورة (اذا قيست السنة محق الدين) وقوله(ع) (أول من قاس ابليس، قال: خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين فكان عاقبته أن لعنة الله عليه والملائكة والناس اجمعين) وروي ان الامام الصادق(ع) قال لابي حنيفة في بعض مجالسه معه: بما تفتي أهل العراق يا ابا حنيفة؟ قال: بكتاب الله، قال: وإنك لعالم بالكتاب ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، قال: نعم قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين، أي موضع هذا، قال: هو ما بين مكة والمدينة وتأمنون على دمائكم واموالكم فقالوا لا فقال: يا ابا حنيفة ان الله لا يقول الا حقاً، أخبرني عن قول الله تعالى من دخله كان آمنا أي موضع هو، قال ذلك بيت الله الحرام فالتفت ابو عبد الله الصادق(ع) الى جلسائه وقال: نشدتكم بالله هل تعلمون أن عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير[1] دخلاه ولم يأمنا القتل فقالوا: اللهم نعم، فقال ابو حنيفة: ليس لي علم بالكتاب إنما انا صاحب قياس فقال الامام: فانظر الى قياسك إن كنت مقيسا أيهم اعظم عند الله القتل أو الزنا ؟ قال القتل اعظم قال(ع): فكيف رضي بالقتل بشاهدين ولم يرضَ في الزنا الا باربعة شهود، وأيهما أفضل الصلاة أم الصيام قال: بل الصلاة افضل، قال: فيجب على قياسك ان تقضي الحائض ما فاتها من الصلاة حال حيضها دون الصيام حين أن الله قد اوجب عليها قضاء الصوم دون الصلاة، ثم قال له: البول اقذر أم المني؟ قال: البول أقذر فقال(ع) يجب على قياسك ان يغتسل الانسان من البول دون المني فقال: إنما أنا صاحب رأي قال: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج وزوج عبده في ليلة واحدة فدخلا بزوجتيهما في ليلة واحدة ثم سافرا وتركا زوجتيهما في بيت واحد وولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين وبقي الغلامان أيّهما في رأيك الملك وأيهما المملوك وايهما الوارث وايهما

---

(١) قتل عبد الله في مكة وسعيد قتله الحجاج في واسط بالعراق بعد ان اعتقله والي مكة.

الموروث فقال: إنما انا صاحب حدود، قال: فما ترى في رجل اعمى فقأ عين صحيح، واقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد فقال: إنما انا رجل عالم ببعث الانبياء قال: فأخبرني عن قوله تعالى لموسى وهارون حيث بعثهما الى فرعون لعله يتذكر او يخشى اليست لعل شك؟ قال: نعم قال: فهل هي من عند الله شك؟ قال: لا اعلم فقال الامام(ع): تزعم انك صاحب رأي وكان الرأي من رسول الله(ص) صواباً ومن غيره خطأ لأن الله يقول (فاحكم بينهم بما اراك الله) ولم يقل ذلك لغيره. وتزعم بانك صاحب حدود ومن أنزلت عليه اولى بعلمها منك: وتزعم أنك عالم بمباعث الانبياء وخاتم الانبياء أعلم بمباعثهم منك ولولا أن يقال أن ابا حنيفة دخل على ابن رسول الله(ص) ولم يسأله ما سألتك عن شيء)[١].

لاحظ شعور الامام(ع) بمسؤوليته تجاه الامة من خلال الفقرة الاخيرة من كلامه(ع) ولولا هذه الوقفة الحازمة من الامام(ع) لسرى هذا الاتجاه من التفكير الى اصحاب الامام(ع) نفسه وستكون النتيجة تضييع الدين بين احكام القياس التي لا ضابط لها فيحدثنا أبان بن تغلب وهو من اكبر فقهاء أصحاب الامام(ع) قال: قلت له - أي الامام الصادق(ع) - ما تقول في رجل قطع اصبعا من اصابع المرأة كم فيها؟ قال(ع): عشر من الابل، قلت: قطع اثنتين قال عشرون، قلت: قطع ثلاثا قال: ثلاثون، قلت: قطع اربعا قال(ع): عشرون، قلت: سبحان الله! يقطع ثلاثا فيكون عليه ثلاثون ويقطع اربعاً فيكون عليه عشرون!؟ إن هذا كان يبلغنا ونحن بالعراق فنتبرأ ممّن قاله، ونقول: الذي جاء به شيطان فقال: مهلاً يا أبان ! هذا حكم رسول الله(ص) إن المرأة تعاقل (أي توازن) الرجل الى ثلث الدية فاذا بلغت الثلث رجعت الى النصف (وثلث العشر أصابع بين الثلاث والاربع) يا أبان: إنك اخذتني بالقياس، والسنة اذا قيست محق الدين)[٢] ولاحظ اصرار الائمة(ع) على هذا الموقف في مناظرة الامام الكاظم(ع) مع تلميذ ابي حنيفة محمد بن الحسن الشيباني بمحضر هارون العباسي وهم بمكة، ومما قال له: (إن احكام الله تعالى يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضلّ عن السبيل فسكت محمد بن الحسن لا يرجع جواباً)[٣].

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ١١٤ وما بعدها.

(٢) أصول الفقه للمظفر / فصل القياس .

(٣) الاحتجاج ٢/ ١٦٨.

وقد التزم المتأدبون بتعاليمهم فهذا السفير الثالث للامام المهدي B الحسين بن روح يقول: (لئن أخِرَّ من السماء فتخطفني الطير أو تهوي بي الريح في مكان سحيق أحبّ اليّ من أن أقول في دين الله برأيي)

(ومن عند نفسي بل ذلك عن الاصل ومسموع من الحجة صلوات الله عليه وسلامه)[١].

ومن أجل حماية الأمة من الوقوع في الشبهات العقائدية والفكرية فقد نهوا (ع) عن الدخول في المسائل المتشابهة، فقد نقل صاحب مفاتيح الجنان عن المحدّث النوري ما ملخصه أن امير المؤمنين B قد مرّ على قومٍ من أخلاط المسلمين وهم قعود في بعض المساجد وهم يخوضون في امر القدر وغيره قد ارتفعت اصواتهم واشتدّ فيه محكمهم وجدالهم فوقف عليهم وسلم فردوا عليه واوسعوا له وقاموا اليه يسألونه القعود فلم يحفل بهم ثم قال لهم وناداهم: يا معاشر المتكلمين فيما لا يعنيهم ولا يرد عليهم الى ان قال B: فأين انتم منهم يا معاشر المبتدعين أما علمتم أن اعلم الناس بالقدر اسكتهم عنه وأن أجهلهم به أكثرهم كلاماً فيه...الخ[٢]. وراجع نهي السجاد B عن الدخول في مسائل فلسفية[٣].

(الثالثة): مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجه كيان الامة ودولتها:

رغم ان الامة اقصتهم(ع) عن موقعهم الحقيقي وخلفتهم(ع) وراء ظهورهم الا انهم(ع) وحرصا منهم على كيان الامة الاسلامية والدولة الممثلة للاسلام لم يتركوا الامة سدى فتحملوا عنها اعباء التحديات والمشاكل التي واجهتها وهذه الحاجة الحقيقية لهم هي اكبر دليل على امامتهم كما ينسب ذلك الى الخليل بن احمد الفراهيدي انه سئل ما الدليل على إمامة علي بن ابي طالب بعد رسول الله(ص) قال: احتياج الناس اليه وعدم احتياجه الى الناس.

واول تحدٍ للأمة كان بعد وفاة رسول الله(ص) اذ لعبت الاهواء والمطامع وحب الرئاسة بنفوس البعض وسولّ لهم التجاوز على حق امير المؤمنين(ع) الذي بلّغه رسول الله(ص) يوم

---

(١) الاحتجاج ٢/ ٢٨٨.

(٢) مفاتيح الجنان: ص/ ١٥٩، في اعمال الليلة الاولى من شعبان.

(٣) راجع كتاب الشافي: مجلد ٥ - ٦ ص/ ١٢، وغيرها.

الغدير ونزل فيه قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[١] ، ولم تنفع كل محاولاته(ص) في الزام الامة بهذا الامر وكان آخرها قبل وفاته بأربعة أيام فيما يعرف برزية يوم الخميس فحصل الذي حصل من الخلاف بعد وفاته(ص) فانبرى(ع) ومعه الزهراءI والثلة المخلصة من الصحابة[٢] ولما لم تنفع معهم الادلة والبراهين والمواعظ وكاد الجدال يتحول الى جلاد بالسيف يذهب هذا الدين الفتي أمر أصحابه بالصبر وقال كلمته المعروفة (لأسلمن ما سملت امور المسلمين).

ويمكن أن نثبت بهذا المجال تصدي الامام علي(ع) للأسئلة والاستفسارات التي كان يثيرها علماء اليهود والنصارى عقب وفاة الرسول(ص) وكانت الخلافة آنذاك تعجز عن الاجابة عليها مما كان يهدد كرامة الدولة الاسلامية ويشكك في اصالتها ومصدرها ومن ذلك ما روي في الارشاد أن بعض احبار اليهود جاء الى أبي بكر فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ فقال له: نعم فقال: إنا نجد في التوارة أن خلفاء الانبياء أعلم اممهم فأخبرني عن الله تعالى أين هو أفي السماء ام في الارض؟ فقال ابو بكر: هو في السماء على العرش فقال اليهودي فارى الارض خالية منه وأراه على هذا القول في مكان دون مكان، فقال له ابو بكر: هذا كلام الزنادقة اعزب عني وإلا قتلتك فولّى الحبر متعجباً يستهزئ بالاسلام فاستقبله أمير المؤمنين B وطلب منه إعادة السؤال ثم أجابه فأذعن الحبر وشهد بصحة الجواب[٣].

فلا يمكن فهم هذه المحاولات المتكررة من اليهود والنصارى بسذاجةعلى أنها لمجرد السؤال والجدال العلمي وإنما هي مؤامرة منسقة ومتتالية الحلقات وذات نهج خبيث التجأ اليها اعداء الاسلام بعد فشل المواجهات العلنية والمباشرة مع الدين الجديد مستغلين رحلة الرائد الاعظم(ص) وتولي مكانه من قبل ناس ليس لهم كفاءة مواصلة دوره القيادي ويؤكد رأينا هذا ذهاب المخلصين من صحابة النبي(ص) والحريصين على مصلحة الاسلام الى أمير

---

(١) المائدة: من الآية٦٧.

(٢) تجد كلماتهم جميعاً في كتاب الاحتجاج ونهج البلاغة.

(٣) الارشاد / ١١٨، وتوجد نماذج أخرى في كتاب الاحتجاج: ٣٠٧/١، ٣١٢ وكتاب (قضاء امير المؤمنين(ع)) للتستري.

المؤمنين(ع) بسرعة وإخباره بحراجة الموقف فكان الامام(ع) بالمرصاد لأمثال هذه المؤامرات وغيرها وكان بحق القيّم على هذا الدين بعد رحيل القائد الاعظم(ص).

ومن القضايا المصيرية الهامة التي عصفت بالأمة ما واجهته في بداية خلافة امير المؤمنين عندما انقسم اصحاب النبي(ص) ومن خلفهم بقية الناس الى فئات يضرب بعضها رقاب بعض وكلٌ يجر النار الى قرصه ولم تكن قد حدثت مثل هذه الحالة من قبل وليس بين يد ي الامة حادثة في حياة النبي(ص) مثلها وإن كان معدن العلم وأهل بيت الوحي يعلمونها والتزم الحياد عدد منهم -كسعد بن ابي وقاص -زاعمين ان الموقف غامض وأنه لو وجد سيفا يفرق بين المؤمن والكافر لقاتل به وهذا أرسل الامام علي(ع) قوله الخالد وقلبه يتقطع ألماً على هذه الامة المضللة المغرر بها «ولقد ضربت أنف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره وبطنه فلم أرَ فيه الا القتال او الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم به»[١] وقال «وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة»[٢] فلم يكن امام ابي الحسن(ع) الا القتال حتى يفيئ الباغي وترتفع الفتنة ويعود الحق الى مقره فشرع الامام بذلك حكم البغاة وما تفرع عليه من أحكام أخرى كقتال البغاة الذين لهم فئة -كاصحاب معاوية -والذين ليس لهم فئة -كاصحاب الجمل - وسلبهم والاجهاز على جريحهم فيجوز في الاول دون الثاني حتى قال احد ائمة المذاهب (لولا قتال علي(ع) لأهل الجمل وصفين لما عرفنا حكم البغاة)[٣].

ومشكلة أخرى عانت منها الامة وهي تحديد موقعها من بيعة رجل فاسق متجاهر بمعارضة الاسلام ابتداءاً كيزيد بن معاوية ولم تسبق مثل هذه الحالة وظلت حائرة تيمم بصرها شطر ابي عبد الله الحسين(ع) فما كان منه -بأبي هو وامي - الا ان يتحمل المسؤولية كاملة ويعلن رأي الاسلام بصراحة «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٣، ص/ ٩٥.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٥٤، ص/١٠٤.

(٣) راجع: نص القول في الغدير ٢٧٥/١٠.

الله(ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله)[١].

واستشهد هو والصديقون من اصحابه في سبيل هذا التشريع وعلم بذلك واجب المسلمين تجاه الحكام المنحرفين وحكم بيعة المكره وعلى هذا أفتى مالك بعدم لزوم بيعة المضطر لمن استفتاه في الخروج مع محمد ذي النفس الزكية ضد ابي جعفر المنصور)[٢].

وقال ابو حنيفة لامرأة قالت له: انك افتيت ابني بالخروج مع ابراهيم (ابن عبد الله المحض شهيد باخمرا) فخرج فقُتِل فقال لها ليتني كنت مكان ابنك وكتب الى ابراهيم: اما بعد فاني جهزّت اليك اربعة الاف درهما ولم يكن عندي غيرها ولولا امانات الناس عندي للحقت بك فاذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل ابوك في أهل صفين: اقتل مدبرهم واجهز على جريحهم ولا تفعل كما فعل ابوك في اهل الجمل فإن القوم لهم فئة»[٣].

ومن التحديات الاجتماعية ما حصل من انحراف اللسان العربي وتفشي اللحن فيه منذ زمن أمير المؤمنينB بسبب اتساع رقعة الفتوحات الاسلامية وهجرة الأقوام غير العربية الى بلاد العرب، وهو لو استمر فانه سيفقد العرب قدرتهم على تفهم الكتاب والسنة فيضيعوهما فانبرى أمير المؤمنين(ع) لوضع علم النحو والقاه الى تلميذه ابي الاسود الدؤلي[٤].

وما ذكره السيد الشهيد الصدر Θ في أصل البحث من انقاذ الامام السجاد (ع) الدولة الاسلامية من تحد كافر يهدد سيادتها بشأن النقد وعجز الحاكم الاموي عن الرد عيه فخطط(ع) للاستقلال النقدي، وقد مرّ في القسم الاول. وكذا مشكلة وضع الحجر في مكانه بعد ان احترقت الكعبة في حادثة ابن الزبير واعيد بناؤها واختلفوا فيمن يضع الحجر وينال هذا الشرف فكان الامام السجادB كجدّه رسول الله(ص).

---

(١) يبحث الامور تفصيلاً باذن الله تعالى في فصل علاقة الائمة Φ بالحكام.

(٢) راجع نصوص الاقوال: مجلة الإيمان، السنة الثانية، العدد ٣ - ٤، ص/ ١٢٨.

(٣) مراقد المعارف: ١ / ٩٧.

(٤) راجع كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيد حسن الصدر والمجلد الأول من كتاب اعيان الشيعة للسيد محسن الامين العاملي.

وادعت[١] امرأة في زمان المتوكل انها العقيلة زينب بنت امير المؤمنين وقد بعثها الله تبارك وتعالى الآن ولم يستطيعوا دحض مدعاها فاستدعى المتوكل الامام الهادي ليحلّ المشكلة وكانت للمتوكل حفرة كبيرة وعميقة فيها سباع يلقي اليها معارضيه فقال له الامام(ع) ألقي هذه المرأة الى السباع فإن كانت صادقة فلا يضرها شيء لان الله تعالى حرم لحوم آل رسول الله7 على السباع فصاحت المرأة الله الله بدمي يا ابا الحسن(ع) فلست زينب بنت فاطمة الزهراء8، هنا استغل المتوكل الفرصة وقال للامام(ع) لنجرب هذه المقولة معك فنزل الامام الى السباع وما كان منها الا ان مرغت وجوهها بين يدي الامام(ع).

وفي زمن احد الملوك العباسيين كان عالم نصراني يدعو فيستجاب له ويستسقي السماء فتمطر مما اربك عقيدة المسلمين وظنوا أن الحقّ مع عقيدته، فلجأوا الى الامام الهادي(ع) او العسكري(ع) فقال اذا مد يده للدعاء فخذوا ما في يده ففعلوا فوجدوه يسأل الله تعالى بجزء من بدن إنسان فقال له الامام(ع) ألست قد أخذت هذا من قبر أحد الانبياء(ع) فان الله تبارك وتعالى آلى على نفسه أن لا يسأله بذلك أحد الا أجاب دعوته.

إلفات نظر:

ومن مجموع النقاط الثلاث المتقدمة يظهر لنا دور مهم للائمة(ع) في حياة الامة وهي إعادة الثقة بنفسها ودينها وقادتها الحقيقيين بعد ان اهتزت وضعفت بسبب عدة نقاط:

١- ضعف الحكام وعجزهم وكذا العلماء المرتبطين بهم عن مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجد الامة.

٢- دقة تنظيم الهجمات والبريق الظاهر لها فهي مزينة ومدعومة بعلوم وفلسفات مقننة.

٣- عدم استثارة نقاط القوة عند الامة سواء على صعيد عقيدتها اعني الاسلام الاصيل أو على صعيد اعطاء الفرصة لقادتها الحقيقيين.

من هنا كان دور الائمة في استعادة هذه الثقة من خلال عدة نقاط:

١- عرض شمول الاسلام وسعته لكل نواحي الحياة وتقديم الدين كمنظومة محكمة متكاملة لادارة الحياة.

---

(١) كتاب (زينب الكبرى) لجعفر النقدي، ص/ ٩٣، ونسبت الحادثة الى الامام الرضا(ع).

٢- إثارة مختلف العلوم والفنون التي بثها الائمة(ع) مما يرتبط بالدين مباشرة (كالعلوم العقلية والنقلية) او التي حثوا عليها كالعلوم التجريبية والتطبيقية واهمها الطب والفلك وباشر الائمة(ع) جزءاً من العلوم بانفسهم وفتحوا ابواب البعض الاخر ولهم بذلك آثار موجودة في الطب (كتاب توحيد المفضل للامام الصادق(ع)) والكيمياء (رسائل جابر بن حيان للامام الصادق(ع)) وغيرها.

٣- عرض نقاط الضعف والخلل في تلك الفلسفات والنظريات المستوردة من خلال المناظرات والاحتجاجات.

٤- تزويد الامة بعقيدتها النقية بعد أن اختلط الحابل بالنابل وتهذيبها من الشوائب والانحرافات المنسوبة لها.

٥- بناء القواعد المؤمنة الواعية المزودة بالعقيدة والعلم القادرة على مواجهة هذه التحديات والمحافظة على الرسالة حيث عبّروا عن ذلك بقولهم (إن في كل خلف منا عدولاً ينفون عن هذا الدين زيغ المبطلين).

وقد ادى هذه الادوار عدد من العلماء والمفكرين على مدى الاجيال حتى وصلت الامانة الينا اعاننا الله عليها. وعلينا ان نستفيد من هذه الدروس كيفية مواجهة الهجمات الشرسة التي يتعرض لها الاسلام والمسلمون بعد تشخيصها وتحليلها.

(الرابعة): تثبيت حقهم(ع) في ولاية امر الامة وحفظه من الضياع.

وقد بدأت هذه المهمة عندما عزم القوم على سلب امير المؤمنين(ع) حقه وشاركته فاطمة الزهراءs بنت رسول الله7 وألقت تلك الخطبة العظيمة على اصحاب رسول الله7 في مسجده الشريف ثم القت اخرى على نساء الانصار لمّا جئن لزيارتها لينقلن الكلام الى ازواجهن ولم تترك لهم عذراً بل افحمتهم بالحجج الدامغة[1] وكذا فعل امير المؤمنين(ع) والصحابة المخلصون فقد سئل الامام الصادق(ع) هل انكر احد من اصحاب رسول الله7 تصدي القوم

للخلافة من بعد، فقال: نعم اثنا عشر رجلاً ستة من المهاجرين وستة من الانصار ثم ذكر(ع) نصوص كلماتهم[٢].

وبعد خمس وعشرين سنة عندما مات الكثير من هؤلاء الصحابة وبدأت التشكيكات في صحة هذا الأمر جمع الصحابة المتبقين واستنشدهم على هذا الامر وشهدوا له امام من لم يسمع وقد تقدم تفصيل هذا الامر في متن البحث.

وحتى[٣] حينما يكرهون على تسليم امر سياسة البلاد الى غيرهم فانهم كانوا يدلون بحقهم ومظلوميتهم امام الملأ لئلاً يظن جاهل أو غافل انهم تنازلوا عن حقهم الشرعي فيندرس الحق بمرور الزمن فعندما جيئ بأمير المؤمنين للبيعة مكرها رد عليهم بكلام أفحمهم به لتسالم الجميع على صحة حججه وكان مما قال(ع): يا معشر المهاجرين والانصار أنشدكم بالله أسمعتم رسول الله7 يقول يوم غدير خم كذا وكذا وفي غزوة تبوك كذا وكذا فلم يدع ما قاله فيه(ع) علانية للعامة الا ذكره فقالوا الله نعم، ثم التفت الى قبر النبي7 ونادى قبل أن يبايع (يا ابن أمّ أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) ثم تناول يد الخليفة فبايعه[٤].

وعندما اضطرت الظروف الامام الحسن(ع) للهدنة مع معاوية وتسليمه أمر البلاد واجتمعا في الكوفة لاجراء مراسيم الهدنة قال الامام الحسن(ع): ان معاوية زعم لكم اني رأيته للخلافة أهلا ولم أرَ نفسي أهلا لها، لقد كذب معاوية نحن اولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان

---

(١) وما كان مطالبتها(ص) بفدك الا كخطوة في هذا الطريق وإنما منعها القوم لسد هذا الباب ومنعها من المطالبة بحق زوجها(ع) ويوجد نص الخطبة في كتاب الاحتجاج ونقل بعض فقراتها السيد شرف الدين في المراجعات ص/ ٢٨٩ وقال: ان السلف الصالح كانوا يحفظونها ابناءهم كما يحفظونهم القرآن الكريم.

(٢) راجع كتاب الاحتجاج.

(٣) ومن طرائف هذا الدور المشترك ما فعله الحسن(ع) وهو طفل صغير فقد جاء عن الامام الحسن B في مطلع خلافة عمر بن الخطاب، انه قال: اتيته وهو يخطب على المنبر والمسلمون حوله فتخطيت الناس وصعدت اليه وقلت له: انزل عن منبر ابي واذهب الى منبر أبيك فابتسم لي وقال: ليس لابي منبر وإنه لمنبر أبيك إي والله ثم أخذني بيده وأجلسني الى جانبه (سيرة الائمة الاثني عشر ٢ / ١٤). وكذا في المراجعات: ٢٩٣).

(٤) الاحتجاج: ١ / ١٠٩ - ١١٠.

نبيه، ولم نزل أهل البيت مظلومين منذ قبض الله نبيه فالله بيننا وبين من ظلمنا وتوثب على رقابنا وحمل الناس علينا[١].

ولم يتوانوا(ع) عن استخدام أية وسيلة لإعلان حقهم ومظلوميتهم وتوعية الامة وبيان ظلم وطغيان الحكومات المنحرفة والمفاسد التي سببوها في المجتمع المسلم ومن هذه الوسائل:

١- الشعر الهادف المخلص الذي كان منبرا اعلامياً ناجحاً ومؤثراً واهتموا (ع) برعاية الشعراء المخلصين وتشجيعهم واكرامهم والدعاء لهم اقتداءا بجدهم المصطفى7 الذي جعل من الشعر في معركته مع الشرك وسيلة يرد بها الشتيمة ويوري العزيمة ويسجل به النصر حيث كان يردد بارتياح لمن ينشد بحضرته شعرا قوله (لا يفضض الله فاك) وقوله7 لحسان بن ثابت وقد نظم أبياتا في مناسبة غدير خم اولها:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالنبي مناديا

فقال7 : (لا تزال يا حسّان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك) وكان7 يضع لحسان منبرا في مسجده الشريف يقوم عليه مفاخرا عن رسول الله7.

وعندما أنشد الكميت الاسدي هاشمياته بين يدي الامام الباقر(ع) ووصل الى قوله في قصيدته الميمية:

وقتيل بالطف غودر منهم بين غوغاء أمةٍ وطغام

بكى الامام(ع) ثم قال (يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله7 لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت). ولما مدح الكميت الامام السجاد بقصيدته التي اولها:

َمنْ لقلبٍ متيّم مستهام غير ما صبوةٍ ولا أحلام

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ١ / ٥٩٢.

قال الامام(ع): (ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فان الله لا يعجز عن مكافأتك اللهم اغفر للكميت)، ثم قسط له على نفسه وعلى أهله اربعمائة الف درهم وقال له: خذ يا ابا المستهل فقال له: لو وصلتني بدانق (جزء من الدرهم) لكان شرفا لي ولكن إن احببت أن تحسن اليَّ فادفع اليَّ بعض ثيابك التي تلي جسدك اتبرك بها. فقام(ع) فنزع ثيابه ودفعها اليه كلها ثم قال (اللهم ان الكميت جاد في آل رسولك وذرية نبيك بنفسه حين ضنَّ الناس وأظهر ما كتمه غيره من الحق فأحيه سعيدا وأمته شهيدا وأره الجزاء عاجلا وأجزل له جزيل المثوبة آجلا فانا قد عجزنا عن مكافأته) قال الكميت (ما زلت اعرف بركة دعائه) حتى استشهد سنة ١٢٦هـ. وموقف الفرزدق الشاعر الذي تقدم في المتن وأغضب هشام فأمر بسجنه ومن سجنه أرسل بيتين الى هشام يذمه فيها ووصله الامام السجاد(ع) بصلة قال الفرزدق ما قلت الذي قلت طلبا لحطام الدنيا وإنما غضبا لله تعالى وحبا لرسوله، وقصائد دعبل الخزاعي التي سار بها الركبان خصوصا تائيته المشهورة وأنشدها بمحضر الامام الرضا(ع) واصبحت حياته مهدده بسبب تلك المواقف حتى قال (لا زلت احمل خشبتي على ظهري ثلاثين سنة أطلب من يصلبني عليها في حب اهل البيت(ع)).

وقد بلغ اهتمام الائمة بالشعر أكثر من ذلك فقد كانوا يتابعون ما يقال هنا وهناك مما يمسّ قضيتهم فعندما قال حكيم الاعور - ذو الميول الأموية - بعد استشهاد زيد بن عليK:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلةٍ ولم نرَ مهدياً على الجذع يُصلبُ
وقستم بعثمانَ علياً سفاهةً وعثمانُ خيرٌ من عليّ وأطيبُ

رفع الامام الصادق(ع) يديه وهما تنتفضان رعدة وقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً. فخرج حكيم من الكوفة فأدلج - أي سار الليل كله - فافترسه الاسد[١].

---

(١) الغدير: ٢ / ٢ - ٢٢، ١٨٠ - ١٩٧.

ولأهمية الشعر في خدمة القضية كان الائمة(ع) يرون في اعلانه والاحتفاء به والاصغاء اليه عبادة تقصر عنها غيرها وتستحق صرف الوقت الثمين من اجلها فهذا الامام الصادق(ع) يقدم إنشاد الشعر واستماعه على العبادة والدعاء في أشرف الاوقات واعظم المواقف لما دخل عليه الكميت بهاشمياته في أيام التشريق بمنى فقال له: جعلت فداك ألا انشدك ؟ قال (عليه السلام): انها ايام عظام، قال: انها فيكم، فلما سمع الإمام (عليه السلام) مقاله بعث إلى ذويه فقربهم اليه وقال: هاتِ فانشده لاميته من الهاشميات فحظي بدعائه(ع) والف دينار وكسوة[١].

٢ - إقامة مآتم العزاء التي تذكر المصائب والمظالم التي مرت بهم(ع) والتي لم تقتصر على إثارة العاطفة فقط وإنما كانت مدارس للتوعية وبيان حقهم(ع) وشحن الامة بالثورة ضد الظالمين ولفت الانظار الى مظلوميتهم(ع) وحقهم المضاع خصوصاً الشعائر الحسينية ومآتم العزاء والبكاء على مصيبة سيد الشهداء وليس ذلك لآن مصيبة الحسين(ع) لم يشهد لها التاريخ نظيراً فحسب بل للمحافظة على الحسين(ع) كقضية في اذهان الامة تشعرها بوخز الضمير كلما تقاعست وتخاذلت عن اداء دورها في تقويم اي انحراف في تطبيق الاسلام وأي تشويه لمعالمه وتدعوهم الى تفضيل الموت بعز على الحياة مع الذل، قال الامام الباقرB: (رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر في أمرنا فإن ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا الاّ باهى الله بهما الملائكة فاذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر فان في اجتماعكم ومذاكرتكم احياءنا وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا ودعى الى ذكرنا). ويقول الصادق(ع) للفضيل بن يسار: (اتجلسون وتتحدثون) قال: نعم فقال(ع): (أما إني أحب تلك المجالس فأحيوا أمرنا فإن من جلس مجلساً يحيي فيه امرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب) وكان الامام السجاد(ع) يبكي على أبيه حتى قيل له: إنا نخاف ان تكون من الهالكين. وكان لا يأكل ولا يشرب الا ذكر أباه الحسين(ع) وكلما اجتمع عنده ناس ذكرهم بأبيه(ع) وهو يمشي في السوق يرى قصاباً يريد أن يذبح كبشاً فيقول لصاحبه هل سقيت الكبش ماءاً فيتوجه الى جهة كربلاء ويذكر القصاب قائلاً انتم معاشر القصابين لا تذبحون الكبش حتى تسقوه ماءاً فقال القصاب: نعم، يا ابن رسول الله وما أيسر ذلك فقال (ع): ولكن ذبح ابي الحسين(ع) عطشاناً الى جنب الفرات وشاركته عمته

---

(١) الغدير: ٢ / ٢٠.

العقيلة زينب وسائر آل النبي7 في هذه الثورة العاطفية الواعية مما أوصل حال الناس في المدينة الى الثورة فكتب واليها عمرو بن سعيد الاشدق الى يزيد ينبئه بهذا الخطر ويصف العقيلة زينب بأنها فصيحة عاقلة لبيبة فكتب يزيد يأمره بعزلها عن الناس وهكذا كانت تفعل ام البنين زوجة أمير المؤمنين(ع) ام العباس وأخوته، فقد كانت تذهب الى البقيع وتندب أبناءها بأشجى ندبة يتفجع الناس لها حتى مروان بن الحكم كان يبكي حينما يسمعها[١]، ولم تدم الحال طويلاً حتى انفجرت المدينة بثورة الحرة بعد مأساة كربلاء بسنتين.

ومن قبلها كانت فاطمة الزهراء ϑ تبكي وتثير الناس ضد ظالميها حتى قالوا لزوجها امير المؤمنين لقد آذتنا فاطمة ببكائها فاما أن تبكي ليلاً وتسكت نهاراً او بالعكس فعمل لها علي(ع) بيتاً خارج المدينة سماه بيت الاحزان كانت تذهب اليه لتبكي على أبيها.

وكان الائمة(ع) يعقدون هذه المآتم ويحرصون عليها وبذلك حفظوا قضية الحسين(ع) خاصة وأهل البيت(ع) عامة شوكة في عيون الظالمين وبركاناً في نفوس المستضعفين يتفجر بين الفينة والأخرى ولذا لم يأل الحكام جهدا في حرب الحسين(ع) بعدوفاته وزائريه وطمس آثار مرقده والقضاء على شعائره ومآتم عزائه وليس أدلّ على ذلك مما فعله المتوكل العباسي فقد كان شديد البغض لعلي وأهل بيته وأمر بمصادرة اموال وقتل من يتولى علياً والحسينH[٢] وفرض عقوبات على زائريه تراوحت بين الغرامات المالية الباهضة الى قطع الايدي الى القتل ومع ذلك ظلت سيول الموالين والسائرين على درب الحسين(ع) تفد الى مرقده الطاهر متحدية السلطة الغاشمة فالتجأ الى إغراق القبر وحرثه فلم يفلح إذ كان الماء يطوف حول البقعة الطاهرة ويغوص في الارض ولذا سمي بالحائر الحسيني، وقال الشاعر واصفاً هذه الاساليب المليئة بالحقد:

تالله إن كانت امية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتته بنو أبيه بمثله فغدا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

---

(١) مقاتل الطالبيين .

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر ٢ / ٤٧٢.

وكان من وصية الامام الباقر(ع) لولده الصادق(ع) أن يجعل له نوادب يندبنه عشر سنين بمنى أيام الموسم وكانت وفاة الامام الباقر(ع) سنة ١١٤ ومنه يتضح لك كيف أن هذا العمل دفع المسلمين الى الثورة على الامويين (زيد الشهيد سنة ١٢١هـ ثم ولده يحيى حتى انهارت الدولة الاموية سنة ١٣٢هـ).

(الخامسة): المحافظة على وحدة المسلمين.

وهي من اسس وركائز المجتمع المسلم فلا غرو أن يحافظ عليها الائمة(ع) أيما محافظة ويضحون من اجلها بالغالي والنفيس تمسكاً بقوله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقد فسر النبي7 لهذا الامة الحبل الذي إن تمسكوا به حفظوا وحدتهم من التفرق وهما كتاب الله وعترة رسول الله7[١] فالامام علي(ع) تنازل عن حقه في سياسة امور العباد من أجل حفظ هذه الوحدة وهو القائل لما عزموا على بيعة عثمان: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمنْ ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ الا علي خاصة، التماسا[٢] لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما

---

(١) راجع: كتاب (شكوى القرآن).

(٢) هنا علق سيدنا الاستاذΘ قائلاً: (ينبغي ان نلتفت الى هذه العبارة ملياً فقد قلت للسيدΘ - أي الشهيد الصدر الاول في يوم ما -: إن الكتاب (يعني الكتاب الديني) عليه ثواب، على تأليفه وعلى طبعه وعلى نشره وعلى منعه وعلى محاربته كلها ثواب. فكذلك الخلافة أو أي مقصود أو هدف إن حصل كان لطفاً وإن لم يحصل كان لطفا من الله سبحانه وإنما الاعمال بالنيات وعلى ما في القلوب المعوّل.

وينبغي أن نلتفت الى أن امير المؤمنين(ع) يعتبر الخلافة الظاهرية من شؤون الدنيا - مهما كانت اهميتها عظيمة - ولذا نراه يرجح الزهد فيها عن التورط في تفاصيلها. وقد قال في خطبته الشقشقية: ولرأيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز. وهذا أيضاً يفسر ما ورد من أن الامام المهدي(عج) اذا ظهر فانه يبايَع مستكرها لأن إقدامه على فتح العالم اقدامٌ على الدنيا. وكذلك يفسّر ما ورد من ان سليمان الحكيم(ع) آخر الانبياء دخولا الى الجنة لأن ملكه - مهما كان عادلا وعظيماً - فهو من الدنيا التي لابد من إيصال حسابها قبل الحصول على ثوابها الخ الخ فكيف بنا نحن الضعفاء المساكين).

تنافستموه من زخرفه وزبرجه»[١].

ومما كتب الامام الحسين(ع) الى رؤساء الاخماس بالبصرة: «أما بعد فإن الله اصطفى محمدا7 من خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته ثم قبضه اليه وقد نصح لعباده وبلّغ ما ارسل به صلى الله عليه وآله وكنا اهله واولياءه واوصياءه وورثته واحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولاّه»[٢].

وكانوا(ع) يتوسلون بمختلف الطرق للتقريب بين وجهات النظر وإقناع المنحرفين عن محبتهم والاتصال بمبغضيهم إما جهلاً او لحقد موروث لا مبرر له او للتضليل الاعلامي الذي اتبعته السلطات المتعاقبة ضدهم فمن ذلك ما روي ان الامام الحسين(ع) واثناء مسيره الى كربلاء نزل بالقرب منه زهير بن القين البجلي وكان غير مشايع له ويكره النزول معه لكن الماء جمعهم فارسل الامام(ع) عليه يطلب مقابلته فرفض وبعد اصرار زوجته قابل الامام الحسين(ع) فحادثه الامام الى ان ذكّره بموقف له في فتوح آذربيجان وكان معهم سلمان الفارسي فأخبرهم بما سيحدث لآل محمد(ع) وسعادة من سيقتل معهم فاستجاب زهير والتحق بركب الامام(ع) حتى استشهد معه[٣].

ويُروى أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي الامام الكاظم(ع) ويشتم عليا(ع) فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتله فنهاهم عن ذلك أشد النهي وزجرهم اشد الزجر وسأل عن العمري يوماً فقيل له انه يزرع بناحية من نواحي المدينة فركب اليه الامام(ع) فوجده في مزرعته فدخل بحماره فصاح العمري: لا تطأ زرعنا فاستمر في طريقه حتى انتهى اليه فنزل وجلس عنده وجعل يضاحكه، ثم قال له: كم غرمت في زرعك هذا؟ قال مائة دينار قال: فكم ترجو أن تصيب منه؟ قال: إنا لا نعلم الغيب، فقال له الامام: إنما قلت لك كم ترجو أن يجيئك منه، قال: ارجو أن يجيئني مائتا دينار فأعطاه ثلاثمائة دينار، وقال: هذا زرعك على حاله فقام

---

(١) نهج البلاغة، ج / ١، ص/ ١٢٣، الخطبة/ ٧٣.

(٢) مقتل الحسين للمقرم/ ١٥٩.

(٣) مقتل الحسين للمقرم / ٢٠٧.

العمري وقبّل رأسه وانصرف فذهب الامام الى المسجد فوجد العمري جالسا فلما نظر اليه قال: الله أعلم حيث يجعل رسالته وجعل يدعو لأبي الحسن(ع) كلما دخل وخرج[١].

وبغض النظر عن تفاصيل الرواية فانها في الجملة شاهد على اهتمامهم بحفظ روح الالفة والمودة مع جميع المسلمين وكانوا(ع) ينهون عن سب الشيخين لأن آثارة هذه المشكلة من دسائس القوى المعادية للاسلام لتفريق المسلمين ولا تترتب عليها أية فائدة دينية بل العكس فانها تجر على الامة الويلات، والتاريخ يحكي - بكل أسف وحزن - الفتن الدامية التي كادت تحدث بسبب هذه الامور ولابد أن الذين يشعلون فتيلها من غير المسلمين او من جهلتهم وعوامهم الذين لا يمكن بأي حال من الاحوال السماح لهم بالتأثير في توجهات الامة واهتماماتها بعيداً عن مسؤوليتها ودورها فضلا عن قيادتها وكان للسلطات دور بارز في إذكائها لعدة مصالح شيطانية:

١- القاء الفتنة بين المسلمين حتى تصل الى القتال فيضعفوا وتسهل السيطرة عليهم.

٢- إشغالهم بهذه النزاعات عن النظر في ظلم اولئك الطواغيت الذين لا يحبّون كلّ مسلم واعٍ سنياً كان أو شيعياً.

٣- إقناع معارضيهم وهم من الشيعة غالباً بأن هؤلاء الحكام لا ذنب لهم فيما يحصل من مظالم وإنما السبب الوحيد هو اولئك الاوائل الذين غصبوا حقّ عليّB.

وانطلت هذه المؤمرات على الجهلة والمتعصبين من الطائفتين رغم ان القرآن صريح في المنع من سبّ الذين كفروا فضلاً عن غيرهم قال تعالى: ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢]، ولو التزم كلٌ بتعاليم الاسلام وقادته لما حدث ما حدث، فيروى أن جماعة من أهل العراق دخلوا على الامام علي بن[٣] الحسين بن علي وذكروا أبا بكر وعمر

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر ٢/ ٣٢١.

(٢) الأنعام: من الآية ١٠٨ .

(٣) علق سيدنا الاستاذΘ قائلا: في بالي أن الرواية مروية عن الامام الرضا(ع) مع شيء من التفصيل اكثر من هذا. ولعلها صادرة من كلا الامامين(ص) فالافضل المراجعة.

وعثمان بسوء ونالوا منهم، فقال لهم: ألا تخبروني من أنتم، أنتم من المهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون قالوا: لا، قال: أفانتم من الذين تبوّأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فقالوا: لا، فقال: أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا من هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله في حقهم: «والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا» أخرجوا عني فلا بارك الله فيكم[١] وكأنه(ع) فهم منهم أنهم منافقون او متملقون فلا خير فيهم.

مرّ امير المؤمنين(ع) باثنين من أجلاء اصحابه وهما حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وهما يسبّان أهل الشام فنهاهما عن ذلك، فقالا: اولسنا على الحق، قال: نعم ولكن أكره لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون وتبرأون، ولكن لو وصفتم مساوئ اعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا وكذا، ومن اعمالهم كذا وكذا، لكان اصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان لعنكم إياهم وبرائتكم منهم: اللهم احقن دماءهم ودماءنا وأصلح ذات بينهم وبيننا، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق منهم من جهله، ويرعوي من الغي والعدوان منهم من لجّ به، لكان أحب الي وخيراً لكم. فقال حُجر: يا امير المؤمنين نقبل عظتك ونتأدب بأدبك[٢].

وهكذا كان المتأدبون بأدب الامام علي(ع) والائمة من ولده رغم ما تعرضوا له من مظالم كأبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود ونظرائهم والاجيال التي تلتهم ولسان حالهم: لنسلّمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علينا خاصة طلبا لمرضاة الله تعالى والتماسا لمثوبته، وزهداً في غيرهما.

أقول: راجعت أكثر من مصدر فرأيتها مروية عن الامام السجاد B، ومنها بحث (التقية اصولها وتطورها) للدكتور كامل مصطفى الشيبي وهو نقلها عن كتاب (مع الشيعة الامامية) للشيخ محمد جواد مغنية، ص/ ٤٢- ٤٣.

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ١٨٢.

(٢) مراقد المعارف: ١ / ٢٣٦.

ومن هؤلاء المتأدبين بأدب اهل البيت(ع) الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث للامام المهدي (ع) فانه رغم عظمته في التشيع الا أن أحدا من العامة لم يصدق انه من غيرهم لحسن تصرفاته وحكمته وحدث ان تنازع اثنان فقال أحدهما أن ابا بكر أفضل الناس بعد رسول الله7 وبعده عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ويأتي علي بن ابي طالب من بعده، وقال الثاني: إن علياً أفضل الخلق بعد رسول الله7 واشتد النزاع بينهما في مجلسه وفيه حشود من السنة والشيعة - وكانت الفتن الطائفية في أوجها آنذاك - فحسم النزاع بالاسلوب الحكيم الذي اعتاد عليه الذي يظهر منه شيء لأول وهله لكن التأمل الدقيق يظهر انه موافق لمذهبه وقال: الذي اجمعت عليه الصحابة هو تقديم الصديق وبعده الفاروق وبعده عثمان ثم علي الوصي واصحاب الحديث على ذلك وهو الصحيح عندنا، فتعجب الحاضرون من قوله ورفعه العامة على رؤوسهم وطعنوا على من يرميه بالرفض (أي سب الشيخين).

وبلغه أن بواباً على بابه قد لعن معاوية وشتمه فأمر بطرده وصرفه من خدمته ولم يقبل شفاعة احد فيه(١).

والذي يراجع كتب التاريخ كالبداية والنهاية لابن الأثير يعتصر قلبه الالم لما حلّ بالامة من التدمير بسبب الفتن الطائفية، ليس بين السنة والشيعة فقط بل بين طوائف السنة انفسهم كالفتنة بين الاشاعرة والحنابلة سنة ٤٤٧ هـ، وعلى العكس من ذلك فإن الأمة مرّت بحالات صحوة ووعي فحصل الصلح والوئام كما في سنة ٤٤٢ هـ وسنة ٤٨٦ هـ (راجع البداية والنهاية).

يقول: الدكتور الشيبي في المصدر السابق وهي من الالتفاتات الرائعة: (كلما أمعنّا في تقصي الاسباب والنفوذ الى الدوافع الحقيقية المختفية وراء هذه الفتن وجدنا أمامنا عبارة المجاعة أو النهب أو هجوم جيش على بلد وعلى العكس من ذلك نجد رخص الاسعار وكثرة المحصول والرخاء مقترناً بسنيّ الصلح والوحدة(٢).

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٥٦٩.

(٢) الجزء الثاني من سلسلة مقالات (التقية: اصولها وتطورها) المنشور في مجلة الايمان النجفية، السنة الثانية، العدد / ٥ - ٦، ص/ ٤٦ - ٤٧.

وهذه نتيجة طبيعية فإن الوحدة والوئام تؤدي الى الانتعاش الاقتصادي والعلاقات الاجتماعية الطيبة وارتفاع الهمّة والحماس للعمل والبناء عكس أيام الفتن والحروب ومن هنا نفهم أحدى المصالح التي ارادها الائمة (ع) للامة من هذه التوجيهات.

والوحدة مع الاتجاهات الاخرى من المسلمين لا يعني تخلّي الشخص عن قناعته ومعتقداته التي ثبتت عنده بدليل قطعي معتبر، وانما تبتني على أسس ثلاثة:

الاول: تناسي الخلافات وعدم إثارة النعرات الطائفية وتعنيف من يقوم بذلك.

الثاني: الالتفات الى القواسم المشتركة التي تجمع المسلمين كلهم فربُّهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة.

الثالث: احترام كل طرف قناعة الطرف الآخر ما دام قد استند فيها الى حجة ودليل معتبر شرعاً، والحوار بالتي هي أحسن للوصول الى الحقيقة التي هي مطلب كل عاقل.

وعلى هذا لم يسمحوا بأن يكفّر بعض المسلمين بعضاً لمجرد اختلافهم في بعض التفاصيل بعد اتفاقهم في أصول الاسلام وهنا أودّ الفات النظر الى فرق بين نمط مناظرات الائمة(ع) مع اخوانهم المسلمين ومناظراتهم(ع) مع غير المسلمين فإن مناظراتهم(ع) مع المسلمين من غيرالإمامية تتركز على إثبات سلامة طريق التشيع واطمئنانهم الى ادلته دون التعرض لبطلان الاراء الاخرى فليس هذا موضع الحاجة؛ إذ إنّ مثل هذا الشيء نحتاجه مع النظريات والافكار غير الاسلامية من الزنادقة والملحدين والمجوس واليهود والنصارى والذي يراجع كتاب الاحتجاج يجد هذا الفرق واضحا وكانوا(ع) يصرحون بندائهم ان الجنة ليست حكراً على الشيعة بل هي تستقبل كل مسلم مخلص شيعياً كان أم غيره، فعن زرارة قال: سئل ابو عبد الله(ع) وأنا جالس عن قول الله تبارك وتعالى: «من جاء بالحسنة فله عشر امثالها» يجري لهؤلاء ممن لا يعرف منهم هذا الامر (يعني ولاية أهل البيت(ع))؟ فقال: إنما هي للمؤمنين خاصة، قلت له: أصلحك الله ارأيت من صام وصلّى واجتنب المحارم وحسن ورعه ممّن لا يعرف ولا ينصب (العداوة لأهل البيت(ع))؟ فقال: ان الله يدخل اولئك الجنة برحمته[١].

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ٣٩٢/٧، وأضاف© الرواية تدل على أن الأجر بقدر المعرفة وفي هذا المعنى روايات واردة من طرق الفريقين.

وكان بعض أصحاب الائمة (ع) ربما لم يستوعبوا مثل ذلك باعتبار أن أولئك لا يعرفون ما نعرف فيجيب الامام B وها نحن نعرف ما لا تعرفون.

وفي رواية اخرى سئل الامام(ع) نفس السؤال فأجاب نعم وأضاف: إن أم[١] سلمة (أم المؤمنين) لا تعرف ما تعرفون وأشهد أنها على خير.

(السادسة): معايشة آلام الامة وآمالها والاهتمام بما يجري للقاصي والداني.

لذا وجدت الامة فيهم قلباً رحيماً يتعاطف معها وصدراً رحيباً يضمها ويحنو عليها وسيفا صارما تنتصف به لحقها ولم يألُ الائمة(ع) جهداً في التخفيف عن آلام المحرومين والمظلومين ومساعدتهم والسعي لرد الحق اليهم سواء على صعيد الفرد أو المجتمع ما امكنهم ذلك وكان شعارهم دائماً، «من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم»[٢] فقد كان امير المؤمنين وابو الائمة(ع) «للمؤمنين أباً رحيما اذ صاروا عليه عيالا وغيثاً وخصباً، وعلى الكافرين عذاباً صباً وغلظة وغيظا، كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، لم يكن لأحدٍ فيه مهمز ولا لقائل فيه مغمز يوجد الضعيف الذليل عنده قوياً عزيزاً حتى يأخذ له بحقه والقوي العزيز عند ضعيفاً ذليلاً حتى يأخذ منه الحق، القريب والبعيد عنده سواء شأنه الحق والصدق»[٣].

وكان قلبه(ع) يتقطّع ألماً وهو يسمع بغارات معاوية على المسلمين والذميين في حدود الانبار فيقتل ويسلب والامام(ع) يستنهض اصحابه ولا من مجيب فقال(ع): «فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً، فيا عجباً عجباً -والله -

---

(١) علّق سيدنا الاستاذΘ قائلاً: يبدو أن أم سلمة لم تكن تدرك مفهوم الامامة وعدد الائمةΦ بالمعنى الذي ندركه ولكنها على أي حال تؤمن بالحق على إجماله وتحبّ رسول الله7 واامير المؤمنين والحسن والحسينΦ وهذا يكفي لنجاتها وأنها على خير كما قال لها رسول الله 7 وإن لم تكن تعرف تفاصيل التشيع ولعل الاقدم منها وهم والدا النبي7 ووالدا أمير المؤمنين(ع) وحمزة وغيرهم ناجون بكل تأكيد لكن من دون معرفة تفصيلية.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي.

(٣) من كلمة قالها صعصعة بن صوحان العبدي وقيل الخضر(ع) على جثمان امير المؤمنين(ع) قبل دفنه ويزار(ع) بها يوم شهادته وهي موجودة في كتاب ضياء الصالحين.

يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم»[١] ومن وصف ضرار بن ضمرة الكناني للإمام(ع) عند معاوية «كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه ويبتدؤنا إذا أتيناه ويأتينا أذا دعوناه» وقال(ع) وهو على رأس دولة كبيرة مترامية الاطراف تجبى اليه الاموال من الشرق والغرب «وإنما هي نفسي اروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق، ولو شئت لاهتديت الطريق الى مُصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح ونتائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءاً أن تبيت ببطنةٍ وحولك اكبادٌ تحنّ الى القدّ

إذن لم يكن الامام يفكر ويحسّ بآلام من حوله فحسب وإنما رمى ببصره الى الحجاز واليمامة، وماذا بعد يا امير المؤمنين ويا مثل الانسانية الاعلى «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا امير المؤمنين ولاأشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»[٢] وهل تكتفي يا سيدي بمواساة المحرومين والمظلومين وتترك أركان البغي يعيثون في الارض فساداً؟ «سأجهد في أن أطهرّ الارض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، حتى تخرج المدرة من بين حب الحصيد[٣]»، «ولأتقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه»[٤] إذن لماذا لم تتول الخلافة يا امير المؤمنين بعد رسول الله7 وهو حقك نصاً وعقلاً ثم توليتها بعدئذٍ «فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الامر من بعده - صلى الله عليه وآله وسلم - عن أهل بيته، ولا أنهم مُنحُّوه عني من بعده! فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة / ٢٧، ص/ ٧٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة/٢٨٢، ص/٥٠٠.

(٣) المدرة: قطعة الطين اليابس، وحب الحصيد حب النبات المحصود كالقمح، راجع نفس المصدر السابق.

(٤) نهج البلاغة، خطبة/ ٣٣، ص/ ٨٤.

دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن ارى فيه ثلماً او هدماً تكون المصيبة عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه.

ويشرحB كيفية ذلك بقوله: «إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طِلاعُ الارض كلها - أي ملء الارض - ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضَلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي، وإني الى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظرٌ راجٍ، ولكنني آسى أن يليَ أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دُوَلا - متداولاً - وعباده خَوَلاً - عبيداً - والصالحين حرباً والفاسقين حزباً، فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام[١]، وجُلِد حداً في الاسلام، وإنّ منهم من لم يُسلم حتى رُضِخت له على الاسلام الرضائخ[٢] - العطايا - فلولا ذلك ما اكثرتُ تأليبكم وتأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم»[٣] وماذا بعدُ يا أمير المؤمنين هل من دوافع أخرى لتوليك الخلافة غير صيانتها من أن تصل الى غير أهلها فيسومون العباد سوء العذاب ويسعون في الارض فساداً ويهلكون الحرث والنسل «وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وإن كان كارها»[٤]، «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّة ظالم ولا سَغَب مظلوم، لألقيتُ حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندي من عفطة عنز - أي ما ترسله من أنفها - »[٥].

هذا عليّ وهذه سيرته وهذه قيمة الخلافة عنده اذ لم تكن تساوي عنده اكثر من عفطة عنز الا أن يقيم حقاً ويهدم باطلاً وهكذا كانت رعايته للأمة واذا تكلمنا كثيراً وأكثرنا من الشواهد من

---

(١) الوليد بن عقبة بن ابي معيط شرب الخمر وهو والي الكوفة من قبل عثمان فأقام عليه أمير المؤمنين B الحد.

(٢) رموز قريش المؤلفة قلوبهم الذين اسلموا عام الفتح حيث أعطوا حصة وافرة من الاموال.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٩٩ ص ٥٤١.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٤ ص ٢٤١.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣ ص ٣٨.

سيرة علي B ومنهجه فلأن الكلام في ذلك نعمة ولطف من الله تعالى ونبراس لكل من كان في موقع رعاية الامة حيث ان الامام B توفرت له من الفرص ما لم تتهيأ لغيره من الائمة (ع) فعكس الصورة المشرقة والمشرّفة للرعاية التي كانت الامة ستنالها لو ملّكتهم ناصيتها، يقول الامام الحسن (ع): «وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي بعد رسول الله لاعطتهم السماء قطرها والارض بركتها»[١] ولكن ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢]، لذا اقتصرت رعاية الائمة (ع) للامة على حالات اضيق نطاقاً ومنها قضاء حوائج الناس وردّ الحقوق الى اصحابها ومساعدة الفقراء والمحتاجين والانفاق عليهم ولم يكن هذا الانفاق - بنظرهم (ع) - حلاً لمشكلة الحرمان والفاقة التي يعانيها المجتمع بل هو اجراء مرحلي مؤقت من باب (الميسور لا يُترك بالمعسور) اذ كان هدفهم يتركز على بناء المجتمع الكامل القائم على اساس الاسلام وهو الحل الجذري الشامل وبه تزول كل المشاكل، لأنه «ما جاع فقيرٌ الا بما مُتّع به غني»[٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٤].

وكان من رحمتهم بالامة ان الامام الحسين (ع) يبكي يوم عاشوراء على تلك الفئة الضالة التي اجتمعت لقتاله ولم تنفع معها الموعظة ولما سُئِل عن سبب بكائه، قال: أبكي لهؤلاء فانهم يدخلون النار بسببي وكان (ع) يقول لمن يلقاه في الطريق ولا يستجيب لدعوته: اذهب ولا ترني وجهك فإن من سمع واعيتنا أهل البيت ولم يجبنا أكبّه الله على منخريه في نار جهنم[٥]، ولما استبطأ الناس القتال مع معاوية واصحابه سألوا الامام علي (ع) فأجاب: «فوالله ما دفعت الحرب يوماً الا وأنا أطمعُ أن تُلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشو الى ضوئي، وذلك أحبّ اليّ من أن اقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بأثامها»[٦] وهكذا كان رسول الله(ص) يرميه قومه بالحجارة والفرث ويدموه وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون.

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ١ / ٥٩٢.

(٢) النحل: من الآية/ ١١٨.

(٣) نهج البلاغة، قصار الكلمات، الكلمة ٧٢٨، ص ٦٢٦.

(٤) المائدة: من الآية٦٦.

(٥) مقتل الحسين (ع): ٢٢٥.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ٥٥، ص ١٠٥.

كانت بيوت في المدينة تعيش على صدقات علي بن الحسين(ع) ولا تدري من أين تعيش فلما توفي الامام(ع) فقدوا ما كان يأتيهم فعلموا بأنه هو الذي كان يعيلهم، وقالوا: ما فقدنا صدقة السرّ حتى فقدنا علي بن الحسين زين العابدين(ع)[١] ورآه مرة ابن شهاب الزهري في ليلة باردة وعلى ظهره دقيق وهو يمشي فقال: يا ابن رسول الله ما هذا؟ قال: اريد سفراً[٢] أعددت له زاداً أحمله الى موضع حريز، ولم يرضَ أن يعينه أحدٌ على حمله[٣] وكان(ع) يفرح اذا جاءه محتاج ويقول: أهلاً بمن يحمل زادي الى معادي. والشواهد في ذلك كثيرة[٤].

وكانت رعاية أمير المؤمنين(ع) للأيتام مشهورة فيجلسهم في حجره ويمسح على رؤوسهم ويلحسهم العسل ويلقمهم الطعام الجيد حتى أن بعض اصحابه تمنى لو كان يتيماً حتى ينال هذه الحظوة من أمير المؤمنين(ع) وجعل العناية بالايتام جزءاً من وصيته لأولاده ليلة وفاته(ع) وكان ينشد:

ما إن تأوّهت من شيء رزئت به طراً كما تأوّهت للأيتام في الصغر
قد مات والدهم من كان يكفلهم في النائبات وفي الاسفار والحضر

ومرّ(ع) بامرأة تخبز وحولها أطفالها يبكون وهي حائرة لا تدري ماذا تفعل فسألها(ع) - وهي لا تعرفه - عن زوجها قالت إنه استشهد في صفين فبكى الامام(ع) واسترجع وقال لها: إما أن تخبزي وأنا اسكت الاطفال أو العكس فاختارت أن تخبز واخذ الامام(ع) يلاعب الاطفال ويلاطفهم فاستأنسوا حتى انتهت امهم من عملها.

وعُرِف عن أمير المؤمنين(ع) أنه كان يحفر الآبار ويوقفها صدقة جارية على المسلمين جميعاً.

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ١٥٩ عن حلية الاولياء.

(٢) يريد بالسفر الموت، فانه سفر الى الآخرة.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) راجع: آداب العشرة من كتاب الحج في وسائل الشيعة/ مج١، وابواب المعروف من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مج/١١ من وسائل الشيعة.

ويسأل الامام الباقر(ع) شخصاً عن سبب عدم تزويجه فيشتكي له قلة ذات اليد فيعطيه الامام سبعة دنانير ليتزوج بها ويقطع الامام(ع) طوافه ليقضي حاجة المحتاج.

وشملوا برفقهم حتى غير المسلمين[١] بل حتى الحيوانات[٢] والذي يراجع عهد الامام علي(ع) الى مالك الاشتر لما ولاّه مصر يجد فيه منهجاً متكاملاً لرعاية الانسانية جميعاً مهما كانت أجناسهم ومعتقداتهم فانهم (صنفان: إما أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)[٣].

(السابعة): تحذير الأمة من الممارسات الخاطئة في فهم وتطبيق الاسلام.

بسبب اقصاء ائمة أهل البيت(ع) وتشتت أمر الناس كانت تظهر بين الفينة والاخرى صور خاطئة لفهم الاسلام وتطبيقات منحرفة للدين وتُصوّر على أنها الدين بعينه مما ينعكس بأثر سيئ على الدين إذا نُظِر اليه من خلال هذه الممارسات باعتبار أنّ لها منشأً شرعياً كما يتوهمون.

ولذا كان الائمة(ع) يقفون في وجهها بإظهار التطبيق الصحيح ومن الشواهد على ذلك: وأحد تلك الاتجاهات ما كان يفعله الصوفية من طقوس وشعائر ومظاهر خارجية وأفعال خارجة عن أصل الدين[٤] وغالباً ما كانوا يبتغون من وراء ذلك خداع العامة وكسب ودّهم وإكرامهم وتقديسهم وكانوا يلبسون الصوف والخشن من الثياب كشعارٍ لهم ورياءً أمام العامة[٥]. وللرد

---

(١) النصراني الذي وجده الامام علي∆ يستعطي فكفله من بيت المال.

(٢) عندما وجد∆ فرساً مهملاً لا يعتني به أحد بعد أن فقد القدرة على الخدمة فأمر برعايته من بيت المال.

(٣) راجع نصّ العهد في نهج البلاغة.

(٤) ضمّ كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي الذي يعتبر معتدلاً بالنسبة لكتب الصوفية الكثير مما يسمى بـ (شطحات الصوفية) ومنها أن يدخل أحدهم الحمام ويسرق ثياب الناس فيضربونه في السوق ويهينونه فيفرح هو لانه تمرّد على نفسه الامارة بالسوء.

(٥) ولقد علّق هنا سيدنا الاستاذ Π بما يناسب مسلكه الاخلاقي خصوصاً وأنه كان منهمكاً فيه تلك الفترة (منتصف الثمانينات) وزاد الامر وضوحاً لكي يرفع الخلط في بعض الامور، فقال: (ينبغي الالتفات هنا الى عدة نقاط قبل التسرّع بالحكم: بأن لبس الخشن وأكل الجشب يمثل انحرافاً عن الاسلام:

النقطة الاولى: انه يكاد أن يكون من ضروريات الدين وعليه عشرات بل مئات الرويات وعليه ايضا مسلك عددٍ مهم من علمائنا الابرار (قدس الله اسرارهم): استحباب الزهد بل تأكّد استحبابه جداً والاعراض

عن أهمية الدنيا وملاذها وشهواتها وأهدافها وقد ألّفت في ذلك العديد من الكتب يكفينا من ذلك نهج البلاغة الذي ذمّ الدنيا ووصفها بما تستحق من الاوصاف وخطبتهΔ في لزوم اتباع سيرة الانبياء موسى وعيسى ومحمد E حتى أن موسىΔ كان تظهر خضرة النبات من صفاق بطنه لهزاله، وعيسى كانت دابته رجليه وخادمه يديه... الخ، ثم يصف حال النبي2 ثم يعرّج على نفسه حتى يذكر مدرعته وأنه قد رقعها حتى استحيا من راقعها ولا إشكال أنّ لنا بهم أسوة حسنة وفيها - أو في غيرها - أن الدنيا لو كانت عند الله شيئاً لما حرّمها نبيّه وأولياءه وأعطاها لاعدائه... الخ، فراجع.

النقطة الثانية: إنه ورد بعدة مضامين ان الامر يدور بين الدنيا والآخرة وهما ضرتان لا تجتمعان بمقدار ما يزيد من احدهما يقلّ من الاخرى حتى انه لا تنال سلامة القلب والنور الذي يمشي به في الناس وغير ذلك من الرحمات الخاصة الا بدرجة مهمة من الزهد والاعراض عن الدنيا وليس لأهل الدنيا أي حصة في عالم الملكوت، هذا على أن لا يكلّف الانسان ما لا يطيق وأن يتصرف معها في حدود وسعها.

النقطة الثالثة: ان بين الزهد والتصوف فرقاً كبيراً فإن الزهد هو الاعراض عن الدنيا ومحاربة الشهوات والنفس الامارة بالسوء واما التصوف فهو مسلك معين له محاسنه وعيوبه قائم على تسلسل المشيخة بحيث لا يحصل أحد على نتيجة باعتقادهم الا اذا اجازه شيخه في الطريقة، ويوجد منهم من يمارس الرقص ومنهم من يترك العبادات الواجبة وغير ذلك فالمسلك بمجموعه ليس بصحيح وإن كانت بعض وجهات النظر لديهم قد تتفق مع غيرهم (كالاعراض عن الدنيا إن كانت لله تعالى وليس طلباً للدنيا من جهة اخرى كما قلنا - ليس منه Π).

النقطة الرابعة: أنه وجدت اتجاهات مؤسفة تخلط بين الزهد والتصوف بمعنى: انه تنبز كل زاهد بانه متصوف، مضافاً الى ان الكثير منهم أسقط الزهد عن نظر الاعتبار واعتبره انحرافاً وخارجاً عن الدين ونحو ذلك.

واتجاه الخلط هذا ناشئ من أحدى جماعتين:

الاولى: الاستعمار الاوربي الذي حاول أن يبعّد الناس عن دينهم ويقرّبهم الى الدنيا فإنه لعله ادرك ان المسلمين لو كانوا زهّاداً لازداد صبرهم وشجاعتهم ضده وزاد اعراضهم عن تسويفه ورغائبه وخدمة أغراضه، وكان أفضل طريق له في الابعاد عن الزهد هو ان يقرن بينه وبين التصوف الذي يكرهه الناس ويخافون منه.

وهذا الاتجاه الذي انطلق منه - من حيث يعلمون او لا يعلمون - كل الكتاب المحدثين (العلمانيين) الذين كتبوا عن التصوف او تعرضوا له او ترجموا من هو زاهد أو متصوف، فلم يخلُ أحدٌ من طعونهم ونقدهم.

الجماعة الثانية: اتجاه التدين الحديث الذي كان ولازال - إلى حد ما - ينبذ الزهد والتصوف بكل ما اوتي من قوة ويعلن انسجام الدين مع الدنيا مانة بالمانة مستشهداً بالروايات التي ذكرتها في الكتاب.

عليهم كان الامام(ع) يلبس أفخر الثياب وأغلاها كان الامام السجاد(ع) يشتري كساء الخز

ولكن يا حبيبي ان هذا على اطلاقه وبشكله الكامل خطأ ومخالف لكتاب الله وسنة الرسول2 ووصيه وسيرة الانبياءE والصالحين بل ينبغي اعطاء كل شيء حجمه وحكمه الحقيقي كما يدلّنا عليه الدليل الشرعي.

فإنك تعلم ان الناس يختلفون في مقدار الادراك والثقافة، كما يختلفون في مقدار الصبر والتحمل الى جانب اختلافاتهم الاخرى، فبعد ان نأخذ بنظر الاعتبار أن الزهد راجح ومطلوب حقيقة يمكن أن نستثني من ذلك عدة صور:

الصورة الاولى: في النقاش مع المادية الاوربية أيّاً كان اتجاهها، فإن الكلام معها ينبغي أن يقتصر في عرض قانون الاسلام العادل او غير ذلك على ما هو واجب ومحرم في الاسلام وعلى الفتاوى الاعتيادية (الظاهرية) المتسالم على صحّتها دون المسالك (الخاصة) التي تربي النفس والضمير، فإننا تجاههم أمام أصل العقيدة ولسنا بصدد تربية النفس.

وهذه الصورة هي التي تعطي ضوءاً وعذراً لاتجاه التدين الحديث في ابتعاده عن الزهد لانه كان منازلاً للمادية الاوربية التي لا يجب تذكر الزهد أمامها، الا انهم مع الاسف تطرفوا في النقد العاطفي، حتى ان بعضهم كان يتعجب بل لعله يستهزئ بمن يقيم النوافل اليومية ويكثر من الدعاء، ولله في خلقه شؤون والحديث ذو شجون.

الصورة الثانية: في تربية العامة الذين يغلب عليهم قلة الصبر وقوة الشهوات والاندفاع بالاطماع الدنيوية فإننا لا يجوز ان نكلفهم ما لا يطيقون ونأمرهم بالزهد الذي لا يتحملون، وإنما يجب توجيههم الى الواجبات والمحرمات العامة فقط.

الصورة الثالثة: حفظ الظاهر في عدة أشكال: إما لأن الفرد الزاهد لا يريد أن يعرف الناس عنه الزهد فهو يماشيهم على طباعهم وأما لأن الفرد لا يريد من الناس اتباعه في الزهد لانهم لا يطيقون وإما لأن الفرد لا يريد تورط الناس بنقده والاحتجاج عليه وعلى مسلكه فهو يتصرف معهم بما يدركون... وهكذا.

أقول: وعلى احدى هاتين الصورتين - الثانية والثالثة - يحمل كلام الائمةE في الروايات التي نقلتها في الكتاب وبذلك ايضاً يمكن الجمع ورفع التهافت بين ما دلّ على الزهد وبينها وكذلك رفع التهافت بين فعلهم وفعل آبائهم كأمير المؤمنينΔ.

أقول: ولا ينبغي ان تفوتك تلك الرواية التي ذكرتَها بنفسك وهي التي يلتقي فيها الامام الصادقΔ بأحد الزهاد فيجد أنه قد لبس الخشن ظاهراً وتحته ثوب رقيق في حين أن الامامΔ كان بالعكس فقال له الامامΔ: هذا لله وهذا لكم، إذن فهؤلاء الائمةE الذين كانوا يلبسون الثياب الفاخرة كانوا زهاداً لله فقط بدون عجب ورياء.

بخمسين ديناراً ثم يبيعه بعد فصل الشتاء ويتصدق بثمنه على الفقراء وفي الصيف يلبس أفخر الثياب ويقول: قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق، ويُروى أن ابن عيينة قال لابي عبد الله الصادق(ع): إن جدّك على بن ابي طالب(ع) كان يلبس الخشن وأنت تلبس القهوي المروي، فقال: ويحك يا ابن عيينة إن علياً كان في زمن ضيق فاذا اتسع الزمان فابرار الزمان اولى به[١]، وكان الحسن بن عليH اذا قام الى الصلاة لبس اجود ثيابه فقيل له: يا ابن رسول الله لم تلبس اجود ثيابك فقال: إن الله جميل يحبّ الجمال فاتجمّلُ لربّي وهو يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[٢]، فأحب أن البس اجود ثيابي. وقد أصيب الامام الحسين(ع) يوم عاشوراء وعليه جبّة خزّ. وروي أن سفيان الثوري مرّ في المسجد الحرام فرأى ابا عبد الله(ع) وعليه اثواب كثيرة قيّمة حسان فقال: لآتينّه ولأوبخنّه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله، والله ما لبس رسول الله(ص) مثل هذا اللباس ولا علي ولا أحدٌ من آبائك! فقال ابو عبد الله(ع): كان رسول الله(ص) في زمان قتر مقتر وكان يأخذ لقتره وإقتاره، وإن الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها وأحقّ أهلها بها ابرارها ثم تلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[٣]، فنحن أحقّ من أخذ ما اعطاه الله، يا ثوري ما ترى علي من ثوب إنما لبسته للناس ثم اجتذب بيد سفيان فجرّها اليه ثم رفع الثوب الاعلى وأخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً ثم قال: هذا لبسته لنفسي وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان اعلاه غليظاً خشناً وداخل ذلك الثوب ليّن، فقال: لبست هذا الاعلى للناس ولبست هذا لنفسك تسترها[٤].

والفقرة الأخيرة من الرواية تبيّن عدم التعارض بين سلوك الامام الظاهر والباطن فإنهم(ع) إنما كانوا يعارضون الظهور بلبس الخشن وتحميل الناس عليه وعلى ترك التمتع بالطيبات وترك الامور المهمة كالمعرفة بالله تعالى والاهتداء الى الائمة الحقيقيين وجوهر الاسلام وكان اغلب هؤلاء المتصوفة مرائين يفعلون ذلك لاستمالة قلوب العامة وقد قال امير المؤمنين(ع):

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر ٢ / ١٢٤..

(٢) الأعراف: من الآية٣١.

(٣) الأعراف: من الآية٣٢.

(٤) الميزان في تفسير القرآن ٨ / ٩٢ - ٩٣.

«افضل الزهد اخفاء الزهد»[١] ومنهم من يفعل جهلاً بمنهج الاسلام الاصيل الذي يضع الامور في مواضعها المناسبة لذا قام الائمة(ع) بدورهم كقادة حقيقيين للامة بتوضيح هذه الامور للامة اما هم بينهم وبين الله تعالى فيلبسون الخشن - دون تحريم للتمتع بالطيبات - لانه أقرب للتواضع ويحقق الخشوع، رُئي على امير المؤمنين(ع) أزار خَلِق مرقوع فقيل له في ذلك، فقال: يخشع له القلب وتَذِلّ به النفس ويقتدي به المؤمنون. إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحبّ الدنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماشٍ بينهما، كلما قربَ من واحدٍ بَعُدَ[٢] من الآخر، وهما بعدُ ضرّتان»[٣] وعُرِف عنهم(ع) قولهم: «إن الله اذا أنعم على عبدٍ أحبّ أن تظهر عليه» وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٤].

ووبّخ الامام السجاد(ع) الحسن البصري عندما رآه يعظ الناس بما لا ينسجم مع إتجاه الاسلام[١].

وربما كان لظهور الصوفية منشأ آخر هو أنه جاء رداً سلبياً ساذجاً على ترف الحكام، وأنهماكهم في ملذات الدنيا وإهمالهم للرعية فقد قدّم معاوية لأحد ضيوفه طعاماً مركباً من مخ العصفور مخلوطاً بكذا ومحشواً في أمعاء الوز ويصف سليمان بن عبد الملك ترفه بأنه أكل الطيبات حتى صار لا يفرّق بين لون وآخر ونكح النساء حتى صار لا يفرّق بين واحدة وأخرى أما الليالي الحمراء للحكّام العباسيين فقد سار بها الركبان علماً أن هذا الاتجاه قد بدأ في صدر الاسلام حيث نقلت الاخبارالى عمر بن الخطاب: أن عامله على الشام معاوية بن ابي سفيان قد

---

(١) قصار الكلمات، رقم: ٢٧.

(٢) أبدى سيدنا الاستاذ∏ ارتياحه للالتفات الى هذه المعاني وتثبيتها وقال هنا معلقاً: «هذه الفقرة كلها مكتوبة بروح اخرى غير الروح (او الاتجاه) الذي كتبت بها فجزاك الله خيراً.و ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم (الأعراف: من الآية٤٣).

(٣) قصار الكلمات، رقم: ١٠٣.

(٤) ذكرتُ هذا الحديث كشاهد على عدم التحريم، لكن سيدنا الاستاذ∏ علّق هنا: «هذا الحديث منافٍ بظاهره لغرضك الا اذا فسّرنا النعمة بنعمة الهداية للزهد نفسه. والآية من سورة الضحى: ١١ .

حولّ الامارة الى كسروية وقيصرية فاستدعاه للمساءلة فقدّم اعذاره التي لا أساس لها من الاسلام وكان ردّ أبي نزّ٨ وهو التلميذ المخلص لأمير المؤمنين(ع) واعياً وهو المطالبة بالعدالة وعدم الاستئثار بالفيئ والتطبيق الكامل لتعاليم الاسلام والتزهيد في الدنيا الفانية والتحرّر من العبودية لها وإنما تكون العبودية لله تعالى وحده والتحذير بالعقوبة الشديدة لمن يتجاوز على حقوق الآخرين.

الثاني: فهم الزهد على أنه الانعزال في البيت وترك الكسب وطلب الرزق والعيش عالة على[٢] الناس على أساس أن ذلك يفرغهم للعبادة وهو فهم خاطئ ومنحرف.

نعم، قد يقتضي الزهد التقليل من الكسب والرضا بالقليل بحسب ما يقتضيه حال السائر الى الله تعالى.

وربما كان أحد مناشئه في الخوف في القلب الزائد على الرجاء بينما يقول الرسول(ص): «في قلب المؤمن نوران لو وزن أحدهما لما رجح على الآخر: الخوف والرجاء»، وفسّرا في حديث آخر نقلاً عن مواعظ لقمان الحكيم: بأنك لو أتيته بذنوب الثقلين لرجوت أن يغفر لك ولو جئته بعمل الثقلين لخفت ان يعذبك.. وكان الائمة(ع) يشتغلون بطلب الرزق والتكسب ويعتبرون ذلك جزءاً لا غنى عنه من العبادة مادام يطلب بكسبه هذا أغراضاً إلهية كالانفاق على العيال والبذل في سبيل الله وقضاء حاجة المحتاجين والتمكن من الحج والعمرة والزيارة والتعفف عن الآخرين، وهو من أوجه النشاط التي يمكن أن نعتبرها رداً عملياً على هذا الفهم الخاطئ.

عن الصادق(ع) ان محمد بن المكندر كان يقول: ما كنت أرى ان مثل علي بن الحسين يدع خلفاً لفضل علي بن الحسين حتى رأيت ابنه محمد بن عليH فأدرت أن اعظه فوعظني،

---

(١) الاحتجاج، ج ٢.

(٢) دافع سيدنا الاستاذ Π عن بعض الحالات الصحيحة لترك الكسب قائلاً: «إن هؤلاء الذين يتركون الكسب زهداً، لا يحتمل في حقهم – إن كانوا عن إخلاص حقيقي – الطلب من الناس او الاقتراض منهم فإن الفرد لا يصل الى مثل هذه المرتبة الا بعد أن يكون قد قطع تلك المراتب عن نفسه، كما لا يحتمل في حقه إهمال الاسرة والاولاد، فإن من له أسرة يصعب عليه جداً التزهد إلى هذه الدرجة، بل قد يحرم عليه ذلك لأنه سبب للاضرار بالاسرة او تحميلها ما لا تطيق، وعلى أي حال فالمسلك قد يكون عن إخلاص بدون انحراف لا كما هو مشار اليه في الكتاب.

خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيت محمد بن عليH وكان رجلاً بديناً وهو متكئ على غلامين له فقلت شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على مثل هذا الحال في طلب الدنيا لأعظنّه فدنوت منه وسلّمتُ عليه فسلّم عليّ بنهر وقد تصبّب عرقاً فقلت: اصلحك الله شيخ من اشياخ قريش في هذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا لو جاءك الموت وأنت على هذه الحالة، قال: فخلّى عن الغلامين يديه ثم تساند وقال: لو جاءني والله الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله أكفّ بها نفسي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله فقلتُ يرحمك الله اردت أن اعظك فوعظتني[١]. يشير بالمعصية[٢] الى ترك التكسب معرضاً بابن المنكدر، أو بالذين يتظاهرون بالاعراض عن الدنيا وترك طلبها والتفرغ للعبادة وهم انما يريدون الجاه والسمعة عند الناس فهم يطلبون الدنيا بترك الدنيا ظاهراً وقد قال رسول الله (ص): «ملعون ملعون من القى كلّه على[٣] الناس ووصف رجلاً يكسب وينفق على أخيه الذي ترك العمل وتفرّغ للعبادة بأن الاول أعبد من الثاني. وقال رجل للإمام الصادق (ع): إني أحبّ الدنيا، فقال له الإمام: تصنع بها ماذا؟ قال: أتزوج منها وأحجّ وأنفق على عيالي وأنيل أخواني، فقال الامام (ع): ليس هذا من الدنيا بل هو من الآخرة[٤].

وقد عُرف عن عدد من الائمة (ع) إشتغالهم بالزراعة والتجارة كالامام علي (ع) والباقر (ع) والصادق (ع) وكان الصادق (ع) لا يدعو بالرزق لمن لم يسعَ ويقول: «أرأيت لو أنّ رجلاً دخل بيته وأغلق بابه أكان يسقط عليه شيء من السماء»[٥]. وهناك أحاديث جمّةحول هذا

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٢١٣.

(٢) هذا محتمل احتمالاً ضعيفاً في ظاهر الرواية، بل إن الامام(ع) إما ان يريد مطلق المعصية يعني يقول: أموت على هذه العبادة أحسن من أن أموت على أي ذنب أو يريد أن يعرّض بالمخاطب، وذنبه سوء الظن بالامام (ع) في ذلك الموقف (من تعليقات سيدنا الاستاذ Π).

(٣) هنا علّق سيدنا الاستاذ Π: (يستحيل بالزاهد المخلص أن يكون كذلك حتى من الناحية المعنوية فضلاً عن المادية).

(٤) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٢٩٩.

(٥) الكافي ٥ / ٧٨.

الموضوع مبثوثة في جوامع الحديث. على ان الزهد - بحسب المصطلح القرآني وفي منظور أهل البيت (ع)- لا يتعارض مع كسب الرزق الحلال وقد لخّص الامام علي(ع) معنى الزهد بقوله: «الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[١] ، ومن لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه»[٢].

وقال الصادق(ع): «أزهد الناس من ترك الحرام»، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ[٣] نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[٤].

وفي الحقيقة فإن هذا الاتجاه له جذوره القديمة من زمان الرسول (ص) وكان بسبب الخوف الزائد وغير المتوازن مع الرجاء، فقد روي: ان[٥] النبي (ص) جلس يوماً فذكّر الناس ووصف القيامة فرقوا وبكوا واجتمع عددٌ منهم واتفقوا على صوم النهار وقيام الليل وتجنّب النساء وأكل اللحم ولبس المسوح والسياحة في الارض فعلم الرسول (ص) بخبرهم فرقى المنبر وقال:

---

(١) الحديد/ ٢٣.

(٢) نهج البلاغة، قصار الكلمات، رقم ٤٣٩، ص ٦٤٩.

(٣) هنا علّق سيدنا الاستاذ Π: لا يحتمل أن يحثّ القرآن الكريم على أن يلقي الانسان نفسه على الدنيا كالدواب المعلوفة او كالكفار (أحمرة المال). بل هذه الآية لها وجوه من التفسير، منها: كونها خطاباً للعامة الذين لا يتحملون الزهد، ومنها: وجوب الالتفات الى نعم الله عليه في الدنيا وعدم نسيانها كي يؤدي شكرها، ومنها: أن يراد من النصيب اتصافه بالاحكام المختلفة فمنه الواجب ومنه المستحب ومنه المكروه، ومنه الحرام فيجب الالتفات الى ذلك وعدم نسيانه بحكم الآية، ومنها: أن يراد بالنصيب والاحكام المتوجهة الى الفرد في هذه الحياة ومنها الواجب والحرام وغيره فلا يجب نسيانها والتغاضي عنها الى غير ذلك.

أقول: ويكفي جعل صدر الآية قرينة متصلة ودليلاً على فهم آخرها ففكر جيداً.

(٤) (القصص / ٧٧).

(٥) علّق سيدنا الاستاذ Π بقوله: (هنا في هذه الرواية يتضح ان العامة الذين لا يتحملون ترك الدنيا ارادوا تركها فكلّفوا انفسهم ما لا يطيقون من حيث لا يعلمون والنبي 2 عالم بذلك فنهاهم عنه واعطاهم بمقدار ما يطيقونه من أساليب تربيتهم، ومن الادلة على ذلك في الرواية نفسها قوله 2: «فإنما هلك من كان قبلكم بالتشدد، شدّدوا على أنفسهم (أي كلّفوها ما لا تطيق) فشدّد الله عليهم (فحصلت لهم نتائج سيئة قد لا تكون متوقعة)».

«ما بال أقوام حرّموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لستُ آمركم أن تكونوا قُسساً ورهباناً فإنه ليس في ديني ترك اللحم ولا النساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وحُجّوا واعتمروا واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شدّدوا على انفسهم فشدّد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع، فانزل الله تعالى الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾[١].

وزار أمير المؤمنين (ع) العلاء بن زياد الحارثي - وهو من أصحابه - بالبصرة يعوده فقال له العلاء: يا امير المؤمنين أشكوا اليك أخي عاصم بن زياد، قال: وما له؟ قال: لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا، قال (ع): عليّ به، فلما جاء قال: «يا عديّ - تصغير عدو - نفسه ! لقد استهام بك الخبيث! أما رَحِمتَ أهلك وولدك! أترى الله أحلّ لك الطيبات، وهو يكره أن تأخذها، أنت أهونُ على الله من ذلك! قال: يا امير المؤمنين: هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ! قال: ويحك، إني لست كأنت، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضَعَفَةِ الناس، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره - أي لكيلا يهيج به الم الفقر - »[٢].

الثالث: ومن نتائج الخوف هذا والتشديد نتج سلوك خاطئ آخر هو الوسواس والشك وعدم اطمئنان الانسان لصحة الاعمال والفرائض التي يؤديها مما يؤدي الى نتائج وخيمة اولها التمزق النفسي وينتهي الى أحد أثنين: أما الامراض النفسية، او ترك الدين بالمرة وهو من اساليب الشيطان وذلك بإبعاد الناس عن دينهم من خلال دينهم أو ظنهم بانه من الدين فوضع الائمة(ع) علاجاً للشكوك وإذا زادت عن الحد الطبيعي فلا شكّ لكثير الشك وكانوا (ع) ينهون أصحابهم عن الوسواس ويخبرونهم بأنه من عمل الشيطان. وقد وصف رجل عند الامام الصادق(ع) بأنه عاقل، قال (ع): وكيف قالوا: يعيد وضوءه وصلاته مرات، قال(ع): فاسألوه

---

(١) المائدة: ٨٧ - ٨٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٧، ص ٣٩٤.

أن ما يفعله هل هو من الرحمن أم من الشيطان وهو(ع) متأكد من انه لا يجيب بأن هذا من الرحمن.

الرابع: طلب الحسنة بالسيئة والثواب بالمعصية ومن ذلك: ما روي عن الصادق(ع) أنه قال: قوله عز وجل: إهدنا الصراط المستقيم، يقول: ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ الى جنتك من أن نتّبع أهوائنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك فأن من اتبع أهواءه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء الناس تعظمه وتصفه فأحببت لقائه من حيث لا يعرفني لا نظر مقداره ومحله فرأيته في موضع قد احدقوا به جماعة من غثاء العامة فوقف منتبذاً عنهم، متغشياً بلثام انظر إليه واليهم، فما زال يراوغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم» إلى أن يقول «فلم يلبث أن مرَ بخبازٍ فتغفله فأخذ من دكانه رغيفين مسارقة ثم مرَ بعده بصاحب رمان فما زال به حتى تغفله فأخذ من عنده رمانتين مسارقة ثم لم أزل اتبعه حتى مرَ بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه» فسأله الامام(ع) عن سر فعله هذا فاتّهمه بجهله للقرآن يقول الامام(ع): «قلت وما الذي جهلت ؟ قال: قول الله عز وجل «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى ألا مثلها» واني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، فهذه أربع سيئات فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت أربعين حسنة، انقص من أربعين حسنة أربع سيئات، بقي ست وثلاثون، قلت: ثكلتك أمك ! أنت الجاهل بكتاب الله ! أما سمعت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]، انك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين، ولما دفعتها إلى غيرها من غير رضا صاحبها كنت إنما أضفت أربع سيئات إلى أربع سيئات، ولم تضف أربعين حسنة إلى أربع سيئات، فجعل يلاحيني فانصرفت وتركته»[٢] وكم يوجد أمثال هذا الرجل في زماننا وكل زمان حيث يتوهمون أنهم يقومون بمستحبات وقربات إلى الله - حسبما يظنون- بينما هم يتورطون بمعاصي ربما تصل حد الكبائر، بتسويل من الشيطان وأنفسهم الأمارة بالسوء فيقدحون في

---

(١) المائدة: من الآية/ ٢٧.

(٢) الاحتجاج: ١٢٩/٢-١٣٠.

كرامة المؤمنين ويفترون عليهم بحجة أن المصلحة الدينية تقتضي ذلك وكأنهم القيّمون على أمر هذه الامة والدين ليحدّدوا المصلحة لهما.

(الثامنة): توفير بعض خريجي مدرستهم ممن لم يصبغوا بطابع الانتماء لهذه المدرسة.

أو على الأقل أن السلطة لا تعتبرهم اعداءاً وتتعرض لهم بسوء ودفعهم إلى الحياة العامة، فان شريحة كبيرة من المجتمع كانت لا تتلقى شيئاً من أهل البيت(ع) أو شيعتهم ولا تتصل بهم لوجود حساسية في ذلك وهذا نابع من حرص الائمة (ع) على هداية الأمة التي حرمت نفسها من الاستفادة من علوم أهل البيت(ع) ولم يعرفوهم حق المعرفة فدفعوا عدداً من العلماء والفقهاء إلى المساجد ودور العلم ليثقفوا الأمة ومن أولئك عبد الله بن عباس الذي لا ينكر فضله في نقل العلوم الإسلامية حتى قيل فيه انه حبر الأمة وترجمان القرآن وقد تزود بعلمه من أمير المؤمنين علي (ع) ولما سئل عن علم علي(ع) قال: ما علمي وعلم جميع أصحاب رسول الله (ص) في علم علي ألا كقطرة في بحر[١] ومنهم سعيد بن المسيب وزرارة بن أعين وابان بن تغلب الذي كان إذا دخل على الإمام الصادق (ع) صافحه واعتنقه وأمر له بوسادة ورحبَ بقدومه وإذا دخل مسجد النبي(ص) أخليت له سارية النبي(ص) وتقوضت إليه الحلق وقال له الإمام الباقر(ع): اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإني احب أن يرى في شيعتي مثلك [٢].

وقد أحصى السيد شرف الدين مئة من علماء الشيعة في إسناد الحديث لدى أهل السنة [٣] ولولا هذه الرحمة التي شمل بها أهل بيت النبي (ص) الذي أرسل رحمة للعالمين لتاهت في ضلال الابتعاد عن المعدن الأصيل لشريعة الله تبارك وتعالى خصوصاً بعد أن سعت السلطات بكل ما تمتلك لإقصاء فقه أهل البيت(ع) وكان أحدٌ لا يجرؤ على الإفتاء برأي احدهم (ع) وإلا كان مصيره القتل والتشريد والتعذيب كما حصل لجماعة مثل سعيد بن جبير ويحيى بن ام الطويل [٤]

---

(١) راجع قوله وقول ابن مسعود في (عقيدة الشيعة في الامام الصادقΔ: ١٦٠ (ملامح من عبقرية الامام عليΔ)

.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢٠٥/٢

(٣) المراجعات: ٧٠ – ١٢٦.

(٤) سيرة الأمة الاثني عشر: ٢٠٣/٢.

من التابعين وغيرهما لذا كان العلماء إذا أفتوا بشيء موافق لأهل البيت (ع) لا يذكرون المصدر فيُنسب الرأي لهم وكأنهم يفتون من عند أنفسهم والحقيقة غير هذه أو ينقلون عن أمير المؤمنين (ع) باسم (ابي زينب) للتمويه[١] بل كان الامر ازيد من ذلك إلى حدٍ لم يفهمه الكثير من الأصحاب فقد صدر من الإمام الصادق (ع) ذم في حق زرارة وهو من اعظم الاصحاب فظن كثيرٌ السوء به حتى دخل عليه ولد زرارة وأراد أن يستفهم الحق في هذا الأمر فأثنى الامام(ع) على زرارة وفضله على الأمة وتحمله لفقه أهل البيت (ع) إلاّ أن ذلك كان تخطيطاً لحمايته اولاً ولكي تتلقى الأمة المعاندة من عمله الأصيل بعد أن يسمعوا ذم الامام (ع) له وتبريه منه فلا يحسب عليه.

وقال الامام الصادق(ع) في تفسير هذا الموقف: (إني إنما اعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون الى كل من قرّبناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى في من نحبّه ونقرّبه ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوّه منا ، ويرون إدخال الاذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن فإنما أعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الاثر بمودتك لنا ولميلك الينا فأحببتُ أن اعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك، يقول الله عز وجل: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٢]، والله ما عابها الا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله ، فافهم المثل يرحمك الله فانك والله احبّ الناس الي وأحب أصحاب ابي حياً وميتاً فانك افضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها ورحمة الله عليك حياً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً)[٣]

.

(التاسعة): تربية الأمة على اخلاق الاسلام والالتزام بتعاليمه.

---

(١) راجع التفاصيل في سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/٢٥٤، ٣٣٤.

(٢) الكهف: ٧٩ .

(٣) معجم رجال الحديث: ٧ / ٢٢٧- ٢٢٨.

من خلال تجسيد هذه الاخلاق عملياً في واقعهم فان من الوسائل المهمة في التربية هي القدوة والاسوة الحسنة حسب تعبير القرآن الكريم فان التعليم والتأديب وحده لا يؤثر إذا لم يقترن بالعمل والتطبيق[١] وغالباً ما يتوفر على مدى الاجيال حملة كثيرون للعلم ووعاظ وخطباء ألا أن اثرهم محدودٌ في المجتمع لعدم اقتران القول بالفعل بشكل دقيق ولم تتحقق الدقة في التطبيق ألا في سيرة المعصومين (ع) بل أن العصمة على التحقيق لا تعني ألا ذلك ولأهمية هذه الملازمة كان الائمة (ع) يحثون على العمل واشتهرت توصيتهم (ع) «كونوا لنا دعاة صامتين»، وقد فسر الدعوة الصامتة بقوله: «تعملون بما امرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم ألا على خير» وهم (ع) لا يأمرون بأمرٍ ألا كانوا أول المبادرين إليه ولا ينهون عن شيء ألا كانوا اول المنتهين عنه[٢] وهم بذلك يعكسون صورة الاسلام النقية وكان هذا التصرف مهماً لأن أمماً كثيرة دخلت إلى الاسلام دون أن تعلم بمنابعه الأصيلة ولم تكن تشاهد أمامها ألا النماذج المشوهة المنحرفة من المسلمين الممثلة بالمتسلطين والحكام بغير حق وهذا خطر على هؤلاء لانه سيتراءى لهم أن الاسلام هو هذا فإما أن يعتنقوه كما هو امامهم أو يرتدوا عن الاسلام لعدم القناعة بهذه النماذج.

وهكذا كان التناقض واضحاً بين سلوك الائمة (ع) المطابق للاسلام والحكام المنحرفين عنه واستطاعوا بذلك الحفاظ على شريعة الاسلام كما هي فكراً وتطبيقاً وبعد أن وعت الأمة ذلك القت بزمامها اليهم وبدأت لا تعير تلك الحكومات أذناً صاغية في كل ما يتعلق بالاسلام وتعاليمه حتى قال سفيان الثوري: الملك في الشام والخلافة في المدينة وهو تعبير دقيق عن قطبي الخير والشر والحق والباطل.

وكنموذج لهذا الدور المشترك نستعرض جانباً من تعاملهم مع الناس من خلال العفو والصفح عن المسيء الذي تميزوا به حتى مع اعدائهم وبهذا السلوك علموا الأمة كيف تحيا متآلفة متحابة كأنها الجسد الواحد وكسبوا بسيرتهم هذه الاعداء قبل الاصدقاء محولين قوله

---

(١) راجع تفاصيل ذلك في محاضرة (حاجتنا الى الاسوة الحسنة) المنشورة في كتاب (نحن والغرب).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣/ ص٣٠٥.

تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[١] ، إلى واقع عملي فقد عفا أمير المؤمنين (ع)بعد انتصاره في معركة الجمل عن مروان بن الحكم وعن عبد الله بن الزبير وعن عمرو بن العاص وغيرهم ممن خرج لقتاله ونكث بيعته وألب الناس ضده وقد قال (ع) : (إذا ظفرت بعدوك فليكن العفو احلى الظفرين)[٢] وقال الإمام السجاد (ع): ما تجرعتُ جرعة أحبَ اليَ من جرعة غيظٍ لا أكافئ بها صاحبها» ووقف عليه رجل من بني عمومته فأسمعه كلاماً مراً وشتمه فلم يكلمه فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل وانا أحبُ أن تبلغوا معي حتى تسمعوا ردي عليه، فمضوا معه وهو يقول والكاظمين الغيظ والعافين عنه الناس والله يحبُ المحسنين فخرج الرجل متوثباً للشر وهو لا يشك انه إنما جاءه مكافئاً له على بعض ما كان منه، فقال له علي بن الحسين (ع): أخي أنت كنت قد وقفت علي آنفاً وقلت ما قلت فإن كنت قد قلت مافيَ فأني استغفر الله منه وإن كنت قلت ما ليس فيَ فغفر الله لك، فأقبل عليه الرجل معتذراً وقال: لقد قلت ما ليس فيك وأنا أحق به)[٣].

وكانت جارية تصبُ الماء للأمام السجاد (ع) فسقط من يدها الأبريق على وجه الامام(ع) فشجه وسال الدم منه فقالت له الجارية: إن الله يقول والكاظمين الغيظ فقال: قد كظمت غيظي فقالت: والعافين عن الناس، فقال: عفا الله عنك، فقالت: والله يحبُ المحسنين، فقال: أنت حرة لوجه الله[٤].

وكان هشام بن اسماعيل المخزومي والياً على المدينة لعبد الملك بن مروان وقد أساء للامام السجاد (ع) ولحقه منه اذى شديد فلما توفي عبد الملك عزله الوليد بن عبد الملك واوقفه للناس لكي يقتصوا منه فقال والله إني لا اخاف ألا من علي بن الحسين فمرَ عليه الامام (ع) وسلم عليه وأمر خاصته أن لا يتعرض له أحد بسوء وارسل له: أن كان اعجزك مالُ تؤخذ به فعندنا ما يسعك ويسد حاجتك فطب نفساً منا ومن كل من يطيعنا، فقال له هشام بن اسماعيل: الله اعلم

---

(١) فصلت: ٣٤- ٣٥.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١٥٨/٢ واضف اليه قوله E (نهج البلاغة ص٥٦٠،ص٥٩٦)

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ١٥٥/٢.

(٤) نفس المصدر والصفحة .

حيث يجعل رسالته[١] إلى غير هذه النماذج -وما اكثرها - التي تطفح بها سيرة أهل البيت (ع) والتي وسعت كل المسلمين فكانوا بذلك دعاة صامتين - إلى جانب الدعوة الناطقة - ومظهر آخر نحب ايراده لهذه الدعوة الصامتة وهو ما روي أن صالح بن وصيف - وكان مكلفاً بحبس الإمام العسكري (ع) - قال لجماعة طلبوا منه التضييق على الإمام: ما اصنع به وقد وكلت به رجلين أشرمن قدرت عليه فقد صارا من العبادة والصلاة إلى امر عظيم، ثم أمر باحضار الموكلين به، فقال لهما: ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل، فقالا له: ما تقول في رجل يصوم نهاره ويقوم ليله كله لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، وإذا نظر الينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من انفسنا، وكُلِف آخر بالتشديد على الإمام وكان شديد العداوة لآل محمد (ص) غليظاً عليهم فما أقام ألا أيلماً حتى وضع خديه له وكان لا يرفع بصره إليه اجلالاً وإعظاماً وخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرة واجودهم قولاً فيه[٢] .

وقد تعددت اساليبهم (ع) في تربية المجتمع وتعليمه اخلاق الاسلام خذ لذلك مثلاً اسلوب الإمام السجاد (ع) في تحرير العبيد بعد تثقيفهم وتنمية روح التحرر والاستقلالية في نفوسهم ألا لله تعالى قبل اعتاقهم كخطوة اساسية نحو التحرر الكامل ألا من العبودية لله تعالى فان الحرية الشكلية لا تنفع إذا لم يكن الشخص في نفسه متحرراً من عبودية الشهوات والطواغيت وذوي المصالح والنفوذ فأن الكثير ممن هم (احرار) ظاهراً ألا انهم عبيد لغيرهم فالتحرير الكامل لا يكون ألا بالتحرر الحقيقي من الحاجة والعبودية للآخرين والى هذه المرحلة أشار أمير المؤمنين(ع) في وصيته لولده الحسن (ع): (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً) والمرحلة الثانية هي التي عُبر عنها (كيف استعبدتم الناس وقد وضعتهم امهاتهم احراراً) والاقتصار عليه نصف الحل وغير كافٍ للقضاء على هذا المرض الاجتماعي الوبيل والشواهد على فشل مثل هذه الحلول كثيرة كفشل الرئيس الامريكي ابراهام لنكولن في القضاء على الرق أما الاسلوب الذي اتخذه الإمام السجاد(ع) في احترام الموالي وتكريمهم فقد شمل المرحلتين وساعد على توفير معلمين ونقلة للحديث ولفكر الإمام السجاد (ع) وآدابه واخلاقه إلى الأمة وكان لذلك تأثير

---

(١) المصدر السابق: ١٥٦/٢.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٥٠٦- ٥٠٧.

بالغ في اعطائهم الثقة بأنفسهم بحيث اصبح في يوم ما بعد وفاة الإمام السجاد (ع) جلُ فقهاء العالم الاسلامي من الموالي.

(العاشرة): قيادة الحركات الاصلاحية التي تستهدف تغيير الواقع الفاسد

الذي تعيشه الأمة وخلق البديل الافضل ورفع الظلم والحيف عن المسلمين بالعودة إلى تطبيق النظام الاسلامي الأصيل، وكانت هذه القيادة من خلال عدة اشكال تختلف باختلاف الظروف والملابسات المحيطة بالامام (ع) وللمستوى العقائدي الذي يتحلى به الجيل المعاصر للامام (ع) وسنزيد هذا الامر ايضاحاً في فصل لاحق بإذن الله تعالى، ويمكن الاشارة إلى بعض هذه الاشكال:

الاول: تسلم الحكم مباشرة - لو توفرت ظروفه الآتية - وتطبيق نظام حكومة العدل الالهي وقد حدثت مثل هذه الفرصة لأمير المؤمنين(ع) واستطاع - رغم قصر مدة خلافته والفتن الرهيبة التي مزقت العالم الاسلامي في عصره وتكالب مختلف القوى المعادية للحق المتسترة به لإحباط مساعيه الاصلاحية - استطاع أن يعرض عظمة الاسلام في ادارة شؤون الحياة وصلاحيته لقيادة البشر في كل زمان ومكان وسنستغني عن كل الكلمات التي قيلت في عدله ومنهج حكومته القويم بما قاله (ع) عن ذلك وهو الصادق المصدق الذي يفعل ما يقول من خلال بعض النصوص الموجودة في أثره الخالد (نهج البلاغة) قال(ع) فيما ردّه على المسلمين من قطائع عثمان[١]: «والله لو وجدته قد تُزوج به النساء وملكِ به الاماء لرددته، فإن في العدل سَعَة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق»[٢] وقال (ع): ايُها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم عليَ حق، فأما حقكم عليَ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا،واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم»[٣].

---

(١) أي الأراضي والبساتين التي اقتطعها عثمان الى بعض حواشيه لخصوصيات معينة .

(٢) الخطبة ١٥ ص ٤٥.

(٣) الخطبة ٣٤ ص٨٦.

وقال(ع) : لما عوتب على التسوية في العطاء «أتأمروني أن اطلب النصر بالجور فيمن وُليت عليه! والله لا أطوُر به - أي لا أمرُ به ولا أقاربه - ما سمر سمير - مدى الدهر - وما أمَ نجمُ في السماء نجماً ! لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وانما المال مال الله»[١] وقال(ع) : «اللهم إنك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردَ المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادِك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلّة من حدودك. اللهم اني أولُ من أناب وسمع فأجاب لم يسبقني ألا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بالصلاة. وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمتَه، ولا الجاهل فيضُلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، والحانق - أي الظالم - للدُول أي الاموال التي تَتَداول - فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع - أي الحدود التي عينها الله تعالى - ولا المعطِل للسنة فيهلك الأمة»[٢] وقال(ع): «ولقد أحسنتُ جواركم وأحطتُ بجهدي من ورائكم واعتقتكم من ربَق الذل وحَلَق الضيم شكراً مني للبر القليل وإطراقاً عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر الكثير»[٣] وقال متبرئاً من الظلم بكل أشكاله «والله لأن أبيت على حَسَك السعدان - الشوك - مسَهدا، أو أجَرَ في الاغلال مصفدا أحبَ اليَ من أن القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيءٍ من الحطام وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولُها ؟! والله لقد رأيتُ عقيلاً وقد أملق حتى أستماحني من بُركم صاعاً ورأيت صبيانه شُعث الشعور، غُبَر الالوان من فقرهم، كأنما سُودت وجوههم بالعظلم - سواد يصبغ به - وعاودني مؤكداً، وعليَ القولَ مردداً، فأصغيت إليه سمعي، فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقي، فأحميتُ له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجَ ضجيج ذي دنف - مرض - من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها - المكواة - فقلت له: ثكِلتك الثواكل يا عقيل ! أتئِنُ من حديدة أحماها إنسانها لِلعبه وتُجرني إلى نارٍ سجّرها جبارها لغضبه، أتِئنُ من الأذى ولا أئِنُ من لظى ؟! واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفةٍ في وعائها، ومعجونةٍ شَنِئَتها كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قيئها فقلتُ: أصِلَةٌ

(١) الخطبة ١٢٤ ص٢٣٠.

(٢) الخطبة ١٢٩، ص٢٣٦.

(٣) الخطبة ١٥٧ ص٢٧٤.

وعائها، ومعجونةٍ شَنِئَتها كأنما عُجنت بريق حيةٍ أو قيئها فقلتُ: أصِلَةٌ أم زكاةٌ أم صدقة ؟ فذلك محرمٌ علينا أهل البيت فقال: لاذا ولا ذاك ، ولكنها هدية فقلت هِبلتك الهَبول - المرأة التي لا يعيش لها ولد - ! أعن دين الله أتيتني لتخدعني ؟ أمختبطٌ أنتَ أم ذو جنةٍ أم تهجر ؟ والله لو اعطيتُ الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جُلبَ شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهونُ من ورقةٍ في فم جرادةٍ تقضمها ما لعليٍ ولنعيمٍ يفنى ولذةٍ لا تبقى ! نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[١] .

وقال (ع): «ومن استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحلَ بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذل وأخزى وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة، وافظع الغش غش الأئمة»[٢] وقال(ع): «ألا وإن لكل مأمومٍ إماماً، يقتدى به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه - الطمر: الثوب الخلق -ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع وأجتهاد وعفةٍ وسداد فوالله ما كنزتُ من دنياكم تِبرا، ولا ادخرتُ من غنائمها وفرا ولا أعددتُ لبالي ثوبي طمرا ولا حُزتُ من أرضها شبرا»[٣] ومن عهده الخالد إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر نختار بعض الفقرات -بالرغم منا خشية الإطالة وإلا فهو عسجد ذهبي من أي إطرافه أخذت اهتديت -ومما جاء فيه «وأشعِر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخٌ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق، يفرطُ منهم الزلل وتعرضُ لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطِهم من عفوك وصفحك مثل الذين تحبُ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك» ومنه «أنصفِ الله وأنصفِ الناس من نفسِك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوىً من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلِم ! ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته» ومنه «ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة وأجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثنَ سنة تضرُ بشيءٍ من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزرُ عليك بما

---

(١) الخطبة ٢٢١، ص٤١٩-٤٢١ .

(٢) الخطبة ٢٦٣ ص٤٥٨.

(٣) رقم القطعة ٢٨٢، ص٤٩٩.

نقضت منها، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة - أي محادثة - الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك»، ومنه: «وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتكَ حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فأن مغبة ذلك محمودة» [١].

الثاني: قيادة الثورات ذات الاهداف الاصلاحية ومثل هذا الدور أداه الإمام الحسين (ع) لأن حالة التردي والخنوع والاستسلام التي وصلت اليها الأمة يومئذ كانت تحتاج إلى دمٍ نفيس زكي غالٍ على كل افراد الامة ليستيقظ ضميرها وتنتعش إرادتها وتنتفض ضد الظلم والطغيان والانحراف فلم يكن أمامهُ إلا بذل دمه:

إن كان دين محمدٍ لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني

وقد صرح بهذا الهدف لمسيرته في كتابه إلى أخيه محمد بن الحنفية «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وانما خرجتُ لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله»[٢] وسيأتي إن شاء الله تعالى في فصل لاحق تفصيل هذا الدور ويمكن أن تكون ثورة الحسين (ع) قد فشلت[٣] بالحسابات العسكرية المجردة وعند غير اولي البصائر لكن النصر الحقيقي كان حليفهُ وما زلنا نشهد ثمار هذه الثورة الإلهية المباركة الخالدة.

---

(١) الرقم ٢٩٠ ص ٥١١-٥٣٤.

(٢) مقتل الحسين Δ للمقرم /١٥٦ .

(٣) هنا علق سيدنا الاستاذ Π بقوله: (انتصار الحسين Δ بمعنى انجاز اهدافه المطلوبة قد تحقق مئة بالمئة، ولم يكن من أهدافه الانتصار العسكري ليكون عدمه دالاً على فشله. اولاً: لما قلناه في بعض هذه التعليقات من اننا نعرف من عدم تحقق الهدف عدم استهدافه أصلاً للمعصوم، وثانياً: ما دل من اقواله Δ وهو في المدينة وما بعدها: انه كان يعلم بالقتل (والفشل العسكري): كأني بأوصالي هذه تقطعها عسلان الفلوات الخ.. ثالثاً: لقوله تعالى: (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) والحسين Δ نصر الله سبحانه فهو ينصره بكل تأكيد طبقاً للوعد القرآني ومن أولى منه بالنصر ولكن ينبغي ان نفهم من النصر (احدى الحسنيين) معاً

ظنوا بأن قتل الحسين يزيدُهم وَهموا فقد قتل الحسينُ يزيدا

الثالث: إصلاح الأمة من خلال نشر المعارف والعلوم والاخلاق الإسلامية الرفيعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتجسيد واقع الشخصية الحقيقية للمسلم قولاً وفعلاً وبأختصار بناء المسلم من الداخل لان علة الانحراف الذي أصاب الأمة هو ضعف هذا البناء فتغيرت الدنيا بأهلها وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ولا يغير الله ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم، قال أمير المؤمنين(ع) «وأيمُ الله ما كان قومٌ قطّ في غض نعمة من عيش فزال عنهم ألا بذنوب اجترحوها لأن الله ليس بظلام للعبيد ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدقِ من نياتهم وولهٍ من قلوبهم، لرد عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة - جهالة وغفلة -»[1] وقد مر تفصيل الكلام في النقاط المتقدمة .

٤ - دعم الثورات المخلصة التي تنشد الاصلاح ومدها بما يزيد من قوتها مادياً ومعنوياً وسنزيد هذه النقطة إيضاحاً في فصلٍ لاحق إن شاء الله تعالى.

(الحادية عشرة): استغلالهم أية مناسبة ليظهروا فيها وراثتهم الفعلية للرسول (ص) وإتصال قيادتهم بقيادة النبي (ص) وكونهم الأجدر والاولى بمواصلة دوره (ص) من خلال الظهور بمظاهر رسول الله (ص) وهذه الامور على بساطتها وسذاجتها ألا أن لها هذا المدلول الكبير الذي يجر البساط من تحت اقدام الخلفاء غير الشرعيين لأن الانسان مجبول على التأثر بالحسّيات وقد لاحظها الله تبارك وتعالى في تشريعاته للبشر فرمز للتوحيد بكعبة يدور حولها جميع المسلمين لتعبر عن محورية التوحيد في عقيدة وسلوك المسلم وان علمهم التفصيلي بمواريث رسول الله (ص) وطريقة حياته الخاصة تكشف بالاولوية عن علمهم بحياته العامة سواء على صعيد تبليغ الاحكام أو ولاية امر الناس.

كليهما، فان الفرد المؤمن ان انتصر فهو المطلوب وإن قتل فهو المطلوب أيضاً، وهو منتصر ايضاً ما دامفي طاعة الله ورضاه. واما الانهزام العسكري فهي جهة دنيوية ظاهرية لا قيمة لها الا مع ضحالة التفكير.

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦، ص ٣١٣.

ومما يمكن الاستشهاد به لهذه النقطة قول الصادق (ع): وإن عندي سيف رسول الله (ص) وإن عندي لراية رسول الله صلى الله عليه وآله ودرعه ولامته ومغفره، وقال: إن رسول الله (ص) لما قبض ورث علي عليه السلام علمه وسلاحه وما هنالك ثم صار إلى الحسن ثم صار إلى الحسين (ع) قال - الراوي عمر بن أبان - فقلت له ثم صار إلى علي بن الحسين (ع) ثم صار إلى أبنه ثم انتهى اليك، قال (ع): نعم[١] وعن صعصعة بن صوحان: لما عقد علي بن ابي طالب الالوية لأجل حرب صفين أخرج لواء رسول الله (ص) ولم يُرَ ذلك اللواء منذ قبض رسول الله (ص) فعقده عليٌ ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفعه إليه واجتمعت الانصار واهل بدر فلما نظروا إلى لواء رسول الله (ص) بكوا فأنشأ قيس بن سعد يقول: - وروي أن الحادثة وقعت قبل معركة الجمل والمنشد هو خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

هذا اللواء الذي كنا نحف به مع النبي وجبريلٌ لنا مددُ
ما ضر من كانت الأنصار عيبته أن لا يكون له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى يفتح البلد[٢]

وركب الحسين (ع)فرس رسول الله (ص) يوم عاشوراء وتقلد سيفه ولبس درعه وعمامته (ص) واستشهدهم على ذلك[٣] ولما عقد المأمون بولاية العهد للرضا (ع) جلس المأمون ووضع للرضا (ع) وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه واجلس الرضا (ع) في الحضرة وعليه عمامة وسيف ثم أمر ابنه العباس بن المأمون أن يبايع له في أول الناس فرفع الرضا (ع)يده فتلقى بها وجهه وببطنها وجوههم فقال له المامون: ابسط يدك للبيعة، فقال الرضا (ع): أن رسول الله (ص) هكذا كان يبايع فبايعه الناس ويده فوق ايديهم [٤] (يد الله فوق ايديهم).

---

(١) الإرشاد / ٣٠٩ .
(٢) الغدير ٧٨/٢.
(٣) مقتل الحسين Δ /٢٦٨ .
(٤) الإرشاد / ٣٤٩.

وروى انه لما حضر العيد وكان قد عقد للرضا(ع) الأمر بولاية العهد بعث المأمون إليه في الركوب إلى العيد والصلاة بالناس والخطبة لهم فاستعفى الامام (ع) لكن المأمون الحّ فأجابه الإمام: أن أعفيتني فهو احب الي وان لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله (ص) وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) فقال له المأمون: اخرج كيف شئت وأمر القواد والحجاب والناس أن يبكروا إلى باب الرضا (ع) قال الراوي: فقعد الناس لابي الحسن (ع) في الطرقات والسطوح واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه وصار جميع القواد والجند إلى بابه فوقفوا على دوابهم حتى طلعت الشمس فاغتسل ابو الحسن (ع) ولبس ثيابه وتعمم بعمامة بيضاء من قطن ألقى طرفا منها على صدره وطرفا بين كتفه ومس شيئا من الطيب واخذ بيده عكازة، وقال لمواليه: افعلوا مثل ما فعلت فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة فمشى قليلا ورفع راسه إلى السماء وكبّر وكبّر موالوه معه ثم مشى حتى وقف على الباب فلما رآه القواد والجند على تلك الصورة سقطوا كلهم من الدواب الى الارض وتحفوا وكبر الرضا (ع) على الباب وكبر الناس معه فخيل إلينا أن السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لما راوا أبا الحسن (ع) وسمعوا تكبيره وبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: يا أمير المؤمنين إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل فُتن به الناس وخفنا كلنا على دمائنا فأرسل المأمون إلى الرضا (ع)يعفيه ويأمره بالرجوع فدعا ابو الحسن بخُفهِ فلبسه وركب ورجع[١] .

ولم يغفل الحكام عن خطورة هذا الانتساب وأثره في التفاف الناس حول أهل البيت (ع) وكان يقض مضجعهم مخاطبة الناس لأهل البيت بأبن رسول الله لذلك عملوا على إشاعة أن ابن البنت ليس أبناً وصنعوا شاعراً خيالياً لا يُعرف اسمه نسبوا له هذا البيت:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنَ أبناءُ الرجال الأباعِدِ

---

(١) الإرشاد / ٣٥١.

وكان العباسيون أشد صولة في هذا الأمر فأضاف شاعرهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمامِ

فبنوا عليه نظريتهم وكانوا يدعون أحياناً أن قرابتهم من رسول الله (ص) هي نفس قرابة الائمة (ع) فكلاهما أولاد عم الرسول (ص) وأستهدفوا من ذلك عدة أمور:

١- إزالة المكانة القدسية التي يتمتع بها الائمة(ع) بانتسابهم لرسول الله (ص) وكان أحدهم يقال له: يا ابن رسول الله ولم يُدعَ أحَدُ من غير ولد فاطمة ﷺ بذلك.

٢- لقد كان استياء الناس من الحكام عظيماً بسبب ظلمهم لأهل البيت (ع) واحد أسباب الأستياء هو انتماؤهم للرسول (ص) هذا فكيف يقال لهم أبناء رسول الله والسلطة التي تدعي خلافة الرسول(ص) تطاردهم تحت كل شجر ومدر قتلاً وسجناً وتشريدا.

٣- وللعباسيين هدف آخر هو إثبات قرابتهم الوشيجة للرسول (ص) وبالتالي حقهم المشروع في خلافته كما سيتضح من سلام هارون العباسي على قبر النبي (ص).

وقد تراوحت ردود الائمة (ع) على هذه المؤامرات بين التصريح والتلميح كما يظهر من الأمثلة التالية:

١- بلغ الإمام الباقر(ع) ما أشيع عن أن الحسن والحسين H ليسا أبني رسول الله (ص) فقال لأبي الجارود - أحد أصحابه يا أبا الجارود ما يقولون في الحسن والحسين H قال: ينكرون عليهما أنهما أبنا رسول الله، قال: فبأي شيء أحتججتم عليهم قال: بقول الله في عيسى «ومن ذريته داود - إلى قوله - وكل من الصالحين» فجعل عيسى من ذرية إبراهيم وأحتججنا عليهم بقوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[1] ، قال: فأي شيء قالوا، قال: قالوا قد يكون ولد البنت من الولد ولا يكون من الصلب، فقال الإمام (ع) والله يا أبا الجارود لأعطينكم من كتاب الله آية تسميهما إنهما لصلب رسول الله (ص) لا يردها

---

(١) آل عمران: من الآية ٦١.

الا كافر، قال: جعلت فداك وأين ؟ قال: حيث قال «حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم (إلى قوله) وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم» فسلهم يا أبا الجارود وهل يحل لرسول الله نكاح حليلتيهما ؟ فأن قالوا: نعم فكذبوا والله وإن قالوا: لا فهما أبنا رسول الله لصلبه، وما حرمن عليه إلا للصلب [١].

٢- لما دخل هارون العباسي المدينة توجه لزيارة النبي (ص) ومعه الناس، فقدم إلى قبر النبي (ص) فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابن العم، مفتخرا بذلك على غيره وموهما الناس بجدارته لخلافة الرسول (ص) فقدم ابو الحسن موسى بن جعفر إلى القبر فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا ابه، فتغير وجه هارون وتبين الغيظ فيه[٢] وفي عيون اخبار الرضا للصدوق أن هارون قال للامام الكاظم (ع): كيف جوزتم أن ينسبوكم إلى رسول الله ويقولوا لكم: يا ابناء رسول الله وانتم بنو علي، وانما ينسب المرء إلى ابيه لا إلى امه ؟! فقال له الإمام لو أن النبي نشر وخطب اليك كريمتك، هل كنت تجيبه ؟ قال هارون: سبحان الله وكيف لا اجيبه ؟ قال الإمام (ع): ولكنه لا يخطب الي ولا اجيبه ؟ قال الرشيد: ولم ؟ قال: لانه ولدني ولم يلدك [٣].

وفي مناسبة اخرى اثار هارون عدة اسئلة حول هذا الموضوع وما يتعلق به فاجاب الإمام الكاظم(ع) عليها جميعا باستدلالات قرآنية متينة، والحديث طويل اعرضنا عن ايراده خشية الاطالة [٤] .

ويبدو أن التفات الحكام إلى هذه النقطة كان مبكرا حيث نقل تعصب الحجاج الثقفي (الوالي من قبل عبد الملك بن مروان) ضد من يخاطب أهل البيت (ع)وكان يقول أي شخص يفعل ذلك ولا ياتيني بآية غير (قل تعالوا ندع ابناءنا ...) قطعت راسه.

(الثانية عشرة): الاهتمام بوظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) الاحتجاج ٢/٥٨.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٣٤٥ .

(٣) الشيعة والتشييع / ٢٥٨.

(٤) يوجد في الاحتجاج: ٢/١٦٢ - ١٦٥ .

وقد اعطى الائمة هذه الفريضة قيمة كبيرة ودفعوا الامة إلى الالتزام بها بعدة طرق:

١- بيان المكاسب الكثيرة التي تتحقق للفرد وللامة باداء هذه الفريضة فعن الإمام الباقر (ع) انه بها (تحل المكاسب وتامن المذاهب وتقام

الفرائض[١] وتمنع المظالم وتعمر الأرض وينصف المظلوم من الظالم.

٢- التحذير من النتائج السيئة والخطيرة التي تترتب على ترك هذه الفريضة (إذا تركتم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سلط عليكم شراركم ونزعت عنكم البركات ولم يكن لكم ناصر في الارض ولا في السماء ثم تدعون فلا يستجاب لكم)، وقال (ع): «ويل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر» .

٣- التطمين مما يمكن أن يلحق القائم بهذه الفريضة من ضرر غير ما كتب الله تعالى له، قال الصادق (ع): «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا اجلا ولم يبعدا رزقا»[٢] .

وتاتي اهمية هذه الفريضة من كونها صمام الامان للمجتمع المسلم من الانحراف وتضييع الرسالة ولا تقل اهميتها عن الجهاد فان دورهما واحد سوى أن الجهاد هو حماية كيان الاسلام من الاعداء الخارجيين أما هذه الفريضة فتحميه من الاعداء الداخليين الذين يشيعون الفساد والانحراف لينخروا البناء من الداخل. بل يمكن دعوى[٣] زيادة اهمية هذه الفريضة على الجهاد من وجوه:

---

(١) هذا الحديث والاحاديث التي تليه تجدها في أبواب متفرقة من: وسائل الشيعة، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وخصوصاً الباب الاول من ابواب الأمر والنهي وما يناسبهما، ونهج البلاغة: ٦٣٦- ٦٣٧، الاحتجاج ٢/٢٣٦.

(٢) الوسائل ج ١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما / باب ١ ، ح ٢٤.

(٣) خلافا لسيدنا الأستاذ (قدس) الذي أعطى الأهمية للجهاد لوجوه ذكرها في تاريخ الغيبة الكبرى وكلها قابلة للمناقشة.

١ - استمرار التكليف به لكل زمان ومكان لتحقق موضوعه دائما وهو وجود المنكر والجهل بالشريعة بينما لا يكون موضوع الجهاد منجزا إلا نادرا.

٢ - شمول وجوب الفريضة لكل المكلفين بحسب المراتب المذكورة بينما لا يجب الجهاد إلا على شريحة محدودة من القادرين عليه.

٣ - إن النصر لا يتحقق في الجهاد إلا بعد انتصار المجتمع المسلم على نفسه بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالصبر كما إن أي هزيمة تحصل في الجهاد يعود سببها إلى التقصير في هذه الفريضة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[١]،﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٢]. ففريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علة لنتائج الجهاد والعلة مقدمة رتبة على المعلول.

٤ - أن المجتمع المسلم لا ينطلق إلى الجهاد إلا بعد أن يبني نفسه ومن ركائز بنائه الاساسية هذه الفريضة فيكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اسبق رتبة من الجهاد من ناحية عملية، ولا قيمة لاي انتصار عسكري مما يسمونه (جهاداً) إذا لم يكن مخلصا لله تعالى و(معروفاً).

ولاجل هذه القيمة الكبرى للفريضة دعا القرآن الكريم اليها في عدد من الآيات الشريفة وحذر الامة من مغبة تركها وبين لهم عاقبة السوء التي حاقت بالأمم التي توانت عن أدائها وبالمقابل فقد بين البركات والنعم التي تهطل عليهم لو اقاموها وبين صفات القائمين بهذه الفريضة حق قيامها لا لكي يسقط الفريضة عن غير المتصفين بها كما ربما يتوهم الكثير بل لكي يدفع غير المتصفين إلى الأتصاف بها أو قل: أن هذه الأوصاف شروط للواجب لا للوجوب حتى يسقط التكليف بها. وربما سنتوسع في بيان هذه الامور في بحث مستقل بإذن الله تعالى.

والله تبارك وتعالى يحرص على إقامة مجتمع يساعد على الطاعة ويزيد من فرصها ويقلل من فرص المعصية ويمنع من وجودها في المجتمع لذا منع حتى على الذميين الممارسة العلنية

---

(١) آل عمران: آية ١٥٥.

(٢) الشورى: آية ٣٠ .

للأعمال التي تنافي شريعة الاسلام فما بالك بالمسلمين لكي لا تنغص حياة المسلمين أي مخالفات أو محرمات أو تكدر صفو حياتهم الإيمانية، قال تعالى: ﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [١]، فعلى غير[٢] المسلمين كما على المسلمين عدم التظاهر بالمحرمات كشرب الخمر وأكل المال بالباطل والتحلل الخلقي لئلا يؤدي ذلك إلى اشاعتها والاسترسال فيها وكسر هيبة حدود الله تعالى فيجترئ ضعاف النفوس على المعصية وليفعلوا بينهم في الخفاء ما يريد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.قال رسول الله (ص): مبيّنا مراحل إنهيار الأمة بسبب فقدانها لأهم سلاح لتقويم الإنحراف قال (ص): «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله قال (ص): نعم، فقال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك ؟ قال (ص): نعم وشرُ من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[٣].

وقد إتّبع الأئمة (ع) مختلف الوسائل والأدوات لهذه الفريضة امتثالا لأمره تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ومن اشهر ما يمكن ذكره في هذا المجال ما روي أن الإمامين الحسن والحسين H دخلا المسجد فوجدا شيخاً يتوضأ لكنه لا يحسنه فلم يجرحا مشاعره ويخطئاه بل قالا له: يا عم أريد أن أتوضأ أمامك أنا وأخي وأنت الحكم بيننا أينا أحسن

---

(١) التوبة: من الآية ٢٩.

(٢) هنا علق سيدنا الأستاذ Π بقوله «هذا صحيح في المجتمع المسلم إلا انه غير حكم وجوب الأمر بالمعروف)) وعلق Π على الاستشهاد بالآية السابقة إنها «ورادة للقتال لا الأمر بالمعروف كما هو مورد الكلام. وهي أيضا – خاصة بأهل الكتاب والأمر بالمعروف لا يكون للمسلمين.

اقول: هذا صحيح فان الأمر بالمعروف خاص بالمسلمين وهذا وجوب آخر إلا أنى إنما ذكرت هذه الفكرة استطراداً لبيان حرص الشارع المقدس على صون المجتمع المسلم من ممارسة المعصية فيه حتى من غير المنتسبين إليه فكيف بهم

(٣) وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما ، باب١، ح ١٢.

وضوءاً فتوضأ أمامه فضرب الشيخ على رأسه وقال يا أبني أخي كلاكما يحسن الوضوء وإنما أنا الذي لا أحسنه.

وكانوا يستعملون مختلف المؤثرات النفسية والعقلية والقلبية في الاصلاح، مثلاً: يأتيهم شخص يطلب منهم الموعظة وكانت له بعض التصرفات السيئة فيقول له احدهم (عليهم السلام): (لا تكذب) فقط فكان هذا الشخص كلما أراد وهم أن يفعل معصية تركها وقال لنفسه أني سأقدم على الإمام (ع) ويسألني هل فعلت معصية: فإن صدقت فوا خجلتاه وإن كذبت أكون قد خالفت موعظته ونصيحته التي عاهدته عليها.

وإسلوب الإمام الكاظم (ع) مع بشر الحافي هزه من الاعماق بكلمتين وقلب كيانه من فاجر فاسق اتخذ بيته مجمعاً للموبقات إلى عارفٍ بالله عظيم يفتخر به السائرون إلى الله تعالى حيث مر على دار شاهقة في بغداد أيام كان مسجوناً فيها لكنه يسمح له أحياناً بالتجول في المدسنة مع تسجيل حضور يومي لدى الشرطة وتنبعث من هذه الدار أصوات اللهو والمجون فخرجت جارية ترمي فضلات مائدة الخمر فسألها الإمام (ع)لمن هذه الدار قالت لمولاي بشر قال (ع): مولاك حرٌ أم عبد ؟ قالت باستغراب: حر قال: نعم لو كان عبداً لأستحيا من سيده ومولاه ولما عادت الجارية سألها بشر عن سبب تأخرها فأخبرته بلقائها بالامام (ع) وما دار بينهما ووصفته له فقال بشر: ذاك سيدي ومولاي موسى بن جعفر(ع) فخرج حافياً حاسراً باكياً حتى أدرك الإمام (ع) وتاب على يديه وأنقلبت حياته ببركة كلمات الإمام.

ومن تلك الوسائل المحاربة العملية لبعض الظواهر المنحرفة بعمل الضد الصحيح لها علناً وبصراحة فمثلاً: كان العرب - بفعل الرواسب الجاهلية التي غذاها الأمويون - يشعرون بالتعالي على القوميات الأخرى التي فتحوا بلادها وأخضعوها للدولة الإسلامية ويعتبرونهم مواطنين من الدرجة الثانية بالمصطلح الحديث فكانوا لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم فتزوج عددٌ من أئمة أهل البيت (ع) إماءاً وولدت أئمة ودخل زيد الشهيد بن الإمام السجاد (ع) على هشام بن عبد الملك فعيره بأن أمه أمة وهذا مانع من استحقاق الخلافة ؟ فقال زيد: إن النبوة أشرف من

الخلافة وقد كانت أم إسماعيل أمة وتوجد مراسلات بين الإمام السجاد (ع) والحكام الأمويين تبين امتعاض أولئك من تصرفات الإمام (ع) ورده عليهم [١] .

هذه الأعمال المهمة في حياة الأمة التي كان الأئمة (ع) يعيشونها جعلتهم في صميمها واوجبت لهم مكانة خاصة في القلوب فكانوا بحق استجابة دعوة جدهم إبراهيم الخليل(ع) ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[٢] ، وكانت لهم قاعدة جماهيرية واسعة يمكن الالتفات إلى عدة منبهات عليها.

١ - محبة الناس لهم (ع) واحترامهم وتعظيمهم ومن أمثلة ذلك ما ذكر في المتن من إنفراج الناس عن الإمام السجاد (ع) حين جاء لاستلام الحجر الاسود في حين لم يستطع الملك الأموي هشام بكل جبروته وطغيانه إن يحصل على ذلك ومن ذلك ما ورد في تسيير المأمون العباسي للإمام الرضا (ع)إلى مرو بذريعة تسليمه ولاية العهد وأمر القائد المكلف بهذه المهمة أن يسير على طريق البصرة فالأهواز لقلة الشيعة والموالين ولكن الذي حصل هو استقبال الالاف من الناس في كل مدينة وحينما طلب منه أهالي نيسابور أن يحدثهم بحديث عن آبائه عن رسول الله (ص) المعروف بحديث سلسلة الذهب كان هناك اربعة الاف راوٍ يكتبون الحديث مما أهال المأمون وأغاظه.

٢ - التجاء الحكام اليهم (ع) لتهدئة الجماهير الثائرة والغاضبة أو لاقناعها بوجهة نظرٍ ما لأن كلامهم (عليهم السلام) يقع موقع التأثير في قلوب الناس ومن ذلك ما ورد في المتن من التجاء عثمان إلى أمير المؤمنين(ع) كلما حاصره الثوار وضغطوا عليه وطالبوه بعزل حاشية السوء وإصلاح الحال والحكم بالعدل فلم يجد الخليفة بُداً من الارسال إلى علي(ع) لكي يقنع الجماهير بفك الحصار وقام علي(ع) بمساعي حميدة بين عثمان والجماهير الثائرة وكانت تفلح دائماً وعاد الثوار إلى أمصارهم لكن بطانة السوء والمنتفعين من الاحداث أشعلوا فتيل الثورة

---

(١) راجع: وسائل الشيعة، ج١٤ / كتاب النكاح، ابواب مقدمات النكاح وآدابه .

(٢) ابراهيم: من الآية/٣٧.

من جديد وعاد الإمام (ع) إلى وساطته حتى قال (ولقد دافعت عن عثمان حتى خشيت أن أكون آثماً ثم طلب منه عثمان الابتعاد عن المدينة ليقلَ الهتاف باسمه فأمتثل الإمام (ع) أمره[١].

والمورد الآخر ما ذكره في المتن أيضاً من (الهجوم الشعبي الهائل الذي تعرض له قصر المأمون لإغضابه الإمام الرضا (ع) فلم يكن للمأمون مناص عن الالتجاء إلى الإمام لحمايته من غضب الأمة فقال له الإمام: (اتق الله في أمة محمد وما ولاك من هذا الأمر وخصك به فأنك قد ضيعت أمور المسلمين وفوضت ذلك إلى غيرك يحكم فيها بغير حكم الله عز وجل)[٢] .

وعن معمر بن خلاد قال: قال لي ابو الحسن الرضا(ع) : (قال لي المأمون: يا أبا الحسن لو كتبت الى بعض من يطيعك في هذه النواحي التي قد فسدت علينا، قال(ع): قلت له: يا أمير المؤمنين، إن وفيتَ لي وفيتُ لك، إنما دخلتُ في هذا الامر الذي دخلت فيه على أن لا أأمر ولا أنهى ولا أولّي ولا اعزل وما زادني هذا الامر الذي دخلت فيه في النعمة عندي شيئاً ولقد كنت بالمدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب ولقد كنت اركب حماري وأمرّ في سكك المدينة وما بها أعزّ مني وما كان بها أحدٌ منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له الا قضيتها له، قال: فقال لي: أفي لك)[٣].

وحدث في خلافة المهتدي أن خرج صاحب الزنج بمن معه من العبيد والفقراء والمستضعفين وإستطاع أن يسيطر على البصرة وكثر أنصاره وكاد أن يستولي على عاصمتهم بغداد بعد معارك ضارية وكان يدعي انتسابه إلى أهل البيت (ع) مما ساهم في انتشار دعوته وكثرة مؤيديه مما دعا الحكام أن يطلبوا من الإمام العسكري (ع) أن يبين رأيه في هذا الادعاء فقال الإمام (ع) (إن صاحب الزنج ليس من أهل البيت (ع)) وكان يكرر عدم إنتساب صاحب الزنج إلى أهل البيت (ع) بعد أن قتل الشيوخ والأطفال وسبى النساء وأحرق المدن والمنازل وغير ذلك من الفضائع[٤].

---

(١) الغدير: ٩/ ١٦٨ .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣.

(٣) روضة الكافي: ح ١٣٤، ص ١٣٢.

(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٥٠٨ وللتعريف بصاحب الزنج راجع: الكامل لأبن الأثير والرواية موجودة في المناقب.

٣- رجوع الثائرين الذين خرجوا على الحكومات المنحرفة إليهم (ع) فالمختار الثقفي استأذن الإمام السجاد (ع) في الثورة على الأمويين والطلب بثأر الحسين (ع) وقد مر في المتن كلام عبد الله المحض بن الحسن المثنى حين أراد البيعة لأبنه محمد يقول للأمام الصادق (ع) (واعلم فديتك إنك إذا أجبتني لم يتخلف عني أحدٌ من أصحابك ولم يختلف عليَ إثنان من قريش ولا من غيرهم)[١] وطلب عمرو بن عبيد ورؤساء المعتزلة من الإمام الصادق(ع) أن يؤيد حركة محمد النفس الزكية ، وقالوا له فيما قالوا: (وقد أحببنا أن نعرض ذلك عليك فتدخل معنا فانه لا غنى بنا عن مثلك لموضعك وكثرة شيعتك)[٢] .

٤- وبسبب هذه الجماهيرية كان الحكام يحسبون الف حساب قبل الاقدام على أي عمل يسيء إلى الأئمة لئلا ينقلب الرأي العام ضدهم ويحدث عكس ما يشتهون وهذه بعض النماذج:

أ- لما أراد هارون العباسي إعتقال الإمام الكاظم (ع) موه على سفرته بنية الحج وفي المدينة أمر جلاوزته فأخذوه من المسجد وأدخلوه عليه فأستدعى قبتين جعله في احدهما على بغل وجعل القبة الأخرى على بغل آخر وأخرج البغلين من داره وعليهما القبتان مستورتان ومع كل واحدةٍ منهما جماعة من جنده على خيولهم وأمرهم أن يتجهوا بالبغلة التي عليها الإمام (ع) إلى البصرة ويتجهوا بالبغلة الثانية إلى الكوفة[٣].

ب- أرسل المتوكل قائده يحيى بن هرثمة وقوة عسكرية لاعتقال الإمام الهادي (ع) وتفتيش بيته والمجيء به إلى سامراء، يقول ابن هرثمة: فلما دخلنا المدينة ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على ابي الحسن (ع) وقامت الدنيا على ساق فجعلتُ اسكنهم وأحلف لهم بأني لم أؤمر فيه بسوء ولا مكروه وإنه لا بأس عليه، وقال للمتوكل: وإن أهل المدينة خافوا عليه لما وردت المدينة وضجوا بأجمعهم ولم يهدؤا إلا بعد أن حلفت لهم بأن الأمير لا يريد به سوءاً[٤].

---

(١) راجع: الهامش ٣١ على المتن.

(٢) وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الجهاد ، ابواب جهاد العدو وما يناسبه، باب ٩ ، ح ٢.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٣٤٨.

(٤) نفس المصدر السابق.

جـ- وكان الحكام عندما يرتكبون جرائمهم بقتل الائمة (ع) يتصنعون الحزن والبكاء ويموهون على الرأي العام بمختلف الوسائل لتبرئتهم ولا يعلمون أن هذه الاساليب تؤكد للناس اشتراكهم بالجريمة ومسؤوليتهم الكاملة عنها فلما قضى هارون على حياة الإمام الكاظم(ع) بالسم بواسطة رئيس شرطته السندي بن شاهك أدخل السندي على الإمام وهو مسجى جماعة من فقهاء بغداد وأعيانها وقال لهم: أنظروا إليه هل ترون به أثراً لضربة سيف أو لطعنة رمح ؟ فقالوا: لم نجد به شيئاً من ذلك وطلب منهم أن يشهدوا بموته حتف أنفه فأجابوه لذلك [١].

وسم المامون العباسي الإمام الرضا(ع) عن طريق ماء الرمان فدخل عليه وهو يعالج الموت وقال: والله ما ادري أي المصيبتين اعظم علي، فقدي لك وفراقي إياك أو تهمة الناس لي اني اغتلتك وقتلتك وسار وراء جنازته حافيا حاسرا وهو يبكي ويقول: اعزز علي يا اخي بان اعيش ليومك وقد كان بقاؤك املي واغلظ علي من ذلك واشد أن الناس يقولون: اني سقيتك سما وانا إلى الله من ذلك برئ [٢] .

ودعا المعتمد العباسي- عندما احضرت جنازة الإمام العسكري وقد قتل مسموما- بعض العلويين والعباسيين والقواد والكتاب والقضاة، وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا قد مات حتف انفه على فراشه واشهدهم على ذلك [٣].

وقد اطلت بذكر الشواهد لتطلع على خبث أولئك الحكام ومظلومية أهل البيت (ع) .

---

(١)سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/ ٣٥١.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢/ ٤٣٥ – ٤٣٦ .

(٣) نفس المصدر: ٢/ ٥٣١ .

المحور الثاني: رعاية الشيعة خصوصاً

كان الائمة يعتنون بالشيعة عناية خاصة باعتبارهم الصق شرائح الامة بهم وقد وعوا قضيتهم وتصدوا للدفاع عنها والمحافظة عليها بالغالي والنفيس ولا زال هذا الولاء يكلف الشيعة التضحيات الجسيمة وليس غريبا أن يحيط صاحب أي قضية أو رسالة الاشخاص المستوعبين لافكاره والمتفهمين لخطواته والمعتقدين بصحة منهجه بعناية خاصة غير الرعاية العامة التي كانت تحظى بها الامة كلها، وكانوا (ع) يقولون: (شيعتنا أصبر منّا لاننا صبرنا على ما نعلم وهم صبروا على ما لا يعلمون).

ويمكن أن نشير إلى عدة نقاط على هذا المحور:

(الاولى): تنظيم شؤونهم الداخلية من خلال عدة امور:

الاول: وضع معالم نظام المرجعية والتقليد حيث يكون المرجع هو ولي امور الامة نيابة عن الإمام المعصوم ويقوم بجميع مسؤوليات الإمام ويستمد شرعية طاعته من وجوب طاعة الإمام وقد وضع الإمام العسكري (ع)حدود وضوابط المرجعية والتقليد بوصفه آخر إمام كان على اتصال مباشر بالشيعة وفي حديث له (ع) رد فيه على من ساوى بين تقليد الامة لعلمائها وتقليد اليهود لعلمائهم فشرح اوجه التشابه والاختلاف والنتائج التي تترتب على كل منها ثم بين شروط العالم الذي ترجع إليه الامة في عصر الغيبة لتنظيم حياتها ومما جاء فيه «وكذلك عوام امتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، واهلاك من يتعصبون عليه وان كان لاصلاح امره مستحقا، وبالترفرف بالبر والاحسان على من تعصبوا له وان كان للاذلال والاهانة مستحقاه فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم، فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه، مخالفا على هواه، مطيعا لامر مولاه، فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون ألا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فأنه من ركب القبائح والفواحش مراكب فسقة العامة فلا تقبلوا منا عنه شيئاً، ولا كرامة، وانما كُثر التخليط فيما يُتحمل عنا أهل البيت لذلك لأن الفسقة يتحملون عنا فيحرفونه بأسره بجهلهم، ويضعون الاشياء على غير وجهها لقلة

معرفتهم، وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجرّوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم، ومنهم قومُ (نصاب) لا يقدرون على القدح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، وينتقصون بنا عند نصابنا، ثم يضيفون إليه أضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيتقبله المستسلمون من شيعتنا، على أنه من علومنا، فضلوا وأضلوا وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام واصحابه، فأنهم يسلبونهم الازواج والاموال وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون، ولا عدائنا معادون، ويدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب، لا جرم أن من علم الله من قلبه من هؤلاء القوم أنه لا يريد إلاّ صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر، ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب، ثم يوفقه الله للقبول منه، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضله لعناً في الدنيا وعذاب الآخرة، ثم قال: قال رسول الله (ص): أشرار علماء أمتنا: المضلون عنا، القاطعون للطرق الينا، المسمون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون أندادنا بألقابنا، يصلون عليهم وهم للعن مستحقون، ويلعوننا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم علينا مستغنون»[١].

الثاني: تشجيع الحركة الفكرية من خلال فتح باب الاجتهاد لذوي الكفاية والقابلية ليتمكن المسلمون من تطبيق شريعة الاسلام في كل زمان ومكان ومواكبة تطورات الحياة والحث على طلب العلم وتكريم العلماء، والقاء الاصول وترك مهمة التفريع على المجتهدين وفق ضوابط وحدود وضعوها لهم[٢] قال الإمام الصادق (ع) وقد ذكر عنده عدد من اصحابه المقربين «لولا هؤلاء ما كان أحدُ يستنبط هذا الفقه، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي (ع) على حلاله وحرامه وهم السابقون الينا في الدنيا والآخرة»[٣] وأحالوا شيعتهم إلى مثل هؤلاء الفقهاء في حالة عدم

---

(١) الاحتجاج: ٢/٢٦٣-٢٦٤.

وعند اختلاف الحكم يقدم جانب الورع (الجزء الأول من الرواية: الاحتجاج: ٢/ ١٠٦)، وعن وجوب طاعة المرجع، الاحتجاج ٢/١٠٦.

(٢) عقيدة الشيعة في الإمام الصادق: ٢٩٨ والأصول التي أملوها: ٢٩٩، والغدير ج١٠.

(٣) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢/٢٠٦ .

الوصول اليهم، قال ابن ابي يعفور للامام الصادق (ع): ليس كل ساعة القاك وأتمكن من القدوم عليك ويحيى الرجل من أصحابنا فيسألني وليس عندي كل ما يسألني عند، قال (ع) فما يمنعك من محمد بن مسلم الثقفي فإنه قد سمع من أبي وكان عنده وجيهاً»[١] وعن أحمد بن أسحق بن سعد القمي قال: دخلت على ابي الحسن علي بن محمد الهادي (ع) في يوم من الأيام وقلت له ياسيدي أنا أغيب واشهد ولا يتهيأ لي الوصول اليك إذا شهدت في كل وقت فقول من نقبل وأمر من نمتثل، فقال لي: هذا ابو عمر و (عثمان بن سعيد العمري) الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله وما أداه لكم فعني يؤديه، يقول الراوي فلما مضى ابو الحسن صرت إلى إبنه ابي محمد الحسن العسكري ذات يوم فقلت له مثل قولي لأبيه من قبل، فقال لي: هذا ابو عمرو الثقة الأمين ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات فما قال لكم فعني يقول وما أدى اليكم فعني يؤديه[٢] .

أما حُثه (ع) على طلب العلم وتكريم العلماء فقد بلغ حداً بعيداً ومعاجم الحديث حافلة بأقوامهم وقد أشتهر عنهم قولهم(ع): طلب العلم فريضة على كل مسلم وقد بين الإمام الهادي (ع) دور العلماء المخلصين في صيانة الدين ونقله عبر الاجيال لهداية الناس قال (ع) : لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب لما بقي أحدٌ إلاّ إرتدَ عن دين الله، ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل[٣] .

الثالث: الحث على التدوين والتأليف لديمومة الرسالة وصيانتها فأن الحفظ وحده لا يكفي لأنه عرضة للنسيان والتلاعب والاشتباه في النقل، ولأن الأحاديث الشريفة ضمّت تفصيلات الشريعة عقيدةً وسلوكاً ونظاماً في حين احتوى القرآن على مجملاتها، فلابد من انضمامهما

---

(١) المصدر السابق بالجزء والصفحة.

(٢) نفس المصدر ٢ / ٥٦٦.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٦٠ وأضف له: الاحتجاج ٢ /١٧٠.

لتكون الصورة واضحة وهذا معنى حديث الثقلين المشهور: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا)[١] .

وقد حاول الذين أرادوا طمس آثار أهل البيت (ع) وتضييع حقهم المنع من تدوين الحديث وكانوا يقولون حسبنا كتاب الله[٢] ، وكانوا يعاقبون من يجدونه يكتب حديثاً حتى اتيحت مثل هذه الفرصة في نهاية القرن الاول الهجري في ملك عمر بن عبد العزيز . ولكن أئمة أهل البيت (ع) رفضوا الانصياع لهذا المنع الذي هو قرار مجحف بحق الأمة وواصل الامام علي (ع) والحسن (ع) واصحابهما وكذا بقية الائمة (ع) تدوين الحديث[٣] .

وكانوا (ع) يطلعون بأنفسهم على الكتب التي يجمع فيها تلامذتهم أحاديثهم فيمضون الصحيح منها ويأمرون شيعتهم بالرجوع إليهم[٤].

وقد وصلت حركة التدوين قمتها في عهد الإمامين الباقر والصادق (ع) فقد ألف أصحابهما أربعمائة كتاب سميت بالأصول الأربعمائة تحوي نصوص أحاديثهم (ع) أما كتب أصحاب الأئمة جميعاً من جوامع للحديث أو تعليقات وشروح له فقد بلغت ستة آلاف وستمائة كتاب[٥] كما نشطت حركة التأليف في زمن الإمامين الهادي والعسكري H في المناطق الآمنة من رقابة السلطة فكان محمد بن مسعود العياشي الذي عاصر الإمامين العسكريين H قد انفق ثروة أبيه بكاملها على نشر آثار أهل البيت وكانت داره في بلاد ما وراء النهر كالمسجد تجمع العشرات ما بين ناسخ ومقابل وقارئ ومعلق وكانت تلك الكتب تعرض على الأئمة (ع) لإمضائها عندما يتاح لأصحابها الاتصال بهم[٦] .

---

(١) راجع: مصادر الحديث في كتاب المراجعات للسيد شرف الدين.

(٢) راجع لايضاح الفكرة: كتاب (شكوى القرآن) .

(٣) (عقيدة الشيعة في الامام الصادقΔ) ص٦٢، وراجع: أحاديثهم في الحث على التدوين بصورة عامة، ص٢١٠ من المصدر.

(٤) راجع الأمثلة في (عقيدة الشيعة في الإمام الصادق Δ) ٢١٨.

(٥) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٣٣٧/٢، عقيدة الشيعة في الإمام الصادق /٢٢٧.

(٦) سيرة الأئمة الاثني عشر ٢/ ٥١٦ .

وكانت مدينة قم تتصدر المراكز الشيعية في هذه الحركة الفكرية وبلغت منزلتها أن تُعرض الكتب - بأمر الإمام (ع) - على علمائها للتأكد من صحتها ومطابقتها لأصول المذهب كما أرسل الحسين بن روح السفير الثالث للحجة (ع) كتاب التأديب للشلمغاني المعروف بأبي العزاقري إلى علماء الشيعة ورواة حديثهم هناك لينظروا فيه ففعلوا وبعثوا بنتيجة رأيهم إليه[١].

الرابع: التحاكم إلى قضاة من أصحابهم لحل الخصومات فيما بينهم وعدم الرجوع إلى قضاة السلطة لحلها وتحريم إتباع أقضية السلطات الجائرة وإن كان منسجماً مع حقهم وإن ما يؤخذ بهذه الطريقة سحت، فعن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله (ع): عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان أو إلى القضاة أيحلّ ذلك ؟ قال (ع): من تحاكم اليهم في حق أو باطل فانما تحاكم الى الجبت والطاغوت المنهي عنه، وما حكم له به فإنما يأخذ سحتاً وإن كان حقه ثابتاً له لأنه أخذه بحكم الطاغوت، ومن أمر الله عز وجل أن يكفر به، قال الله عز وجل «يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به [٢] .

الخامس: وضع شروط وضوابط الأحاديث الواردة عنهم والأخبار المتعارضة في الروايات عنهم (ع) للتمكن من الوصول إلى الرأي الفعلي في ضوء فقه أهل البيت(ع) فقد كثُر الوضع والدس والتشويه لأسباب متعددة ، منها: جني مكاسب شخصية ، او لتأييد اتجاه فكري أو اجتماعي معين او لتشويه سمعة أهل البيت (ع) أو للرفع او الحط من شخصيات معينة أو للتلاعب في الاحكام. أو لتبرير أفعال معينة وهكذا وليس هذا بيان تفصيلاته، لذا سعى الائمة(ع) لوضع المعايير التي تستطيع الأمة من خلالها التمييز بين الصحيح والسقيم، فعن الصادق (ع) في حديث طويلٍ مرَ جزء منه إلى أن وصل إلى معايير الترجيح عند تعارض روايتين قال: ينظر إلى ما كان من روايتهما عنا في ذلك الذي حكما، المجمع عليه بين أصحابك فيؤخذ به من حكمهما ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه، وانما الامور ثلاث: أمر بَيّن رشده فيُتبع، وأمر بين غيُه فيُجتنب، وأمر مشكل يرد حكمه إلى الله عز وجل والى رسوله، حلال بين، وحرام بين، وشبهات تتردد بين ذلك، فمن ترك الشبهات نجا من

---

(١) نفس المصدر ٢/ ٥٧٤.

(٢) الاحتجاج ٢/ ١٠٦، ووسائل الشيعة: مج ١٨/ كتاب القضاء.

المحرمات، ومن أخذ بالشبهات أرتكب المحرمات، وهلك من حيث لا يعلم، قلت - أي الراوي عمر بن حنظلة - فإن كان الخبران عنكما مشهورين قد رواهما الثقات عنكم ؟ قال: ينظر ما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة، وخالف العامة[١] فيؤخذ به ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة، قلتُ: جُعِلت فداك أرأيت إن كان حكمه من الكتاب والسنة ثم وجدنا أحد الخبرين يوافق العامة والآخر يخالف بأيهما نأخذ من الخبرين ؟ قال: ينظر إلى ما هم إليه يميلون فإن ما خالف العامة ففيه الرشاد. قلت: جعلت فداك فإن وافقهم الخبران جميعاً ؟ قال: أنظروا إلى ما تميل إليه حكامهم وقضاتهم فاتركوه جانباً وخذوا بغيره، قلت: فإن وافق حكامهم الخبرين جميعاً، قال: إذا كان كذلك فأرجه وقف عنده، حتى تلقى إمامك فأن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات والله هو المرشد[٢].

وإذا اجتمعت للخبرين شرائط الصحة ولم يُعلم أيُهما الحق فموسعٌ على الشخص أيهما يأخذ كما ورد عن الرضا (ع)[٣] وسبب مخالفة العامة ما قاله الصادق (ع): خذ بما فيه خلاف العامة لأنه يحتمل أن يكون قد ورد مورد التقية وما خالفهم لا يحتمل ذلك[٤].

وعند عدم الاطمئنان بالحكم بل مطلقاً فقد حثوا (ع) على الاحتياط في جميع الأمور ما أمكنهم ذلك، قال الصادق (ع) «وخذ بالاحتياط في جميع امورك ما تجد إليه سبيلا»[٥].

السادس: التنبيه على المندسين في صفوفهم ممن ليسوا منهم فيعملون على دس الأحاديث المكذوبة وتحريف الصحيح وبث الأفكار الفاسدة والعقائد المنحرفة فيها مما يعود بنتائج سيئة على فكر مدرسة أهل البيت (ع) وتطبيقاتها العملية فقام الائمة (ع) بفضحهم ولعنهم على رؤوس الأشهاد والتحذير من اتباعهم، قال الصادق (ع)[٦]: والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره وبما لم نقله في أنفسنا، قال: إن الناس قد أولعوا بالكذب

---

(١) وهم الفقهاء السائرون بركاب السلطة يبررون لها أفعالها .

(٢) الاحتجاج ١٠٧/٢ .

(٣) المصدر ٢ /١٠٨.

(٤) المصدر ٢ /١٠٩.

(٥) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٢٩٣/٢.

(٦) الحديث وما بعده في السيرة ٢٥٩/٢.

علينا وإني أحدث أحدهم بالحديث فلا يخرج من عندي حتى يتأوله على غير وجهه وذلك انهم كانوا لا يطلبون بأحاديثنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا وكلُ يحب أن يكون رأساً، وقال: إنّا أهل بيت لا يزال الشيطان يدخل فينا من ليس منا ولا من أهل ديننا فاذا رفعه ونظر الناس إليه أمره الشيطان فيكذب علينا، وقال له بعض أصحابه: يا إبن رسول الله قد بلغنا عنك إنك قلت: إذا عرفتم فاعملوا ما شئتم، فقال (ع): إني قلت إذا عرفتم فاعملوا من الطاعات ما شئتم فانه يقبل منكم، وممن لعنهم الصادق (ع) المغيرة بن سعيد قال (ع): إن أصحاب المغيرة المتسترين باصحاب أبي كانوا يأخذون كتب أصحاب أبي ويدفعونها إلى المغيرة فيدُس فيها الكفر والزندقة والالحاد ويسندها إلى أبي، ثم يدفعها إلى أصحابه ويأمرهم أن يبثوها في الشيعة فكل ما كان في كتب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم ومؤلفاتهم وقال محذراً منه ومن أصحابه: لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان.

وسئل الإمام العسكري عن كتب بعض الشيعة من غير الإمامية المعتقدين بالأئمة الاثني عشر (ع)، لكنهم ثقات قال(ع) : (خذوا ما رووا وذروا ما رأوا) [١] ، وهي كلمات تكشف عن درجة عالية من الانصاف والموضوعية في تقييم الآخرين حتى لو لم يكونوا معتقدين بإمامتهم (ع) وخرج توقيع من الإمام المهدي (ع) في شأن الشلمغاني وقد إعتنق اراءاً فاسدة بعد أن كان ممن يعتمد عليه يقول فيه إن محمد بن علي المعروف بالشلمغاني قد إرتد عن الاسلام والحد في دين الله وادعى ما كفر معه بالخالق، وافترى كذباً وزوراً وقال بهتاناً وإثماً عظيماً، وإننا قد برئنا إلى الله ورسوله منه ولعناه، عليه لعائن الله من الظاهر والباطن في السر والعلن وفي كل وقت وعلى كل حال وعلى من شايعه وتابعه ومن بلغه هذا القول منا وأقام على موالاته»(٢) .

وقد وضع اصحاب الائمة(ع) كتباً في علم الرجال تعرّف برواة الاحاديث وتقييمهم وإمكانية الأخذ منهم .

---

(١) المصدر: ٥١٦/٢.

(٢) السيرة ٥٧٥/٢.

السابع: ضرورة اهتمام بعضهم بأمور البعض الآخر إنطلاقاً من حديثهم (ع) الشامل لكل الأمة «من أصبح ولا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[١]، وتعطى اولوية خاصة بمن يشاطرهم العقيدة ومن هذه الرعاية ما ورد عن الصادق Xانه قال لبعض شيعته: ما بال أخيك يشكوك فقال: يشكوني أن استقصيتُ عليه حقي، فجلس مغضباً ثم قال: كأنك إذا استقصيت عليه حقك لم تسيء إليه أرأيتك ما حكى الله عن قوم يخافون سوء الحساب، أخافوا أن يجور الله عليهم ؟ لا ولكنهم خافوا الاستقصاء فسماه الله سوء الحساب فمن استقصى على أخيه فقد أساء الله [٢] وقال (ع) لنفرٍ عنده «مالكم تستخفون بنا ؟» فقام إليه رجل من أهل خراسان فقال: معاذ الله أن تستخف بك ! فقال له: «ويحك الم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله أعييت والله ما رفعت له رأساً، لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمنٍ فبنا استخف، وضيع حرمة الله عز وجل»[٣] وقال ابو الحسن (ع): من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله، فلم يجره بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل» وقال رسول الله (ص) «من اصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»[٤].

الثامن: التأكيد على مراعاة العلاقات الاجتماعية بينهم لزيادة التقارب والالفة ومن هذه المناسبات عيادة المرضى والتهنئة بالافراح وتشييع الجنازة والتعزية بالمصائب وإطعام الطعام وإفشاء السلام[٥]، يروى أن صعصعة بن صوحان العبدي مرض فجاء إليه أمير المؤمنين (ع) عائداً زائراً ومما قال له (ع): لا تتخذن زيارتنا إياك فخراً على قومك، فأجابه: لا يا أمير

---

(١) الحديث رواه الامام الصادق Δ عن جده رسول الله2 ، تجده في وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أبواب فعل المعروف، باب ١٨، ح٢.

(٢) السيرة ٢ /٣٠١.

(٣) جامع السعادات ١٧٦/٢ عن وسائل الشيعة / كتاب الحج.

(٤) جامع السعادات عن اصول الكافي، وللتوسع راجع محاضرة (عناصر شخصية المسلم في آثار اهل البيتE) المنشورة في كتاب (نحن والغرب).

(٥) راجع ج١٠، ج١١ من وسائل الشيعة، وكتاب (نحن والغرب) في المحاضرة اعلاه.

المؤمنين ولكن ذخراً وأجراً [١] ودخل أمير المؤمنين (ع) على العلاء بن زياد الحارثي بالبصرة يعوده فلما رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا ؟ وأنت اليها في الآخرة أحوج ؟ وبلى إن شئت بلغت الآخرة: تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتُطلع منها الحقوق مطالعها - أي تظهرها حيث يجب أن تظهر - فأذا أنت قد بلغت بها الآخرة»[٢] .

ومشى الإمام الكاظم (ع) في جنازة فلما أنزل الميت إلى قبره قال: إن شيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يُزهَد في أوله وإن شيئاً هذا اوله لحقيق أن يخاف من آخره. وعزى أمير المؤمنين (ع) قوماً عن ميت مات لهم فقال (ع): إن هذا الامر ليس لكم بدأ ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض أسفاره، فأن قدِم عليكم والإ قدمتم عليه[٣] .

وهنأ بحضرته رجلٌ رجلاً بغلام ولد له فقال له: ليُهنئك الفارس، فقال عليه السلام: لا تقل ذلك ولكن قُل: شكرت الواهب وبورك له في الموهوب، وبلغ أشدهُ ورُزقت بره [٤] وعزى الاشعث بن قيس عن ابن له فقال: يا اشعث إن تحزن على إبنك فقد أستحقت منك ذلك الرحم وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خَلَف. يا اشعث، إن صبرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجور، وإن جَزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور يا اشعث إبنك سَرَك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة .

ومحل الشاهد من نقل هذه الأحداث هي الاستفادة مما فيها من مواعظ وتقديم الشواهد على مشاركة الائمة (ع)، في المناسبات الاجتماعية المختلفة ليعلّموا شيعتهم هذا السلوك الايجابي الفعال في بناء العلاقة بين أفراد الأمة على التآلف والمحبة والودّ .

(الثانية): توجيه علاقاتهم مع الحكام :

وهو مفصل مهم يجب أن يوجهه ولي الأمر ولا يُترك سدى لتقدير الناس أنفسهم فان توجهاتهم مختلفة تتراوح بين المواجهة التي تصل حد الانتحار والإلقاء في التهلكة في أحيان

---

(١) مراقد المعارف ٤١٣/١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٧ ص٣٩٤ وإعطاء الهدية والصلة: الرضا Δ (مستند العروة، الخمس، ص٢٤٢).

(٣) نهج البلاغة، قصار الكلمات، الرقم ٣٥٨ ص ٦٣١.

(٤) المصدر الرقم ٣٥٤ ص٦٣٠.

كثيرة وبين الانخراط في سلك الحكام مما يؤدي إلى تضييع الدين وتمييع العقيدة وكلا الحدين مخالف للشريعة وهنا يكون دور الإمام ضرورياً لرسم التصرف الآني الذي يرضي الله تبارك وتعالى وتقوم عليه الحجة الشرعية بأمر الإمام خصوصاً وإن المواقف التي صدرت من الائمة (ع) في هذا الاتجاه متنوعة تبعاً لاختلاف الموارد كما سترى إن شاء الله تعالى ضمن النقاط التالية: فقد يشتبه على الأمة أمرها وتختلط عليها الاوراق فتضع التصرف في مورده غير المناسب وهذا ما يحصل باستمرار عندما تبتعد الأمة عن قيادتها الحقيقية فتتيه في أودية الفتن ، ويمكن ملاحظة عدة تصرفات:

(الاول): عدم الركون الى الظالمين ورفض ولايتهم قال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[١] ، وهو امر اهتم به القرآن كثيرا لعلمه ان المسلمين سوف يعرضون عنه مما جرّ على الامة الويلات بسبب مداهنة الحكام والتملق لهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٢].

قال الامام الكاظم (ع) لصفوان الجمال: يا صفوان كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحدا، فقال: جعلت فداك أي شيء هو ؟ قال: إكراؤك جمالك لهارون، فقال: والله ما اكريته اشرا ولا بطرا ولا لصيد او لهو، ولكني اكريته لطريق مكة ولا اتولاها بنفسي، وانما ابعث معها غلماني، فقال لي: يا صفوان الست تحب بقاءهم الى ان يخرج كراك منهم ؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله، قال فمن احب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فقد ورد النار[٣]، فتصوروا ان الامام (ع) يمنعه حتى من الميل القلبي لبقائهم حتى يحصل على أجرة عمله وهو أمر طبيعي الحصول في القلب ولا يخلو منه أي شخص مرتبط مالياً بالدولة الجائرة كالموظف الذي ينتظر راتبه الشهري أو المقاول الذي ينتظر صرف أجور العمل وهكذا.

---

(١) هود: من الآية ١١٣ .

(٢) الانفال/٧٣.

(٣) سيرة الائمة الاثني عشر ٣٢٥/٢ .

وقال الامام الجواد (ع): العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء. وقال الامام زين العابدين (ع) لمحمد بن مسلم الزهري[١] بعد ان حذره من اعانة الظلمة على ظلمهم «اوليس بدعائهم اياك حين دعوك جعلوك قطبا اداروا بك رحى مظالمهم وجسرا يعبرون بك الى بلاياهم وسلما الى ضلالتهم وداعيا الى غيهم سالكا سبيلهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون قلوب الجهال اليهم فلم يبلغ اخص وزرائهم ولا اقوى اعوانهم الا دون ما بلغت من اصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة اليهم فما اقل ما اعطوك في قدر ما اخذوا منك وما ايسر ماعمروا لك في جنب ما خربوا عليك فانظر لنفسك فانه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول» [٢] وجاء في حديث الإمام الصادق في الإلزام بالمقاطعة لما في معونة الظالمين من بقائهم وميل المعاون اليهم (وذلك ان ولاية الجائر دروس الحق كله وأحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد» [٣].

(الثاني): جواز وأحيانا وجوب الاشتراك والانخراط في أعمالهم اذا كان في ذلك تحقيق الخير للاسلام والمسلمين على شرط ان يكونوا في سلامة من امر دينهم ودنياهم، كان علي بن يقطين وزيرا لهارون العباسي فاستاذن الامام الكاظم (ع) بترك العمل معه فلم يأذن وقال له: عسى ان يجبر الله بك كسرا، ويكسر بك نائرة المخالفين من أوليائه، يا علي كفارة اعمالكم الاحسان الى إخوانكم، ولما قدم الامام (ع) الى العراق قال علي بن يقطين: أما ترى حالي وما انا فيه ؟ فقال (ع) يا علي ان لله تعالى اولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي [١].

ويمكن ان نذكر ضمن هذه النقطة اذن الائمة (ع) للكثير من اصحابهم في الانضمام إلى جيوش المسلمين التي انطلقت لنشر الاسلام وفتح البلدان وكان فيها عيون الشيعة كسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وابي ايوب الانصاري ما دام في ذلك رفعة الاسلام وفي بعض الروايات ان الامامين الحسن والحسين H شاركا في جيوش الفتح في آذربيجان

---

(١) فقيه أخذ العلم من الامام السجاد Δ ثم أخذته اغراءات الامويين فدخل في دنياهم وعمل في بلاطهم.

(٢) مجلة الايمان، السنة٣، العدد١-٢، ص١٦١ عن عقائد الامامية للمظفر .

(٣) نفس المصدر .

وشمال افريقيا[٢] ، وقد تقلد الامارة بعض منهم في الكوفة والمدائن لما عرفت السلطات منهم نكران الذات وعدم ارادة الشقاق .

(الثالث): فضح السلطة وتعريتها والكشف عن وجهها الحقيقي والتصدي لمؤامراتها العلنية والخفية ولو كلف ذلك تقديم الضحايا لابقاء ضمير الامة حياً ويقظاً ولتوعيتها بما يدور حولها لتعرف اين هي من الاحداث وهو تكليف يدخل ضمن اشكال وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تقدم الكلام فيها وفي الحالات التي يتنجز هذا الوجوب كان الائمة (ع) يرفضون الخوف ويعتبرون السكوت عن هذه المظالم إعانة للعدو لانه يشجعه على الاستمرار على الظلم ما دام قد أمن من العقاب والاعتراض ويكون الساكت أول ضحاياه، قيل للإمام الرضا (ع): أما تخاف هؤلاء - يعني السلطة - فقال: (لو خفتُ عليها كنت عليها معيناً)[٣].

---

(١) الاحتجاج: ١٦٠/٢ (الهامش) عن رجال الكشي /٣٦٧، سفينة البحار ٢٥٢/٢.

(٢) السيرة: ١٧/٢.

(٣) السيرة ٣٨٠/٢ وهنا علق سيدنا الاستاذ Π السيرة ٣٨٠/٢ بقوله: (هذا الحديث بظاهره غير محتمل اذ لو كان يخاف عليها فإنه يحافظ على وجودها ولا يكون عليها (أي ضدها)معيناً فتبقى في فهمه احتمالات اخرى، منها: أن المراد: لوخفت منها لكنت عليها معيناً. إذ لو خاف منها لكان عدواً لها (وإنما يخاف العدو من عدوه) فيكون عليها معيناً. ومنها: أنّ المراد: لو خفت منها لكنت لها معيناً وهو الفهم الذي قدمتموه ومنها: ان المراد لو خفت عليها لكنت لها معيناً. إذ لو خاف عليها لكان صديقاً لها. ولكنه على أي حال لا يخاف عليها بهذا المعنى فليس هو لها بمعين.

الآن خطر لي أن الاخذ بظاهره ايضاً ممكن فيكون المراد لو كانت الدولة ضعيفة بحيث يخاف عليها من الانهيار لكان عوناً على انهيارها. بخلاف ما لو كانت قوية فلعله يعجز عن ذلك او يكون حكم التقية السكوت. وهكذا كلام اهل البيت E قد يكون له وجوه عديدة).

اقول: إذا اردنا ان نفهم الحديث اخلاقياً فيمكن ان ينطبق عليه احد الوجوه التي ذكرها Π اما الفهم (الحركي) له فما ذكرناه من اني لو خفت على نفسي والمفروض ان هذا الخوف سيمنعني من التنديد بالسلطة وتوعية الراي العام بانحرافها فسيساعد ذلك على انغماس السلطة اكثر في الظلم والعدوان ولعلي اكون من ضحاياه وعندئذٍ اصبح معيناً على نفسي. فالحديث بظاهره محتمل.

(الرابع): استرداد الحقوق [١] من السلطة واستنقاذها والحصول على ما يمكن الحصول عليه بالطرق المشروعة وقد كان الائمة (ع) يتقبلون الهدية او الصلة من الحكام لانه حقهم وحق المسلمين جميعاً وأخذهم إياها خيرٌ من بقائها بأيدي اولئك الظلمة يستخدمونها في نشر الظلم والفساد وكل ما يسخط الله بشرط ان لا يكون في ذلك إمضاء وتصحيح لوجودهم او تغرير بالناس لمتابعتهم وقد قبل الامام الكاظم (ع) هدية من هارون فقيل له في ذلك فقال (ع): لولا أني أريد ان أزوج بها شباب آل أبي طالب ليكثر نسلهم لما قبلتها.

(الخامس): عدم التعرض للتهلكة ولغضب السلطة فيتسبب في إزهاق الأرواح وإتلاف الأموال بدون مبرر كاف او هدف مشروع ومن حديث لأمير المؤمنين(ع): «وآمرك أن تستعمل التقية في دينك فإن الله يقول: وإياك ثم إياك ان تتعرّض للهلاك، وأن تترك التقية التي أمرتك بها فإنك شائط بدمك ودماء إخوانك معرض لزوال نعمك ونعمهم، مذلهم في أيدي اعداء دين الله وقد أمرك الله بإعزازهم)[٢] ، وقد أشتهر قولهم في هذا المجال (لا دين لمن لا تقية له) فقد يؤدي جهل او حماقة احد إلى إثارة سخط الحكام وغضبهم لذا أوصوا أصحابهم بالحذر وعدم إعطاء أي ذريعة للسلطات للأضرار بهم وكلما حاول الحكام ضبط أي وثيقة إدانة او سلاح في بيت الإمام الذي يداهمونه لعلهم يتذرعون بها فلم يجدوا الا المصلى والمصحف والمطهرة.

وضمن هذا التخطيط للائمة (ع) نذكر هذه الرواية لعلي بن يقطين وكان من خيرة أصحاب الإمام الكاظم (ع) لكنه يخفي مذهبه لانه كان يتولى الوزارة لهارون فأهدى إليه هارون جملة ثياب بينها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مطرزة بالذهب فانفذ ابن يقطين جل تلك الثياب الى الإمام (ع) ومن جملتها الدراعة ومبلغ من المال، فلما وصل ذلك الى الإمام (ع) قبل المال ورد الدراعة على يد الرسول لعلي بن يقطين، وكتب اليه: احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج أليها معه، فأرتاب بردها عليه ولم يدر السبب في ذلك. وبعد أيام

---

(١) علق هنا سيدنا Π «هذا صحيح الى حد ما واما التفسير الآخر فهو وجوب التقية اذ ان رفض جوائز الحكام قد يعني اعلان المعارضة للدولة الامر الذي كانوا يابونه عليه السلام. ولكن يلاحظ الى جنب ذلك انه إذا كان الرفض خالياً من المحذور فانه يرفض وقد وردت عدة روايات في رفض الاستلام من الحكام تنصّلاً كما وردت روايات في تحريم جوائز السلطان حتى افتى مشهور الفقهاء بذلك. وهي موجودة في الوسائل.

(٢) الميزان ٣ / ١٦٢، عن تفسير الصافي والاحتجاج.

تغير على غلام له كان يتولى خدمته ويعرف ميوله إلى الإمام وما كان يحمله إليه من الأموال والهدايا فسعى به الغلام الى هارون وأخبره بأنه يقول بإمامته ويحمل اليه خمس ماله في كل سنة وقد أرسل إليه فيما أرسله الدراعة التي أكرمته بها فأستشاط هارون غضباً، وقال لأكشفنَ هذا الامر فإن صح عليه ذلك أزهقت نفسه، واستدعاه اليه في الحال، فلما مثل بين يديه قال له: ما فعلتَ بالدراعة التي كسوتك بها، فقال يا أمير المؤمنين هي عندي في سفط مختوم فيه طيب قد احتفظت بها وكلما أصبحت فتحت السفط ونظرت اليها تبركاً بها وقبلتها ثم رددتها الى موضعها، فقال له هارون: عليك أن تحضرها الساعة فأستدعى بعض خدمه وقال له: إمض الى البيت الفلاني في داري وخذ مفتاحه من خازني وافتحه، ثم أفتح الصندوق وجئني بالسفط الذي فيه بختمي فلم يلبث الغلام أن جاء بالسفط مختوماً فوضعه بين يدي هارون ففتحه ووجد الدراعة بحالها مدفونة بالطيب فسكن غضب هارون وقال له: ردها الى مكانها وانصرف راشداً فلن أصدقَ عليك بعد اليوم ساعياً وأمر بضرب الساعي ألف سوط فمات تحت السياط[١].

(الثالثة): تشريع التقية .

كأسلوب للتعامل مع الآخرين سواء كانت السلطات او المخالفين في المذهب او الفكر لصيانة النفس والمال والعرض من التلف عندما لا يكون المبرر كافياً للتضحية بها والتقية تعني العمل بالممكن وضمن الفرصة المتاحة من دون اندفاع أزيد وإخفاء العمل الازيد من ذلك انتظاراً لإتاحة الفرصة له، وقد كثر التقول على الشيعة بسبب هذا المبدأ لجهلهم بمفهومه وأصل تشريعه فأنه تشريع إسلامي بحت نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٢]، كما إنها سيرة عقلائية يقوم بها الناس في ظروفها الموضوعية وإنما كانت من المعالم البارزة في مذهب التشيع لانه لا يُرى مشروعية السلطات المتعاقبة ولم يَسِر في ركابها مما عرضه لانواع البلاء الذي يستوجب هذا السلوك ولو أبتلي

---

(١) السيرة: ٢ / ٣٣٤.

(٢) آل عمران / ٢٨.

غيرهم بأقل مما أبتلوا لعمل أكثر مما عملوا، وقد أخذ بها المسلمون في بدء الشريعة كعمار بن ياسر عندما كان يعذبه ووالديه المشركون وضغطوا عليهم ان يذكروا هبل بخير فلم يفعل والدا عمار حتى استشهدا واعطاهم عمار ما يريدون فلما وصل الخبر الى رسول الله (ص) ترحم على والدي عمار وبشرهما بالجنة ولم يعنف عماراً ونزل قوله تعالى: ﴿إلا مَنْ أكْرِهَ وَقلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالأيمَان﴾ [١] .

وروي ان اثنين تعرضا لمثل هذا الموقف فثبت أحدهما ولم يعطِهم ما يريدون واعطاهم الآخر فعلق المعصوم (ع) بأن الاول استعجل الرواح الى الجنة والثاني أفقه من صاحبه.

وتوجد مصادر عديدة دافعت عن الشيعة وبينت مفهوم التقية وظروف العمل بها وادلة مشروعيتها [٢] فلا أدخل في هذه التفاصيل، وهي على أقسام من حيث حكمها الشرعي :

١- الواجبة: وهي التي لا محيص عن العمل بها ومن يتركها فقد أهلك نفسه وغيره وذلك عندما يكون إظهار العمل محرماً وفيها ورد قولهم (ع): (لا دين لمن لا تقيه له) لان مخالفتها تؤدي الى محق الدين وأهله ومن مظاهرها عدم التجاهر بما يخالف الحكام وأشياعهم والاكتفاء بإعلان ما يوافقهم فقط أي ما يشترك به معهم ولا يثير حفيظتهم كقراءة القرآن مثلاً، قال رسول الله (ص): «لا تسبوا أهل الشرك» وفيه «ولولا أنا نخاف عليكم أن يُقتل رجل منكم برجل منهم ورجل منكم خير من ألف ألف رجل لأمرناكم بالقتل لهم»(٣) ومن الشواهد على ذلك ما روي إن علي بن يقطين كتب إلى الإمام الكاظم (ع) يستفتيه في بعض مسائل الوضوء بما يخص مسح الرجلين فرجع اليه الجواب يأمره فيه بغسل الرجلين في الوضوء بدلاً من مسحهما فتعجب من ذلك لأنه خلاف ما يعهده من مذهب أهل البيت ولكنه التزم بما أمره به في وضوئه وبعد ذلك بأيام وشى احد خصومه به الى هارون وقال له: انه رافضي يخالفك في المذهب ويقول بإمامة موسى بن جعفر فقال لبعض خاصته لقد كثر القول في علي بن يقطين وميله الى الرفض ولستُ ارى في خدمته تقصيراً وقد امتحنته مراراً فلم أقف منه على شيء، فقيل له: ان

---

(١) النحل: من الآية١٠٦ ، وراجع: سبب نزول الآية والتي قبلها .

(٢) منها تاريخ الغيبة الكبرى وبعض اعداد مجلة الايمان / السنة الثانية، والكتب التي دافعت عن عقائد الشيعة وردّت على الشبهات الموجّهة اليهم .

(٣) الوسائل باب ٢٦ من ابواب جهاد العدو.

الرافضة تخالف الجماعة في الوضوء فتخففه ولا ترى غسل الرجلين فإمتحنه من حيث لا يعلم بالوقوف على وضوئه، فاستحسن هارون هذا الرأي وتركه مدة ثم كلفه عمل معه في داره وكان إذا أشتغل في الدار يخلو الى حجرة فيه لوضوئه وصلاته فلما دخل وقت الصلاة ووقف الرشيد يترصد كيف يتوضأ بحيث لا يراه أحد فتمضمض ثلاثاً وأستنشق ثلاثاً وغسل وجهه وخلل شعر لحيته ثم غسل يديه الى المرفقين ومسح رأسه وأذنيه وغسل رجليه ثلاثاً كما أمره الامام (ع) في كتابه اليه هذا وهارون ينظر اليه فلما رآه قد فعل ذلك لم يملك نفسه حتى أشرف عليه وناداه: كذب يا علي بن يقطين من زعم إنك من الرافضة، وبعد ذلك كتب إليه الامام يأمره بأن يعود الى ما كان عليه في وضوئه وأن يمسح مقدم رأسه وظاهر قدميه الى الكعبين كما عليه مذهب أهل البيت (ع)[١] فنلاحظ كيف يوجه الامام اصحابه الى وجوب العمل بالتقية ولذا افتى الفقهاء ببطلان الوضوء على الشكل الاعتيادي لو خالف في هذا المورد لعدم مشروعيته.

٢- الجائزة: بمعنى ورود الرخصة في العمل بها في بعض الموارد ليس على نحو العزيمة والالزام بحيث يبقى الباب مفتوحاً لعدم الاستفادة من هذه الرخصة والاقدام على ما يمكن أن يتسبب جراء ذلك من اضرار بحسب مراتب الناس في الايمان والتضحية (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) كما في الحالتين التي ذكرناهما عن عمار ووالديه والرجلين الآخرين فمن يلتزم بالتقية ويأخذ بالرخصة فقد برأت ذمته وليس عليه شيء ومن أحب أن يصاب في سبيل الله فالأجر على قدر المشقة، ومنها الأذن الذي أعطاه أمير المؤمنين لاصحابه بأن يسبوه اذا تعرضوا لخطر الموت بتركه.

٣- المحرمة: وهي حالة الجبن والضعف عن إتخاذ الموقف الشرعي المطلوب والامتثال للتكليف الواجب من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما وارتكاب المنافيات للشريعة من جرائم الظلم والعدوان والقتل والفساد بحجة إنه مجبر ومكره على ذلك خصوصاً اذا بلغت القتل وقد ورد في حديث (إن التقية في كل شيء حتى اذا بلغت الدم فلا تقية) فأن بعض الذين خرجوا لحرب الحسين (ع) كانوا مكرهين وكان خروجهم تحت ضغط القتل والسجن

---

(١) السيرة ٢ / ٣٣٥.

وتقطيع الايدي والارجل وسمل العيون ومع ذلك لم يكن هذا مبرراً للقيام بأي عمل منافٍ للشريعة ولحقتهم اللعنة الى الابد.

وكنموذج على القسمين الأخيرين من التقية نذكر قول أمير المؤمنين (ع) «أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجلُ رحب البلعوم، مندحق البطن - أي عظيمها - يأكل ما يجد ويطلُبُ ما لا يجد، فاقتلوه، ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السبُ فسبوني، فإنه لي زكاة، ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فأني ولدتُ على الفطرة، وسبقتُ الى الايمان والهجرة»[١] .

وتمييز الاقسام لا يخلو من دقة فإنها احكام فقهية لها أصولها المعتبرة وتحتاج الى (الموازنة بين الضرر النازل على الفاعل والضرر المأمور به ظلماً على الشخص الآخر فيختار الإنسان أخفهما ولو وقع على نفسه ويرتفع وجوب التقية وإذا كان كلاهما هو القتل فيجب أن يقدم الإنسان المأمور نفسه للقتل لا أن يباشره» [٢] .

وقد كان الائمة (ع) يفتون أصحابهم أحياناً بغير مذهبهم موافقة للعامة حفاظاً على أرواحهم ولكن لا يعسُر على الفقيه الظليع بمذهب أهل البيت (ع) تمييز الحكم الواقعي من الحكم الثانوي على سبيل التقية ومن هنا جعلوا أحد موازين الأخذ بأحد الخبرين المتعارضين هي مخالفة العامة، قال الصادق (ع) : «من عرف من أمرنا أن لا نقول الا حقاً فليكتفِ بما يعلم منا، فأن سمع منا خلاف ما يعلم فليعلم ان ذلك دفاعٌ واختيار له»[٣] .

(الرابعة): مقاومة التيارات الفكرية

التي تنشأ ضمن إطار التشيع وهي منحرفة عنه بل إن بعضها مروق عن الدين كله ومن هذه التيارات الغلو في الائمة والنظر اليهم على انهم إله متجسد في إنسان وكمذهب الواقفة الذين قالوا بحياة الامام الكاظم (ع) فتوقفوا إلى إمامته وقد سلك الائمة (ع) مختلف الطرق

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٥٧ ص ١٠٧ .

(٢) من تعليقات سيدنا الأستاذ Π.

(٣) الاحتجاج: ١٠٦/٢.

للقضاء على هذه الافكار والمعتقدات الفاسدة وهي في مهدها فلعنوا اصحابها وتبرأوا منهم وأظهروا قلقهم وخوفهم من هذه الحركات وتأثيرها في الشيعة وأوصوا أصحابهم بمقاطعتهم.

قال الصادق (ع) لأبي بصير: يا أبا محمد إبرأ ممن يرى إننا أرباب أنبياء فقال أبو بصير: برئت إلى الله منهم، ثم قال الامام (ع) من قال إننا أنبياء فعليه لعنة الله. وقال (ع) «وإما قوله - يعني أبا الخطاب أحد رؤوس الغلاة - أني اعلم (١) الغيب فو الله الذي لا اله الا هو ما اعلم الغيب ولا آجرني الله في امواتي ولا بارك لي في احيائي ان كنت قلت له ذلك، وقال (ع) للمفضل بن يزيد وقد ذكر اصحاب ابي الخطاب والغلاة، يا مفضل لا تقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم، وقال (ع) اللهم إلعن أبا الخطاب فإنه خوّفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي اللهم اذقه حر الحديد، وقال (ع) لبشار الشعيري: أخرج عني لعنك الله، لا والله لا يظلني وأياك سقف ابداً، فلما خرج قال ابو عبد الله: ويله الا قال بما قالت اليهود، ألا قال بما قالت النصارى. الا قال بما قالت المجوس او بما قالت الصابئة، والله ما صغر الله تصغير هذا الفاجر أحد من الناس، إنه شيطان وإبن شيطان خرج من البحر ليغوي اصحابي فاحذروه وليبلغ الشاهد الغائب: فإني عبد الله وابن عبد الله ضمنتني الاصلاب والارحام وإني لميت ومبعوث ثم مسؤول والله لأسألنَ عما قال فيَ هذا الكذاب وادّعاه، ماله غمه الله فلقد افزعني واقلقني عن رقادي [٢].

وبلغ الائمة (ع) في محاربة هذه التيارات أن أمدوا أصحابهم بالمال والسلاح لقتل اصحابها فقد أمر الامام الهادي (ع) بقتل فارس بن حاتم وضمن لمن قتله الجنة وقال فيه: فارس لعنه الله يعمل من قبلي فتاناً يفتن الناس ويدعوهم الى البدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن يريحني

---

(١) هنا علق سيدنا الاستاذ Π «هذا لأجل تفسير علم الغيب بالصفة الالهية وهي العلم به مباشرة فانهم عليهم السلام ليسوا كذلك وإنما يعلمون الغيب بتعليم منه تبارك وتعالى أما عن طريق الرواية عن النبي 2 او بالالهام ونحو ذلك، وكان الائمة E ينفون عن أنفسهم هذه الصفات حتى يأخذ كل شخص مقدار تحمله من علمهم ولا يحملون الناس ما لايطيقون فقد يوجب ذلك ارتداد الكثيرين او عبادتهم من دون الله سبحانه كما كان مع أمير المؤمنين Δ، مع أن كل صفاتهم من فضل الله سبحانه (إن فضله كان عليك عظيماً) ومن هنا يكون من يصرح بذلك امام الجمهور وخاصة امام (العامة) وغيرهم ملعوناً مضافاً الى اسباب اخرى للعن هؤلاء المنحرفين المذكورين في الرواية.

(٢) السيرة: ٢ / ٢٦٢.

منه ويقتله وأنا ضامن له على الله الجنة ثم استدعى شخصاً يقال له جنيداً واعطاه مقداراً من الدراهم ليشتري بها سلاحاً وأمره ان يعرض السلاح عليه بعد شرائه، وقد إشترى جنيد سيفاً فأمره برده وأخذ مكانه ساطوراً وعرضه عليه فارتضاه، فمضى جنيد واعترض فارس بن حاتم وهو خارج من المسجد بين المغرب والعشاء فضربه على رأسه ضربة وقع منها ميتاً[١]

.

وناظر الائمة (ع) بعض أولئك المنحرفين ممن لم تكن له نية سوء وغير مسخر للسلطة التي شجعت مثل هذه الحركات الانفصالية لتشويه عقيدة الشيعة وتنفير الناس منهم ولإلقاء الفرقة والخلاف بينهم حتى يتشتت أمرهم ، وافلحوا في إعادة جمع منهم الى حظيرة الإسلام والتشيع فبعد وفاة الإمام الكاظم (ع) في السجن وغيابه فيه مدة طويلة ادعى بعض المقربين من أنصار الإمام الكاظم (ع) رجوعه بعد غيبته كما رجع موسى بن عمران وسميت هذه الفرقة بالواقفة لانهم توقفوا عند الكاظم (ع) فبذل الرضا (ع) عدة محاولات لاقناع أقطاب هذه الفرقة بخطأ ادعائهم وارشادهم الى نفسه (ع) واقام الحجج والبراهين على ذلك وفي أحدى هذه المحاولات اجتمع عندالرضا (ع) بعض رؤساء الواقفة ومنهم علي بن ابي حمزة فقال للامام: ما فعل ابوك ؟ قال: مضى موتاً، فقال له: الى من عهد من بعده ؟ فقال: عهد الي، فقال له: فأنت امام مفترض الطاعة من الله، قال: نعم، قال ابن السراج وابن المكاري - من اقطاب الواقفة ايضاً - قد والله امكنك من نفسه، قال: ويلك وبما امكنته اتريد ان آتي بغداد واقول لهارون: انا إمام مفترض الطاعة والله ما ذلك عليُ وانما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتت امركم لئلا يصير سركم في يد عدوكم.

فقال له ابن ابي حمزة: لقد اظهرت شيئاً ما كان يظهره احد من آبائك ولا يتكلم به، فقال: بلى لقد تكلم خير آبائي رسول الله (ص) لما أمره الله تعالى أن ينذر عشيرته الاقربين، فلقد جمع اهل بيته اربعين رجلاً وقال لهم: انا رسول الله اليكم، فكان اشدهم تكذيباً له وتأليباً عليه عمه ابو لهب، فقال لهم النبي (ص): إن خدشني خدش فلست بنبي، فهذا أول ما أبدع لكم من آيات النبوة، وانا اقول إن خدشني هارون خدشاً فلست بإمام فهذا ما أبدع لكم من آية الامامة، ثم قال علي بن ابي حمزة: إنا روينا عن آبائك ان الامام لا يلي امره الا امام مثله، فقال له ابو الحسن الرضا (ع): اخبرني عن الحسين بن علي (ع) كان إماماً أم لا ؟ فقال: لقد كان إماماً،

فقال له الرضا: فمن ولي أمره ؟ قال: ولده علي بن الحسين، قال: لقد كان علي بن الحسين أسيراً في يد عبيد الله بن زياد في الكوفة فخرج وهم لا يعلمون الى كربلاء حتى ولي أمر أبيه ورجع. ثم أضاف الرضا (ع): ان الذي أمكن علي بن الحسين أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد ليلي امر ابيه وهو ليس في حبس ولا أسر[١] .

وبعد هذه المناظرات وامثالها رجع منهم عدد كبير وقالوا بإمامته (ع) وأصر عليها جماعة لعنهم الامام وتبرأ منهم ووصفهم بالالحاد والزندقة.

(الخامسة): رسم علاقاتهم مع الأمة.

وذلك من خلال عدة أمور:

الاول: تعزيز الوحدة الاسلامية، وقد مر الكلام في هذا الموضوع ضمن الفصل الاول لكن الذي ينبغي إضافته هنا أمرهم (ع) للشيعة بأن يجاملوا الطوائف الأخرى ويحضروا مناسباتهم الاجتماعية ويصلوا معهم (ع) صفوفهم الاولى ورصدوا لمن فعل ذلك ثواباً جسيماً[٢] .

الثاني: ممارسة الدعوة الصامتة، قال الصادق (ع) لاصحابه: اوصيكم بتقوى الله واداء الامانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وان تكونوا لنا دعاة صامتين، فقالوا: يا ابن رسول الله (ص) : كيف ندعو الى الله ونحن صامتون، فقال (ع): تعملون بما أمرناكم به من طاعة الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا الينا [٣] .

الثالث: ممارسة الدعوة إلى أهل البيت (ع) باللسان ، فقد روى اسماعيل بن عبد الخالق ، قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: لأبي جعفر الاحول وأنا أسمع ، أتيت البصرة ؟ فقال: نعم، قال: كيف رأيت مسارعة الناس الى هذا الامر ودخولهم فيه؟ قال: والله إنهم لقليل ولقد فعلوا

---

(١) السيرة: ٣٧٥/٢.

(٢) راجع وسائل الشيعة، مج ٥، كتاب الصلاة، ابواب صلاة الجماعة ، الباب ٥.

(٣) السيرة: ٢/ ٢٤٠.

وإن ذلك لقيل، فقال: عليك بالاحداث فانهم أسرع الى كل خير، ثم قال: ما يقول أهل البصرة في هذه الآية: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ؟[١] قلت: جعلت فداك إنهم يقولون: إنها لأقارب رسول الله (ص) فقال: كذبوا إنما أنزلت فينا خاصة في أهل البيت(ع) في علي وفاطمة والحسن والحسين(ع) أصحاب الكساء[٢] .

فتراهم يرسلون الدعاة الى حقهم ويوجهونهم ويتابعون نتائج أعمالهم ويناقشون معهم العراقيل ومعوّقات العمل الاسلامي ويرشدونهم إلى وسائل تفعيل الدعوة ككسب الشباب لأنهم يسارعون الى الخير ورقيقو الافئدة فيسرعون الى القناعة ويضمون من أجلها لأن قلوبهم ما زالت نقية صافية لم تتكدر بكثرة العلائق بالدنيا فتكون استجابتها للحق سريعة، وقد حددوا (ع) حد اليأس من متابعتها[٣] .

وكانوا (ع) يحثّون كل من تعلم شيئاً على تبليغ احكام الاسلام وأخلاقه في شرق الارض وغربها ، قال الامام الصادق(ع) : (إن رسول الله (ص) خطب الناس في مسجد الخيف فقال: نضّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وابلغها من لم يسمعها فربّ حامل فقه غير فقيه وربّ حامل فقه الى من هو أفقه منه)[٤] .

الرابع: التشجيع على تعلم فن المناظرة وتلقن الحجج الدامغة للدفاع عن آرائهم ومعتقداتهم وإبطال العقائد الاخرى أو لاقناع الاخرين بما هم عليه وكان الائمة (ع) يفرحون بفوز اصحابهم بالمناظرات ويستعيدون أقوالهم وحججهم ويلقنونهم الادلة اذا اعيتهم، لاحظ الرواية التي نقلناها عن الامام الباقر (ع) في اثبات ان ابن البنت هو ابن حقيقة، وروي ان الامام الصادق (ع) قال لعبد الرحمن بن الحجاج البجلي: ناظر اهل الاراء والبدع فإني أحِبُ ان يروا في شيعتي

---

(١) الشورى: ٢٣ .

(٢) روضة الكافي، ح ٦٦، ص ٧٩.

(٣) راجع: أصول الكافي، كتاب التوحيد.

(٤) اصول الكافي، كتاب الحجة، ص ٩٩، ح١.

مثلك، وقال له حمزة الطيار: بلغني إنك تكره الخصومة مع الناس ومناظراتهم فقال: أما كلام مثلك من إذا طار أحسن أن يقع وإذا وقع أحسن أن يطير فلا أكره مناظرته للناس[١].

عن يونس بن يعقوب انه قال: كنت عند ابي عبد الله الصادق (ع) فورد عليه رجل من أهل الشام فقال له: إني رجل صاحب فقه وكلام وفرائض وقد جئت لمناظرة اصحابك فقال له الامام (ع) كلامك هذا من كلام رسول رسول الله (ص) او من عندك، فقال: من كلام رسول الله بعضه ومن عندي بعضه، فقال له الامام (ع): فأنت إذن شريك رسول الله ؟ فقال: لا، قال: سمعت الوحي من الله تعالى، قال: لا. قال: فتجب طاعتك كما تجب طاعة رسول الله (ص)، قال: لا، ثم التفت أليَ ابو عبد الله الصادق (ع) وقال: هذا خصم نفسه قبل أن يتكلم، ثم قال: يا يونس لو كنت تحسن الكلام كلمته، قال يونس: فيالها من حسرة، ثم قال: سمعتك يا أبا عبد الله تنهى عن الكلام وتقول: ويل لاصحاب الكلام يقولون هذا ينقاد وهذا لا ينقاد، وهذا ينساق وهذا لا ينساق، وهذا نعقله وهذا لا نعقله فقال الامام (ع): إنما قلت ويل لقوم تركوا قولي بالكلام وذهبوا الى ما يريدون، قم فأخرج الى الباب فمن ترى من المتكلمين فأدخله، فخرجت فوجدت حمران بن أعين ومحمد بن النعمان الأحول وهشام بن سالم وقيس الماصر وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين فأدخلتهم، فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبد الله في طرف جبل على طريق الحرم وذلك قبل الحج بأيام فأخرج ابو عبد الله رأسه من الخيمة فأذا هو ببعير يخب قال: هشام ورب الكعبة، وكنا ظننا أن هشاماً رجل من ولد عقيل، وكان شديد المحبة لآبي عبد الله (ع) فأذا هو هشام بن الحكم وهو أول ما اختطت لحيته وليس فينا الا من اكبر منه سناً، فوسّع له ابو عبد الله (ع) وقال: ناصرنا بقلبه ولسانه ويده، ثم قال لحمران: كلم الشامي فكلمه حمران وظهر عليه ثم التفت الى محمد بن النعمان الاحول وقال كلمه فكلمه وظهر عليه وأمر بقية اصحابه ان يكلموه ويجادلوه والامام الصادق (ع) يبسم لحوارهم مع الشامي، ثم قال للشامي كلم هذا الغلام إن شئت يعني بذلك هشاماً فظهر عليه هشام، وفي النهاية اعترف الشامي بإمامة الصادق (ع)[٢].

---

(١) السيرة: ٢ / ٢٦٨.

(٢) السيرة: ٢ / ٢٨٣، وهي موجودة في اصول الكافي/ كتاب الحجة.

وكان الائمة (ع) يجرون التمرينات على المناظرة بين اصحابهم بحضرتهم، روى الكشي ان جماعة من اصحاب الصادق (ع) منها جميل بن دراج وعبد الرحمن بن الحجاج وجماعة غيرهما يبلغون نحواً من خمسة عشر رجلاً او يزيدون اقترحوا على هشام بن الحكم ان يناظر هشام بن سالم في التوحيد وصفات الله سبحانه وكلاهما من البارزين بين اصحاب الصادق (ع) في الفقه والكلام والفلسفة وغيرهما من العلوم فعقدوا مجلساً لهذه الغاية ودار بينهما الجدل والحوار على جميع الافتراضات التي يمكن ان تكون موضع جدل وحوار بينهم وبين خصومهم من الزنادقة والمنحرفين[١].

ولم يسمحوا (ع) لغير ذوي الكفاية من التعرض للمناظرة لما في ذلك من الخذلان والانهزام أمام الخصوم مما يعود بالضرر على أصل العقيدة وثقة الناس بها فيتزعزع إيمانهم ولا تختص الهزيمة بنفس المناظر فقط كما أن غير الكفوء قد يخلط الحق والباطل ويأتي بأمور مخالفة للحقيقة مما يشوّه صورة الحق، فعن ابي خالد الكابلي قال: رأيت ابا جعفر صاحب الطاق في الروضة وقد قطع اهل المدينة أزراره وهو دائب يجيبهم ويسألونه فدنوت منه وقلت له: ان ابا عبد الله نهانا عن الكلام، فقال: لقد أمرك أن تقول لي، فقال: لا والله ولكنه امرني ان لا أكلم أحداً، قال: فأذهب وأطعه فيما أمرك، قال الكابلي: فدخلت على ابي عبد الله الصادق (ع) فأخبرته بقصة صاحب الطاق وما قلت له وما اجابني به، فتبسم ابو عبد الله (ع) وقال: يا ابا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض وانت اذا قصوك لن تطير[٢].

وحثوا العلماء على مساعدة ضعيفي الحجة وانقاذهم من خصومهم، قال الرضا (ع): افضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته، وذله ومسكنته أن يغيث في الدنيا مسكيناً من محبينا من يد ناصبٍ عدو لله ولرسوله[٣].

الخامس: الاهتمام بأمور المسلمين ككل، وقد مر كلام كافٍ وكلماتهم مليئة بالوصايا في هذا المجال حيث امروا اصحابهم بحسن الصحبة والجوار والتعاون واداء الامانة واجتناب الخيانة والايثار والاحساسُ بآلام الآخرين ومساعدة الضعيف والمحتاج وادخال السرور عليهم والعمل

---

(١) السيرة: ٢ / ٢٦٨.

(٢) السيرة: ٢ / ٢٠٨ .

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٣٥.

لخير الناس اجمعين لانهم كما قال امير المؤمنين (ع) صنفان (إما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)، (راجع: كتاب تحف العقول للحراني، والمجلد الحادي عشر من وسائل الشيعة وقد صنّفنا هذه العلاقة في عدة محاور في محاضرة «عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت(ع)» المنشورة في كتاب «نحن والغرب»).

السادس: الشعور بمسؤولية ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه الامة جميعاً وليس ضمن اطار التشيع فقط وقد مر تفصيل الكلام فيه.

السابع: الاستفادة من التقية في التعامل مع الآخرين للحفاظ على الالفة والتقارب وعدم إثارة الخلافات لصيانة الارواح من الغوغاء والهمج الرعاع الذين ينعقون مع كل ناعق واستعمال التورية في الكلام كأسلوب لتحقيق ذلك .

وقد كان الائمة (ع) يعلمون شيعتهم التورية في الكلام، قال رجل من خواص الشيعة للامام الكاظم (ع) - وهو يرتعد بعد ما خلا به - يابن رسول الله ما أخوفني أن يكون فلان بن فلان ينافقك في إظهاره اعتقاد وصيتك وإمامتك، فقال الامام (ع): وكيف ذاك ؟ قال: لأني حضرت معه اليوم في مجلس فلان وكان معه رجل من كبار أهل بغداد فقال له صاحب المجلس: أنت تزعم أن صاحبك موسى بن جعفر إمام دون هذا الخليفة القاعد على سريره، فقال له صاحبك هذا: ما اقول هذا، بل أزعم ان موسى بن جعفر غير إمام، وإن لم اكن اعتقد انه غير إمام فعليَ وعلى من لم يعتقد غير ذلك لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، فقال له صاحب المجلس: جزاك الله خيراً ولعن من وشى بك اليَ، فقال الامام الكاظم (ع) ليس كما ظننت، ولكن صاحبك أفقه منك، انما قال موسى غير امام، أي ان الذي هو غير امام فموسى غيره، فهو إذن إمام، فإنما أثبت بقوله هذا امامتي ونفى إمامة غيري[١] يا عبد الله متى يزول عنك هذا الذي ظننته بأخيك هذا من النفاق ! تب الى الله[٢].

---

(١) تفسير ذلك: ان صاحب المجلس زعم ان الإمام هارون فقال هذا الفقيه انا أزعم ان موسى غير امام أي انه امام غير الامام الذي تعنيه الذي هو ليس اماماً لان الإمام واحد لا يتعدد في الزمان الواحد فموسى هو غير (أي ليس) غير امام وهو هارون فهو إمام وغيره لا.

(٢) الاحتجاج: ٢ /١٦٩.

وعن اثنين من الشيعة قالا: حضرنا عند الامام الحسن العسكري (ع) فقال له بعض اصحابه: جاءني رجل من اخواننا الشيعة قد امتحن بجهال العامة يمتحنونه في الامامة ويحلفونه، فكيف يصنع حتى يتخلص منهم ؟ فقلت له: كيف يقولون قال يقولون: «اتقول ان فلاناً هو الامام بعد رسول الله (ص) ؟ فلا بد لي ان اقول نعم وإلا اثخنوني ضرباً فإذا قلت: نعم قالوا لي: قل (والله) فقلت لهم: (نعم) واريد به (نعماً) من الانعام: (البقر والابل والغنم). قلت: فاذا قالوا: والله فقل ولى تريد عن امر كذا فانهم لا يميزون وقد سلمت. فقال لي: فإن حققوا عليَ فقالوا: قل (والله) وبين الهاء فقلت: قل والله برفع الهاء فانه لا يكون يميناً اذا لم يخفض، فذهب ثم رجع اليَ فقال: عرضوا عليَ وحلفوني فقلت كما لقنتني، فقال له الامام (ع): أنت كما قال رسول الله (ص) «الدال على الخير كفاعله »[١] .

(السادسة): وضع منهج حياتي متكامل لهم .

وهو مطلب لكل من يريد السير والسلوك الى الله تعالى ولا شك أن هذا المنهج لا يضعه إلا من بلغ القمة في الكمال ومن غيرهم (ع) يستطيع ذلك كما أن الذي يتصدى له لا بد أن يكون حكيماً حاذقاً في وصف الجرعات التربوية لأن إعطاء أزيد من استحقاق الفرد ظلم له وكذا إعطاء الأقل وهم (ع) وان لم يعطوا ذلك بشكل واضح ومحدد بسبب التباين الكبير بين قابليات البشر واستعدادهم النفسي للتكامل فلا يمكن تقديم وصفة موحدة للجميع ومن هنا كانت طريقتهم (ع) بإلقاء الوصايا والنصائح والمواعظ الكثيرة وفي مختلف الاتجاهات والأساليب ليأخذ منها كل شخص بحسب استحقاقه تطبيقاً لقوله تعالى (فسالت أودية بقدرها) فأن قلوب الناس وعقولهم أوعية وأودية تختلف في استيعاب ماء المعرفة النازل عليها من سماء الرحمة واللطف الإلهيين.

ويوجد هذا المنهج او قل يمكن استخلاصه من عدد كبير من الخطب (كالموجودة في نهج البلاغة ومنها خطبته (ع) في وصف المتقين وخطبة الوسيلة في روضة الكافي) والادعية (كالصحيفة السجادية وخصوصاً دعاءه في طلب مكارم الاخلاق ودعاء الامام الحسين (ع) يوم

---

(١) الاحتجاج: ٢ / ١٦٧.

عرفه وغيرها) والرسائل الموجهة الى الشيعة وعلمائهم وهي قد تكون مختصرة (رسالة الامام العسكري (ع) إلى والد الشيخ الصدوق) او مطولة (كرسالة الامام الصادق (ع) الى جماعة الشيعة وهي موجودة في نهاية روضة الكافي) ودروس عملية كثيرة في تهذيب النفس وتطهير القلب من خلال احاديث كثيرة موجودة في مجاميع الحديث (تحف العقول، الخصال، ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، صفات الشيعة، ج١٠ و ج١١ من وسائل الشيعة، روضة الكافي) . وأكتفي هنا رعاية للاختصار بنقل رسالة الامام الحسن العسكري(ع) إلى والد الشيخ الصدوق وجه الشيعة وفقيههم في قم وتوفي سنة ٣٢٩ هـ وهذا نصها: (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، والجنة للموحدين، والنار للملحدين، ولا عدوان إلاّ على الظالمين، ولا إله إلاّ الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين.

أما بعدُ: اوصيك يا شيخي ومعتمدي وفقيهي أبا الحسن علي بن الحسين القمي وفقك الله لمرضاته وجعل من صلبك أولاداً صالحين برحمته بتقوى الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنه لا تقبل الصلاة من مانعي الزكاة، وأوصيك بمغفرة الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم ومواساة الاخوان والسعي في حوائجهم في العسر واليسر، والحلم عند الجهل، والتفقه في الدين، والتثبت في الامور، والتعاهد للقرآن، وحسن الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى:< لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ>[1] ، واجتناب الفواحش كلها، وعليك بصلاة الليل فإن النبي(ص) أوصى علياً (ع) فقال: يا علي عليك بصلاة الليل ثلاث مرات ومن استخفّ بصلاة الليل فليس منا، فاعمل بوصيتي وأأمر شيعتي حتى يعملوا عليه، وعليك بالصبر وانتظار الفرج ولايزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشّر به النبي (ص) أنه يملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فاصبر يا شيخي وأأمر جميع شيعتي بالصبر (فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة

---

(١) النساء: ١١٤.

للمتقين) والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير)[١] .

وقد كان بعض الواعين من الشيعة يعرضون معتقداتهم واعمالهم على الائمة (ع) لينظروا فيها كالسيد عبد العظيم الحسني مع الامام الجواد (ع).

(السابعة): توفير ما يشبه الصندوق المالي .

من مال الامام نفسه او من الحقوق الشرعية التي تجبى اليه وغيرها لتنظيم شؤون الشيعة كفصل الخصومات وتزويج الأيامى ودعم المجاهدين والانفاق على عوائلهم ومساعدة الفقراء والمحتاجين ونحو ذلك، ففي دعم المجاهدين ورعاية أسرهم يقول الامام الصادق (ع) (لوددت أن الخارجي يخرج من آل محمد وعليَ نفقة عياله) وفي رواية ان الامام الباقر (ع) سأل شخصاً عن سبب تأخر زواجه فأعتذر بقلة ذات اليد فدفع إليه الإمام، سبع دنانير ليتزوج بها [٢] وفي تاريخ الغيبة أن الامام (ع) اعطى لعدد من رجاله وسفرائه لكل واحد ثمانين ألف دينار ولا شك إن هذا المبلغ الضخم لتغطية عدد من النشاطات الاجتماعية وليست لحوائجهم الشخصية.

ويروي المعلى بن خنيس ان الإمام الصادق (ع) أعطاه مقداراً من المال ليصلح بين اثنين من شيعته كانت بينهما خصومة مالية.

(الثامنة): صيانة حقوق الشيعة وأرواحهم وممتلكاتهم .

والدفاع عنها والمطالبة بها اينما كانوا وهو ما يشبه رعاية الحكومات والدول في العصر الحديث لرعاياها وجالياتها في الدول الاخرى ومن الشواهد على ذلك.

١ـ كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن ابي طالب فلما قدم زياد بن سمية الكوفة والياً عليها أخافه وطلبه فأتى الحسن بن علي فوثب زياد على أخيه وولده

---

(١) ترجمة الشيخ الصدوق في مقدمة كتاب علل الشرائع، وقال، إنها مذكورة في الاحتجاج وروضات الجنات للخونساري ومستدرك الوسائل للنوري .

(٢) وسائل الشيعة، ابواب مقدمات النكاح وآدابه .

وأمرأته وحبسهم وأخذ ماله وهدم داره، فكتب الحسن (ع) الى زياد: من الحسن بن علي الى زياد، أما بعدُ: فأنك عمدت الى رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم فهدمت داره وأخذت ماله وعياله فحبستهم، فأذا أتاك كتابي هذا فأبن له داره واردد عليه عياله وماله فإني قد أجرته فشفعني فيه، فردَ زياد بكتاب وقح ولم يستجب لطلبه فكتب الامام (ع) الى معاوية وارفق معه جواب زياد عندئذٍ امر معاوية واليه زياد لينفذ طلب الامام (ع) ففعل[١] .

٢- حزم الامام الصادق (ع) ومطالبته بأخذ القصاص ممن قتل المعلى بن خنيس بأمرٍ من والي المدينة داود بن علي وقد بالغ في ايذاء العلويين وتتبع أنصارهم وطلب من المعلى بن خنيس ان يخبره بحالهم فامتنع المعلى فهدده بالقتل وأصر على امتناعه فأمر قائد شرطته بقتله ولما بلغ الامام الصادق (ع) ما جرى على المعلى تأسف عليه وأشتد به الغضب ومشى بنفسه الى مقر الوالي ولم يكن ذلك من عادته فقال له: لقد قتلت مولاي وأخذت مالي، أما علمتَ أن الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الضيم وطلب منه القصاص فتنصل من المسؤولية وبعد جدال عنيف نفذ اولياء القتيل حكم القصاص - وقيل نفذه الامام نفسه - بالقاتل[٢] .

وسيأتي بأذن الله تعالى ذكر رسالة الامام الحسين (ع) ذات اللهجة الشديدة - كما يعبرون - الى معاوية يندد فيها بعدد من جرائمه ومنها قتل بعض اعيان الشيعة كحجر بن عدي وعمر بن الحمق الخزاعي.

(التاسعة): توفير عدد من خريجي مدرستهم

ممن بلغوا درجة كافية من العلم تؤهلهم للجلوس في المساجد والافتاء وذلك لتعليم الناس وتزويدهم بعقيدتهم من منبعها الاصيل وانقاذهم من الضلالات والافكار المنحرفة التي تتقاذف المجتمع ولمقاومة مؤامرات الحكام في طمس فقه اهل البيت (ع) والقضاء عليه بتشجيع عددٍ من العلماء الموالين لهم وفرضهم على الحواضر الاسلامية بالقوة كما فعل الامويون حين رفعوا من شأن بعض الفقهاء وتركوا لهم امر الافتاء وبيان الاحكام كسليمان بن موسى الاشدق وعبد

---

(١) الغدير: ١١ /٣١.

(٢) السيرة: ٢ / ٢٧٦ – ٢٧٧، ومعجم رجال الحديث ١٨/ ٢٧٦، عن رجال الكشي وفيه ان الامام Δ قال لابي بصير - وقد جرى ذكر المعلى - اما انه ما كان ينال درجتنا الا بما ينال منه داود بن علي .

الله بن ذكوان احد مواليهم وراوي احاديث ابي هريرة ونافع مولى ابن عمر وسليمان بن يسار الذي كان ملازماً لقصورهم وعكرمة مولى ابن عباس[١] وغير هؤلاء من علماء الموالي الذين قربوهم وأغدقوا عليهم الاموال ولم يسمحوا لاحد ان يحدث عن اهل البيت او يسند لعلي ولغيره من ولده رأياً في الفقه او غيره من المواضيع الاسلامية وحاول المنصور العباسي فرض موطأ مالك على الناس بالسيف وجعل له السلطة في الحجاز على الولاة وجميع موظفي الدولة فازدحم الناس على بابه وتهيبه الولاة والحكام وحينما وفد الشافعي عليه تشفع بالوالي لكي يسهل له امر الدخول عليه فقال له الوالي: أن أمشي من المدينة الى مكة حافياً راجلاً اهون عليَ من المشي الى باب مالك، ولست ارى الذل حتى اقف على باب داره[٢] ، ومنع هارون العباسي من الرواية عن أمير المؤمنين علي(ع).

وممن دفع بهم الائمة (ع) الى المساجد أبان بن تغلب وكان مقدماً في كل فن كالفقه والحديث والادب واللغة والنحو وقال له الباقر(ع): إجلس في مسجد المدينة وإفتِ الناس فإني احب ان يُرى في شيعتي مثلك[٣] وعبد الرحمن البجلي الكوفي فقد قال له الامام الكاظم (ع): كلم أهل المدينة فإني احب ان يرى الناس في رجال الشيعة مثلك[٤] .

وقال الرضا (ع) في هؤلاء العلماء: فقيه واحد ينقذ يتيماً من ايتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج اليه أشد على ابليس من الف عابد، لأن العابد همه ذات نفسه فقط، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه لينقذهم من يد ابليس ومردته ولذلك هو افضل عند الله من الف عابد[٥] .

(العاشرة): تعيين الإمام .

---

(١) السيرة: ٢ / ٢٥٤.

(٢) السيرة: ٢ / ٣٣٨.

(٣) السيرة: ٢ /٢٠٥، وراجع: تراجم هؤلاء الاعاظم في المعاجم الرجالية كـ (معجم رجال الحديث) للسيد الخوئي.

(٤) السيرة: ٢ / ٣٢٦.

(٥) الاحتجاج: ٢ /١٧٠.

ان تعيين البديل من اهم المسؤوليات التي يتحملها الامام وقد بينا مناشئ هذه الاهمية في بحث (كيف خطط رسول الله (ص) للخلافة من بعده)[١] وهي باختصار:

[١- ديمومة الرسالة واستمراريتها في اداء دورها فان اية رسالة مهما كانت تمتلك من نقاط قوة -كرسالة الاسلام- تموت بموت صاحبها فانه من المقطوع به ارتباط الرسالات والدعوات بحامليها المقيمين عليها المدافعين عنها المستوعبين لاسرارها لذلك فانها تنتهي بنهاية صاحبها الا ان يواصل الطريق من هو جدير بحملها وانت ترى الرسالات السماوية - وهي اكمل الدعوات- حُرِّفت وشُوِّهت بعد فترة يسيرة من غياب اصحابها[٢].

٢- قطع الطريق امام غير المؤهلين لهذا المنصب الالهي فان الامرة والزعامة خصوصاً الزعامة الدينية بما لها من قدسية وهيبة وجاه من اهم ما تنزع اليه النفس الامارة بالسوء ففي الحديث (آخر ما ينزع من قلوب الصديقين حب الجاه)[٣] اذن سيكون المتربصون بها كثيرين والحالمون بها والساعون الى تحصيلها اكثر. وقد اعترفوا انه ما عانت الامة من شيء كما عانت من مسألة الامامة والخلافة وهذا واضح تاريخياً.

٣- صيانة الامة من التشتت وحمايتها من التمزق فان من شأن تعدد المتصدين لهذا المنصب ان تتعدد الاحزاب والفرق الموالية لهم وكل يجرُّ النار الى قرصه فيتمزق امر الامة وتصبح طرائق قددا وها هي الاجيال بعد الاجيال تدفع ثمن التيه والضياع وآل امرها الى الانحلال لذا قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾[٤]، ﴿ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٥]، وحبل الله الممدود الى الخلق هما الثقلان كتاب الله واهل بيت نبيه صلوات الله

---

(١) نشر في كتاب (من وحي الغدير) .

(٢) كمثال على ذلك المسيحية بمجرد ان رفع عيسى B اصبح الانجيل الذي هو حاوي على كل ما يتعلق بالرسالة عدة اناجيل مزورة وموضوعة كانجيل متي ويوحنا ولوقا ومرقس فلم يبق من الدين المسيحي الا الاسم.

(٣) المحجة البيضاء ج٦ / فصل حب الجاه ص١٠٧.

(٤) آل عمران : ١٠٣.

(٥) الانفال : ٤٦.

عليهم اجمعين كما دلت عليه النصوص الشريفة[١]. وقد اشارت الزهراء سلام الله عليها الى هذه الفكرة المهمة في خطبتها فقالت: (وجعل امامتنا نظاماً للملة)[٢] اي بها تنتظم امورهم وتستقر.

٤- ان حامل الرسالة لا يستطيع ان يستمر بمشروعه حتى النهاية ويقدم كل ما عنده قبل ان يطمئن الى وجود البديل لانه قبل ذلك يخشى على مستقبل الرسالة فاذا احرز اجتماع الشروط في الشخص البديل استطاع ان يتقدم بلا تردد او خوف على مستقبل الرسالة، هذا الخوف الذي اشار اليه نبي الله موسى B لذا كان اول دعـــاء له: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[٣]، وفي كلمات امير المؤمنين B: (لم يُوجِس موسى عليه السلام خيفة على نفسه بل اشفق من غَلَبَة الجُهال ودِوَل الضلال)[٤].

هذه امور يدركها كل عاقل ويزداد الامر وضوحاً كلما ازدادت اهمية الرسالة كدين الاسلام الذي جاء رحمة للعالمين وخالداً الى يوم القيامة فهو - اي الاسلام- بهذه السعة والشمول طولاً وعرضاً، وكلما تعاظم منصب الشخص الراحل والغائب عن الساحة ازدادت المسؤولية والأخطار حول المنصب واشرف موقع هو امامة المسلمين وولاية امورهم وخلافة رسول الله (ص) التي قدّر لها ان تشمل شرق الارض وغربها كما بشر بذلك رسول الله (ص) عندما كان يحفر مع المسلمين في الخندق وضرب على صخرتين فاضاءتا له[٥]، ولهم واكدها القرآن ﴿وعدكم الله مغانم كثيرة﴾[٦]، ﴿واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب﴾[٧] فكيف لا تتناوشه المطامع وتتجاذبه الاهواء][٨].

---

(١) راجع: كتاب (شكوى القرآن). (المصنف).

(٢) البحار: ج٦ باب ٢٣ ص ٣١٥.

(٣) طه: ٢٩ - ٣٢ .

(٤) نهج البلاغة، خطبة ٤ ص٣٩. (المصنف).

(٥) سيرة الأئمة الاثنى عشر لهاشم معروف الحسني: ج١ ص ٢٩٠.

(٦) الفتح : ٢٠.

(٧) الصف: ١٣.

(٨) من وحي الغدير: ٤٩ - ٥٢.

وقلنا هناك ان هذه الاهمية تكتشف ايضاً من جعل هذا الامر في كفة والرسالة كلها في كفة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[١]، وقد نزلت الآية في تنصيب امير المؤمنين إماماً وهادياً وقائداً بعد رسول الله (ص) ليواصل القيادة الرسالية ولذا خاطب النبي (ص) بوصف (الرسول) لأن هذا الامر من وظائف الرسالة مسؤولياتها وتحمل الائمة (ع) هذه المسؤولية وأدوها فكان كل إمام ينص على الامام اللاحق امام عدد من اصحابه ليشهدوا على هذا الامر وقد جمع الشيخ الكلينيM وهو قريب العهد من المعصومين عدداً وافراً من هذه النصوص.

ولكن تعيين الامام تعرض لعدة مصاعب اوجب تشتت الشيعة ونشوء فرق متعددة منها :

اولاً: المحن العصيبة التي مرت بالائمة (ع) جعلتهم لا يبوحون احياناً بهذا الامر الا للقلة المخلصة التي لا تتجاوز عدد الاصابع وربما موهوا بالتعيين كالذي حصل عند استشهاد الامام الصادق (ع) فإن ابا جعفر المنصور كتب الى والي المدينة يأمره بقتل من اوصى اليه جعفر بن محمد من دون أن يراجعه لكن الامام الصادق (ع) تحسب لهذا الامر فأوصى الى خمسة هم ولده موسى (ع) وولده عبد الله وزوجته ووالي المدينة وابو جعفر المنصور فلما بلغه الخبر قال: ليس الى قتل كل هؤلاء من سبيل[٢] .

ثانياً: تدخل السلطات في تعيين إمام الشيعة ممن يوافق رغباتهم ويسير على اهوائهم ويحقق مصالحهم وهو ما سنناقشه في فصل لاحق بإذن الله تعالى.

ثالثاً: جهل العوام من الشيعة وعدم المعرفة بشروط هذا المنصب الالهي العظيم وظروفه فبعضهم لا يعلم انه بالنص والتعيين وإنما هو بمن يقتنعون به هم ويرونه أهلاً لذا قال بعض بإمامة محمد المعروف بإبن الحنفية ابن امير المؤمنين (ع) بعد أخويه الحسن والحسين H وهم الكيسانية وقال بعض بإمامة عبد الله الافطح واسماعيل ابني الامام الصادق وهم الفطحية والاسماعيلية ومحمد ابن الامام علي الهادي (ع) وبعضهم اقتنع بعد الامام السجاد (ع) بإمامة من يقوم بالسيف ويواجه السلطة الحاكمة وهم الزيدية فقالوا بإمامة زيد الشهيد وولديه يحيى

---

(١) المائدة: من الآية/ ٦٧.

(٢) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٦٩، ح ١٣.

وعيسى، وكأن هذا المنصب الشريف يخضع لاهوائهم ومقاساتهم الخاصة وهو ما نشاهده في كل جيل مع الأسف.

رابعاً: النفوس الامارة بالسوء وحب الدنيا والجاه والتسلط وهذا ما ناقشناه مفصلاً في بحث (كيف خطط رسول الله (ص) للخلافة من بعده) و (ماذا خسرت الامة حينما ولّت أمرها من لا يستحق) المنشورين في كتاب (من وحي الغدير) وإن بعض الأئمة(ع) كانوا يحذّرون اولادهم الطامحين بغير حق ويشيرون الى صاحب الحق فقد روي ان الامام الصادق(ع) كان يلوم عبد الله ولده ويعاتبه ويعظه ويقول: (ما منعك أن تكون مثل أخيك – أي الامام موسى(ع) - فوالله إني لأعرف النور في وجهه؟ فقال عبد الله: لِمَ ، أليس ابي وأبوه واحداً وأمي وأمه واحدة؟ فقال له أبو عبد الله (ع): إنه من نفسي وأنت ابني)[١]، ومنها ما ورد ان سبب نشأة الواقفة أن عدداً من اصحاب الامام الكاظم (ع) كان قد اودع عندهم اموالاً ضخمة فلما قضى (ع) في السجن بعد غيبة طويلة لم يَرُق لهؤلاء تسليم هذه الاموال الى خليفته الرضا (ع) فقالوا بعدم وفاة الامام (ع) وانه غاب كما غاب موسى بن عمران ووقفوا على امامته ولم يقولوا بامامة من بعده (ع) ومن ذلك تصدي جعفر بن الامام الهادي (ع) للامامة بعد أخيه الامام الحسن العسكري(ع) واستعانته بالسلطة العباسية لدعم موقفه مستغلاً خفاء وجود ولد لأخيه العسكري هو الحجة ابن الحسن (ع) وكاد أن يخدع الأمة لولا الموقف الحازم والشجاع للإمام المنتظر(ع) في وقوفه للصلاة على أبيه وإقامته الدلائل المتعددة على إمامته. وقد سعى جعفر الى المعتمد العباسي لتثبيت إمامته ، وقال لوزيره ابن خاقان : اجعل لي مرتبة ابي واخي واوصل اليك في كل سنة عشرين الف دينار مسلّمة فزبره ابن خاقان وقال له: يا أحمق ان السلطان - اعزّه الله - جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك فلم يقدر عليه ولم يتهيأ له صرفهم عن هذا القول فيهما، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك الى السلطان يرتبك مراتبهم ولا غير السلطان وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا)[٢] .

---

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٦٩، ح ١٠.

(٢) منتهى الآمال: ٢/ ٦٧٨.

خامساً: عدم استطاعة الامام الحقيقي الاعلان عن نفسه لتربص السلطات الحاكمة بمن يتصدى لهذا الامر كما حصل للامام موسى بن جعفر(ع) فلم يستطع البوح للمخلصين من اصحابه فضلاً عن غيرهم كما يروي هشام بن سالم وقد مرت الرواية ص ١٨٣ عن الإمام الرضا (ع) والواقفة وانه لم يكن يستطيع اعلان هذا الامر بمجرد استشهاد ابيه الكاظم (ع). لكن هذين الامامين نفسيهما كشفا عن الحقيقة وصرّحا بالامامة في الوقت المناسب، قال الامام الكاظم(ع): (إن الارض لا تخلو من حجة وأنا والله ذلك الحجة)[١].

وروى محمد بن زيد الطبري قال: كنت قائماً على رأس الرضا (ع) بخراسان وعنده عدة من بني هاشم وفيهم اسحاق بن موسى بن عيسى العباسي فقال: يا اسحاق بلغني ان الناس يقولون إنا نزعم أن الناس عبيد لنا لا وقرابتي من رسول الله (ص) ما قلته قط ولا سمعته من أحد قاله ولا بلغني من أحدٍ من آبائي قاله، ولكني اقول: الناس عبيد لنا في الطاعة، مَوالٍ لنا في الدين فليبلغ الشاهد الغائب)[٢]. هذا وهو في بلاط العباسيين وتحت قبضتهم.

ومع كل هذه الصعوبات فقد وصلت الينا نصوص صحيحة وصريحة تعين الائمة (ع) واحداً بعد واحد وقد جمعها وصنفها الشيخ الكليني (قده) في اصول الكافي وكانوا (ع) حريصين على بيان هذا الامر لحفظ وحدة الطائفة وعدم تشتتها وهدايتها الى المسار الصحيح دون المسارات المنحرفة، قال الامام الرضا (ع) للواقفة لما سألوه عن سبب إظهاره الامر بعد كتمانه قال (ع): «اتريد ان آتي بغداد واقول لهارون: انا إمام مفترض الطاعة والله ما ذلك علي وانما قلت ذلك لكم عندما بلغني من اختلاف كلمتكم وتشتت امركم لئلا يصير سركم في يد عدوكم».

وفي خضم هذه الصعوبات كان الائمة (ع) لا يتركون الشيعة سدى وانما كان الامام السابق ينص إشارة او صراحة على ولي الامر من بعده ، ويوجبون على الأمة السعي لمعرفة إمامها ولا يعذرون من قصّر في هذا البحث.

يسأل الفقيه محمد بن مسلم الامام الصادق (ع): (أفيسع الناس اذا مات العالم ألاّ يعرفوا الذي بعده؟ فقال: أما أهل هذه البلدة فلا - يعني المدينة - وأما غيرها من البلدان فبقدر سيرهم،

---

(١) اصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٥، ح٩.

(٢) المصدر نفسه، باب ٨، ح١٠.

إن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١]، قال: قلت: أرأيت من مات في ذلك؟ فقال: هو بمنزلة من خرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)[٢].

كما كان الامام المعين يرشد الناس الى نفسه عند اختلاط الامور ولكن في الحدود التي تسمح بها الظروف وقد يتطلب الامر إقامة بعض المعاجز والدلائل على الامامة فيقيمها الائمة (ع) وسنذكر شواهد على هذه النقاط فقد ظن جماعة ان الامام بعد الامام الصادق (ع) هو ولده اسماعيل لكن الله تبارك وتعالى شاء ان يتوفى اسماعيل في حياة ابيه (ع) وقد شيعه ابوه (ع) بحضور الوالي محمد بن سليمان وعدد كبير من الناس وكان كلما سار المشيعون بالنعش مسافة قصيرة يتقدم الامام ويكشف عن وجهه للناس ومع ذلك فقد قال بعض الشيعة بامامته ورحب المنصور واعوانه بهذه الفكرة وأشاعوا بأن الوالي على البصرة كتب اليهم يخبرهم بوجوده فيها وأنه مرّ على مريض مزمن فدعا له وبرئ من مرضه[١] .

وكان الائمة (ع) من جانبهم يرشدون الى انفسهم في الحدود المتاحة لهم وفي الرواية التالية تبين مدى الحيرة التي حصلت للشيعة بعد استشهاد الامام الصادق (ع) والجور الذي مارسه المنصور العباسي ضدهم - فعن هشام بن سالم قال: كنا في المدينة بعد وفاة ابي عبد الله الصادق (ع): انا ومحمد بن النعمان صاحب الطاق - وهو وهشام من أجلاء اصحاب الامام الصادق(ع) - والناس مجتمعون على عبد الله بن جعفر على انه صاحب الامر بعد ابيه فدخلنا عليه والناس عنده فسألناه عن الزكاة في كم تجب، فقال: في مائتي درهم خمسة دراهم فقلنا له: ففي مائة، قال: درهمان ونصف، قلنا والله ما تقول المرجئة هذا، فقال: والله ما ادري ما تقول المرجئة.

فخرجنا من مجلسه - والكلام ما زال لهشام بن سالم - ضلالاً لا ندري الى اين نتوجه والى من نقصد فبينما نحن كذلك واذا برجل شيخ لا اعرفه يومي الي بيده فخفتُ ان يكون عيناً من

---

(١) التوبة: ١٢٢.

(٢) اصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٨٥، ح٣.

عيون ابي جعفر المنصور وقد كان له بالمدينة جواسيس يتحرون له من يجتمع الناس عليه بعد جعفر بن محمد (ع) لياخذه ويضرب عنقه فخفت ان يكون منهم، وقلت للاحول: تنح فإني خائف على نفسي وعليك وهو لايريد سواي، فتنحى الاحول عني بعيداً وتبعت الشيخ لظني بأني لا اقدر على التخلص منه، فما زلت اسير معه وفي ظني اني اسير الى الموت حتى ورد على باب ابي الحسن موسى (ع) ثم تركني ومضى فإذا خادم الباب فقال لي: ادخل رحمك الله فدخلت فاذا ابو الحسن موسى (ع) فقال لي ابتداءً منه: الي لا الى المرجئة ولا الى القدرية ولا الى المعتزلة ولا الى الزيدية، فقلت له: جعلت فداك مضى ابوك، فقال: نعم، قلت: مضى موتاً، قال: نعم، فقلت له: جعلت فداك فمن لنا من بعده قال: هداك الله الى ما تريد، قلت: جعلت فداك فمن بعد ابيك قال: إن شاء الله أن يهديك هداك، قلت جعلت فداك فانت هو قال: لا اقول ذلك، فقلت في نفسي لم اصب طريق المسألة، قلت له: عليك امام، قال: لا فدخلني شيء لا يعلمه الا الله إعظاماً وهيبة، ثم قلت له: جعلت فداك اسالك كما كنت اسال اباك، قال: تخير ولا تذع فإن اذعت فهو الذبح، فسألته فاذا هو بحر لا ينزف، ثم قلت له: ان شيعة أبيك ضلال فالقي إليهم هذا الأمر وأدعوهم إليك فقد أخذت علي الكتمان ـ قال: من آنست منهم رشداً فألق اليه وخذ عليه الكتمان فإذا أذاع فهو الذبح وأشار بيده إلى حلقه.

ولما خرجت من عنده لقيت ابا جعفر الأحول، فقال لي: ما وراءك ؟ قلت: الهدى وحدثته بما جرى معي، ثم التقينا[٢] زرارة وابا بصير فدخلا عليه وسمعا كلامه وسألاه وقطعا عليه وكل من دخل عليه قطع بإمامته الا طائفة عمار الساباطي، ولم يبق الى جانب عبد الله الافطح الا القليل من الناس واخذ أمر الإمام ينتشر ويتسع حتى اهتدى اليه اكثر الشيعة ورجعوا اليه .

ولما توفي الإمام الحسن العسكري(ع) استغل أخوه جعفر - بمساعدة السلطات الحاكمة - وعدم معرفة الناس بوجود ولد للامام (ع) فهيأ نفسه للإمامة بعد أخيه فوقف على باب دار الإمام - وهو ما يزال مسجّى - يتلقى التعزية بوفاة اخيه والتهنئة بالامامة فلم يكن للإمام المهدي (ع) بُد من الظهور وتوجيه الناس إليه (ع) وإلاّ ستصاب وعقائدها بصدمة كبيرة لان

---

(١) السيرة: ٢ /٣١٦.

(٢) راجع: تراجم هؤلاء الأعاظم في معجم رجال الحديث .

جعفر معروف بالفسق وشرب الخمر فلما تقدم جعفر للصلاة خرج الإمام (ع) وجذب رداء عمه وقال: تنح يا عم فأنا اولى بالصلاة على ابي فدهش الناس واسقط ما في يدي جعفر والسلطة من ورائه.

وروى ابو الاديان - وكان يحمل كتب الامام العسكري ورسائله الى الشيعة في الامصار ويرجع باجوبتها اليه - يقول ابو الاديان: لما دفن الامام قال لي ولده القائم. يا بصري هات اجوبة الكتب التي معك فدفعتها اليه وقلت في نفسي هذه بينتان: الصلاة على ابيه وعلمه بما احمله من اجوبة الكتب ولم يكن قد علم بذلك احد من الناس ثم خرجت الى جعفر بن علي وجلست عنده وبينما نحن جلوس واذا بنفر من قوم يقصدون الامام ابا محمد ولم يكونوا قد عرفوا بوفاته الا بعد دخولهم سامراء، فقالوا: فمن نعزي فاشار الناس الى اخيه جعفر فدخلوا عليه وعزوه باخيه وهنوه بالامامة، قالوا له: ان معنا كتبا واموالا فاذا اخبرتنا ممن الكتب وعن مبلغ المال دفعناها اليك، فقام جعفر ينفض ثيابه وهو يقول: تريدون منا ان نعلم الغيب فلم يدفعوا اليه شيئا.

وفيما هم في حيرة من امرهم واذا بالخادم يخرج من دار الامام فقال لهم: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه الف دينار، عشرة دنانير منها مطلية فدفعوا اليه الكتب والاموال وقالوا: ان الذي اخبرك بذلك هو الامام بعد أبي محمد[١].

وربما حذر بعض الائمة من احد ولده اذا علم منه تمردا وانشقاقا كما فعل الامام الهادي (ع) عندما قال لبعض اصحابه: تجنبوا ولدي جعفر فانه مني بمنزلة ابن نوح الذي قال الله فيه: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[٢] ، وكان الإمام الهادي (ع) منذ ولادة جعفر له متشائما من هذا المستقبل المنحرف فقال لامراة لاحظت هذا التشاؤم في وجهه ويفترض ان يكون مستبشرا، قال (ع): هوني عليك وسيضل به خلق كثير[٣].

(الحادية عشرة): تسهيل سبل الاتصال بشيعتهم

---

(١) السيرة: ٢/٣١٤-٣١٥ .

(٢) السيرة: ٢/ ٥٣٦ ، والآية من سورة هود: ٤٦ .

(٣) السيرة: ٢/ ٥٣٤ .

تحت شتى الظروف والمضايقات للاستفادة منهم(ع) او لإيصال الحقوق المالية اليهم او اللقاء بهم واذا اقتضت الظروف المحيطة بالإمام عدم إمكانية اللقاء بشيعته مباشرة فهناك عدة طرق للاتصال:

١ـ الإحالة إلى الثقات والعدول من العلماء والفقهاء للإجابة على المسائل الفقهية والشرعية وقد مر ما يناسب المقام.

٢ـ تعيين الوكلاء لقبض الأموال والحقوق من مختلف الأصقاع الشيعية وإحضارها للامام وكان الامام بدوره يوثق هؤلاء الوكلاء ويطلب من شيعته التعامل معهم، عن محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيين قالا: دخلنا على ابي محمد الحسن العسكري (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته فدخل عليه بدر خادمه وقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال له: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن فامض وائتنا بعثمان بن سعيد العمري، قالا: فما لبثنا الا يسيرا حتى دخل عثمان فقال له ابو محمد: امض يا عثمان فانك الوكيل والثقة المامون على مال الله واقبض من هؤلاء اليمنيين ما حملوه من المال، وجاء في تتمة الحديث: ثم قلنا باجمعنا يا سيدنا والله ان عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك وانه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى، فقال نعم واشهدوا علي ان عثمان بن سعيد وكيلي وان ابنه محمدا وكيل ابني مهديكم [١].

وتميز وكلاء قبض الاموال بالحذر والتفنن في التمويه على السلطة، فقد لقب عثمان بن سعيد بالسمان لانه كان يتجر بالسمن ويتجول في تجارته في الاوساط الشيعية حتى لا يظهر امره للحاكمين، فاذا دفع اليه احد الشيعة مبلغا من المال وضعه في زقاق السمن واخفاه عن الناس.

٣ـ الاجابة على الاسئلة والاستفسارات بواسطة الرسائل والكتب لعدم امكانية الاتصال مباشرة خصوصا اثناء فترة الاقامة الجبرية وممن فعل ذلك الامام الجواد (ع) والهادي (ع) والعسكري (ع) واحيانا يوجد اشخاص معينون يتولون جلب الكتب والرسائل الى الامام والعودة

---

(١) السيرة: ٥١٥/٢ .

باجوبته مثل ابي الاديان بالنسبة للامام العسكري (ع)، لذا فإن كثيراً من الروايات عن الائمة الثلاثة اعلاه وصلت عن طريق المراسلة وتسمى بالمكاتبة.

٤ - تنصيب الوكلاء والسفراء كوسطاء بين الامام والجماهير الشيعية فخلال الغيبة الصغرى للامام المهدي (ع) تولى السفارة فيها اربعة اختارهم لهذه المهمة وعهد اليهم بان يكونوا واسطة بينه وبين الشيعة في مختلف المناطق، واختار جماعة من ثقات الشيعة اوكل اليهم مساندة سفرائه في بعض المهمات لتذليل الصعوبات التي كانت تعترض تحركاتهم بواسطة مراقبة الحكام واجهزتهم، وكانت مهمة الوكيل محدودة بالقياس الى مهمة السفير، ذلك لان السفير كان يتصل بالامام مباشرة ويأخذ منه التعليمات والتواقيع. ويقوم بأكثر مسؤولياته حسب التوجيه الذي يتلقاه منه، في حين ان مسؤولية الوكيل في الغالب في حدود منطقته كقبض الاخماس وتسهيل اتصال الشيعة بالسفراء ليرفعوا اليهم حوائجهم وتبليغ الاحكام والتوجيه ونحو ذلك، والسفراء الاربعة في الغيبة الصغرى هم: عثمان بن سعيد العمري ومحمد بن عثمان بن سعيد المعروف بالخلاني، والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري اما الوكلاء فكثيرون وتوجد تفاصيل ذلك في الموسوعة القيمة عن الامام المهدي (ع) لسيدنا الاستاذ (قده)، وكان الوكلاء ينصبون بأمر الحجة (ع) وبتوقيع منه فعن محمد بن ابراهيم بن مهزيار الاهوازي انه بعد وفاة السفير الاول ابي عمرو عثمان بن سعيد خرج توقيع جاء فيه: ان ابنه -محمد- لم يزل ثقتنا رضي الله عنه وارضاه ونضر وجهه يجري عندنا مجراه ويسد مسده وعن امرنا يأمر وبه يعمل تولاه الله فانته الى قوله وعرف شيعتنا بذلك[١] .

اما في عهد الغيبة الكبرى فان مسؤوليات الامام يقوم بها نائبه بالحق وهو الفقيه الورع العدل وقد مرت الاشارة اليه.

وكان الائمة (ع) يعقدون الاجتماعات العامة بشيعتهم ويستغلون المناسبات الدينية كالحج للالتقاء بأكبر عدد ممكن من الشيعة وإحاطة علمائهم واقطابهم ووكلاء الامام في الآفاق بعناية خاصة، لمناقشة الامور العامة والخاصة ومعرفة ما يدور هنا وهناك وللاجابة على اسئلتهم واستفساراتهم وحل مشاكلهم وقد تقدم ذكر بعضها ص٨٣ وغيرها.

---

(١) السيرة: ٢/ ٥٦٧.

بل كان يرى الائمة (ع) ان من لوازم الحج ان يعرجوا على الامام (ع) ويجددون العهد معه ويعرضون نصرتهم عليه ، فعن الفضيل قال: نظر أبو جعفر الباقر(ع) إلى الناس يطوفون حول الكعبة فقال: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا الينا فيعلمونا ولايتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم ثم قرأ هذه الآية: <فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ>[١]، وفي رواية أخرى قال (ع): وما أمروا إلاّ أن يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم فيمروا بنا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم[٢].

ومن خلال هذه اللقاءات كان الائمة(ع) يرفعون من همّة أصحابهم ويعلمونهم فضل ما هم عليه من ولاية أهل البيت(ع) مما يعيد اليهم الثقة بالنفس في تلك المعاناة والضيق والحصار المضروب عليهم فكانت تلك الكلمات تحفزهم على مواصلة السير والالتزام اكثر بتعاليم هذا الخط وربما قصدهم الامام(ع) بنفسه الى اماكن تجمّعهم وألقى عليهم توجيهاته فعن الامام الصادق(ع) قال: (مررتُ انا وابو جعفر(ع) على الشيعة وهم ما بين القبر والمنبر فقلت لابي جعفر(ع) : شيعتك ومواليك جعلني الله فداك، قال: أين هم؟ فقلت: أراهم ما بين القبر والمنبر فقال: اذهب بي اليهم فذهب فسلّم عليهم ثم قال: والله إني لأحب ريحكم وارواحكم فاعينوا مع هذا بورع واجتهاد ، إنه لا ينال ما عند الله الا بورع واجتهاد وإذا ائتممتم بعبد فاقتدوا به أما والله إنكم لعلى ديني ودين آبائي ابراهيم واسماعيل وإن كان هؤلاء على دين اولئك فاعينوا على هذا بورع واجتهاد)[٣].

(الثانية عشرة): تفهيمهم المعنى الحقيقي للتشيع وصفات الشيعي

لان اتباع كل فكرة او مذهب يعكسون بتصرفاتهم وسلوكهم صورة أئمتهم وفكر مدرستهم وأي تشوه يظهر في سلوكهم إنما يعود بنتائج سيئة على الائمة انفسهم لانهم ينسبون اليهم وعلى العقيدة التي يؤمنون بها، قال الامام العسكري (ع) لجماعة من شيعته اوصيكم بتقوى الله والورع في دينكم وصدق الحديث واداء الامانة الى من ائتمنكم من بر او فاجر وطول السجود

---

(١) ابراهيم : ٣٧ .

(٢) اصول الكافي، كتاب الحجة، باب ٩٢، ح١، ٢.

(٣) روضة الكافي، حديث ٣٢٨، ص ٢٠١، ومثله الاحاديث ٣٨، ٢٥٩، ٣١٦.

وحسن الجوار فبهذا جاء محمد (ص): صلوا عشائركم واشهدوا جنائزكم وعودوا مرضاكم وأدوا للناس حقوقهم، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وادى للناس الامانة وحسن خلقه معهم وقيل هذا شيعي يسرني ذلك[١].

وقال الباقر (ع) لجماعة عنده: ايدخل احدكم يده في جيب صاحبه فيأخذ منها مايريد وهو لا يعلم ؟ فقالوا: لا يابن رسول الله فقال: اذهبوا فلستم اخواننا كما تزعمون. قال (ع) مخاطباً من يدعي التشيع: والله ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه وما كانوا يعرفون الا بالتواضع والتخشع واداء الامانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين وتعهد الجيران من الفقراء وذوي المسكنة والغارمين والايتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الالسن عن الناس الا من خير.

وقال (ع): انما شيعة علي المتباذلون في ولايتنا المتحابون في مودتنا المتزاورون لاحياء الدين، اذا غضبوا لم يظلموا واذا عارضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا وسلم لمن خالطوا .

وعن الامام العسكري (ع) قال: لما جعل المامون الى علي بن موسى الرضا (ع) ولاية العهد دخل عليه آذنه فقال ان قوما بالباب يستاذنون عليك يقولون «نحن من شيعة علي(ع) فقال: انا مشغول فاصرفهم، فصرفهم الى ان جاؤوا هكذا يقولون ويصرفهم شهرين، ثم ايسوا من الوصول فقالوا «قل لمولانا انا شيعة ابيك علي بن ابي طالب (ع) قد شمت بنا اعداؤنا في حجابك لنا، ونحن ننصرف عن هذه الكرة، ونهرب من بلادنا خجلا وانفة مما لحقنا، وعجزا من احتمال مضض ما يلحقنا من اعدائنا» فقال علي بن موسى (ع): ائذن لهم ليدخلوا، فدخلوا عليه فسلموا عليه فلم يرد عليهم، ولم ياذن لهم بالجلوس، فبقوا قياما، فقالوا: يا بن رسول ما هذا الجفاء العظيم، والاستخفاف بعد هذا الحجاب الصعب، أي باقية تبقى منا بعد هذا ؟ فقال الرضا (ع): اقرأوا: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[٢]، والله ما اقتديت الا بربي عز وجل ورسوله وبامير المؤمنين ومن بعده من آبائي الطاهرين (ع) عتبوا

---

(١) السيرة: ٢ / ٥٢٦ وفي حديث للصادق Δ مثله لكنه اضاف «ويدخل على منه السرور ومن كان غير ذلك دخل عليه بلاؤه وعاره (السيرة ٢/ ٢٩٤) وقول للامام الحسن(ع) (٥٢٦/١) ولامير المؤمنين(ع) (الارشاد /١٤١) وللصادق Δ (منهاج الصالحين ٣٨٢/١) .

(٢) الشورى: ٣٠ .

عليكم فاقتديت بهم، قالوا: لماذا يا ابن رسول الله ؟ قال لدعواكم انه شيعة امير المؤمنين ! ويحكم ان شيعته: الحسن والحسين وسلمان وابوذر والمقداد وعمار ومحمد بن ابي بكر الذين لم يخالفوا شيئا من اوامره وانتم في اكثر اعمالكم له مخالفون، وتقصرون في كثير من الفرائض وتتهاونون بعظيم حقوق اخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية، لو قلتم: انكم مواليه ومحبوه، والموالون لاوليائه والمعادون لاعدائه لم انكره من قولكم، ولكن هذه مرتبة شريفة ادعيتموها ان لم تصدقوا قولكم بفعلكم هلكتم الا ان تتداركم رحمة ربكم، قالوا: يا بن رسول الله ! فاذا نستغفر الله ونتوب اليه من قولنا بل نقول كما علمنا مولانا: نحن محبوكم ومحبوا اوليائكم، ومعادوا اعدائكم، قال الرضا (ع): «فمرحبا بكم اخواني واهل ودي ارتفعوا: فما زال يرفعهم حتى الصقهم بنفسه، ثم قال لحاجبه كم مرة حجبتهم ؟ قالوا ستين مرة: قال: فاختلف اليهم ستين مرة متوالية، فسلم عليهم واقرأهم سلامي فقد محوا ما كان من ذنوبهم باستغفارهم وتوبتهم واستحقوا الكرامة لمحبتهم لنا ولموالاتهم، وتفقد امورهم وامور عيالاتهم، فاوسعهم نفقات ومبرات وصلات ودفع معرات» [١] .

وهكذا كان الائمة(ع) يحذرون من فهم احاديث فضل الشيعة ومنزلتهم الرفيعة يوم القيامة فهما خاطئاً وذلك بالركون الى ظاهرتلك الاحاديث دون تحقيق العمل الصالح الذي يؤهلهم لتبوء تلك المرتبة السامية، لما دخل زيد بن الامام الكاظم (ع) [٢] على الامام الرضا (ع): قال له: ويحك يا زيد ما الذي غرك حتى ارقت الدماء وقطعت السبيل، اغرك حديث سمعته عن رسول الله ان فاطمة ﷺ احصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار، ويحك يا زيد ان ذلك ليس لي ولا لك، لقد عنى رسول الله (ص) بذلك حسنا وحسينا، والله ما نالا ذلك الا بطاعة الله، فان كنت ترى انك تعصي الله وتدخل الجنة فانت اذن اكرم على الله منهما ومن ابيك موسى بن جعفر، والله يا زيد لا ينال احد ما عند الله الا بطاعته، فقال له زيد: انا اخوك وابن ابيك، فقال له الرضا (ع): انت اخي ما اطعت الله عز وجل، ان نوحا قال: رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت ارحم الراحمين، فقال له الله عز وجل: يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح،

---

(١) الاحتجاج ٢/ ٢٣٦- ٢٣٧.

(٢) قام بثورة ضد المأمون العباسي في البصرة ثم أسر وجيئ به الى المأمون اثناء ولاية أخيه الرضا Δ .

فاخرجه الله من ان يكون من اهله بمعصيته لله [١] وقد شرحت (عناصر شخصية المسلم في آثار اهل البيت (ع)) في بحث نشر في كتاب (نحن والغرب).

(الثالثة عشرة): الاشراف المباشر او تاليف لجنة للاشراف

باسم الشيعة والفكر الشيعي لئلا ينسب اليه ما ليس منه وقد عرض عدد كبير من الكتب التي دون فيها اصحاب الائمة ما سمعوه او رووه عن المعصوم (ع) عليهم وكانوا يمضون ما فيها اويعلقون عليها وقد تقدمت الاشارة الى ارسال الحسين بن روح السفير الثالث كتاب التاديب للشلمغاني المعروف بابي العزاقري الى علماء الشيعة ورواة حديثهم في قم لينظروا فيه ففعلوا وبعثوا رايهم اليه[٢] .

(الرابعة عشرة): حفظ الشيعة والتخطيط لحمايتهم.

ويمكن ملاحظة عدة اشكال لهذا التخطيط:

١- تشريع التقية وقد مر الحديث عنه.

٢- استعمال العلوم الغيبية التي تعلموها عن جدهم (ص) او الهموها كقصتي علي بن يقطين المتقدمتين.

٣- الدعاء لهم بالحفظ وافشال خطط الاعداء بلطفهم ورعايتهم كما ورد في رسالة الامام المهدي (ع) الى المفيد K والتي فيها: (إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الاعداء)[٣] .

٤- القاء الاختلاف بينهم في المواقف تجاه القضايا الاجتماعية مما يشغل الاعداء عن التفكير في ظلمهم للاكتفاء بالذي يحصل بينهم وعدم وضوح الموقف المعين للطائفة وهو مفاد حديث عن الامام الصادق (ع) في رسالة بعثها الى زرارة يبيّن فيها فلسفة بعض تصرفاته(ع) : (فلا يضيقن صدرك من الذي امرك ابي وأمرتك به وأتاك ابو بصير بخلاف الذي امرناك به ، فلا

---

(١) السيرة ٢/ ٤١٥.

(٢) السيرة ٢/ ٥٧٤.

(٣) الاحتجاج ٢/ ٣٢٣.

والله ما أمرناك ولا أمرناه الا بأمر وسعنا ووسعكم الأخذ به، ولكل ذلك عندنا تصاريف ومعانٍ توافق الحق ولو أذن لنا لعلمتهم أن الحق في الذي امرناكم فردّوا الينا الأمر وسلّموا لنا واصبروا لأحكامنا وارضوا بها، والذي فرّق بينكم فهو راعيكم الذي استرعاه الله خلقه وهو أعرف بمصلحة غنمه في فساد أمرها فان شاء فرّق بينها لتسلم، ثم يجمع بينها ليأمن من فسادها وخوف عدوها)[١].

٥- ذم بعضهم ظاهرا للايحاء بانهم غير محسوبين عليهم وليسوا من شيعتهم فينصرف الاعداء عن اذاهم كالذم الوارد في زرارة وقد بين الامام الصادق (ع) وجهه لولد زرارة، وهي من التصرفات الدقيقة للإمام وقد خفيت فلسفتها حتى على اعاظم الاصحاب ، عن عبد الله بن زرارة قال: قال لي ابو عبد الله (ع): (اقرأ مني على والدك السلام وقل له: إني إنما أعيبك دفاعاً مني عنك فإن الناس والعدو يسارعون الى كل من قرّبناه وحمدنا مكانه لادخال الاذى في من نحبّه ويرمونه لمحبتنا له وقربه ودنوّه منا ، ويرون إدخال الاذى عليه وقتله ويحمدون كل من عبناه نحن فإنما اعيبك لانك رجل اشتهرت بنا وبميلك الينا وأنت في ذلك مذموم عند الناس غير محمود الاثر بمودتك لنا ولميلك الينا فأحببتُ أن أعيبك ليحمدوا أمرك في الدين بعيبك ونقصك ويكون بذلك منا دافع شرهم عنك، يقول الله عز وجل: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾[٢]، والله ما عابها الا لكي تسلم من الملك ولا تعطب على يديه ولقد كانت صالحة ليس للعيب فيها مساغ والحمد لله ، فافهم المثل يرحمك الله فانك والله احبّ الناس الي وأحب أصحاب ابي حياً وميتاً فانك افضل سفن ذلك البحر القمقام الزاخر وإن من ورائك ملكاً ظلوماً غصوباً يرقب عبور كل سفينة صالحة ترد من بحر الهدى ليأخذها غصباً ثم يغصبها وأهلها ورحمة الله عليك حياً ورحمته ورضوانه عليك ميتاً)[٣] .

(الخامسة عشر): النهي عن المبالغة في نقل المناقب والكرامات:

---

(١) معجم رجال الحديث: ٧ / ٢٢٨.

(٢) الكهف: ٧٩ .

(٣) معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٢٢٧.

التي لا تتحملها اذهان العامة[١] فيقعون في رذيلتي الافراط والتفريط فاما ان يؤلهوا الائمة او ان يكفروا بهم خصوصا لمن لا يعرف عن اهل البيت (ع) عصمتهم وتفانيهم في حب الله وطاعته الذي يؤهلهم للشمول بالحديث القدسي المشهور (عبدي اطعني تكن مثلي اقول للشيء كن فيكون) وهم (ع) اوضح مصداق له وعدّ الائمة (ع) هذا السلوك عارا عليهم فامروا بان لا يفرطوا في الامر ففي ملكاتهم النفسية والخلقية وسلوكهم ودورهم في الحياة ما يبلغهم اقصى المراتب في قلوب الناس، قال الامام السجاد (ع): يا أيها الناس احبونا حب الاسلام فوالله ما برح حبكم لنا حتى اصبح علينا عارا [٢] وبغضتمونا الى الناس»[٣].

وروى يحيى بن هرثمة الذي كلفه المتوكل بجلب الهادي (ع) من المدينة الى سامراء قال: بينما نحن نسير والسماء صاحية والشمس طالعة اذ وضع الامام عليه ما يقيه المطر - ولم يكن الموسم موسم مطر وكان الامام (ع) قد جلب معه عدة المطر من المدينة - وقد عقب ذنب دابته فعجبت من فعله فلم يكن بعد ذلك الا هنيهة حتى جاءت سحابة فارخت عزاليها ونالنا من المطر امر عظيم جدا فالتفت الي وقال: «انا اعلم انك قد انكرت ما رايت وتوهمت اني من الامر ما لاتعلمه وليس ذلك كما ظننت، ولكني نشات بالبادية فانا اعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر، فلما أصبحت هبّت ريح شممت منها رائحة المطر فتأهبت لذلك وكان الأمر كما رايت»[٤] فاجاب الامام وفق القوانين الطبيعية بعد ان قرأ في عيني ابن هرثمة الشك والارتياب رغم ان مثل هذا العلم بالغيب ليس مستحيلا على مثلهم (ع) كما قال امير المؤمنين (وما سوى ذلك - أي علم الغيب الذي ادخره الله سبحانه لنفسه كعلم الساعة - فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم عليه جوانحي) [٥].

وضمن هذا المجال ركز الائمة (ع) على النظر اليهم على انهم بشر وليسوا بدعا من الناس ويمكن تقليدهم والاقتداء بهم في جميع اعمالهم لان بدون هذه النظرة تولدت عند البعض فكرة

---

(١) فيلزم تحميل الناس ما لا يطيقون بغض النظر عن كون هذه الصفات حقا ام لا .

(٢) علق هنا سيدنا الاستاذ Π بانه اصبح عارا (لانه حب صادر من اناس غير ملتزمين بالدين تماما).

(٣) السيرة: ٢/ ١٦٥ .

(٤) السيرة: ٢/ ٤٨٧ .

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦، ص٢٣٣ .

عدم امكانية بل وعدم وجوب الاقتداء بهم في كل تفاصيل حياتهم وحجتهم ان اولئك ائمة معصومون ونحن ناس عاديون وشتان بيننا وبينهم وفي هذا من الخطأ الجسيم ما لا تحمد عقباه ويؤدي الى التقاعس والتخاذل عن كثير من المسؤوليات والأعمال الكبيرة وخسارة لعنصر مهم من عناصر التربية وهو الاقتداء بالأسوة الحسنة.

(السادسة عشرة): تهيئة الاذهان لقبول الافكار الجديدة

التي لا يحتملها الناس دون اعداد وتخطيط مسبقين كفكرة الامام المهدي (ع) فلم يكن بامكان العامة استيعاب غياب الامام ووجوده هذه المدة الطويلة حتى يؤذن له بالظهور وكيفية الاستفادة منه في غيبة ولا الحاجة الى مثل هذا الامر[١].

ولأهمية هذه الفكرة - وهي فكرة اسلامية بحتة لا تختص بالشيعة والتشيع ولكنها اصبحت تبدو وكأنها من مختصاتهم بعد ان اعرض عنها الآخرون عمليا لاسباب شتى[٢] - فقد بدأ النبي (ص) الاعداد لها ثم مارس الائمة (ع) دورا مكثفا في تبليغها حتى اصبحت على مستوى كاف من الوضوح قبل ميلاد المهدي (ع) بمدة طويلة فقد لقب المنصور ولده محمد بالمهدي لايهام العامة انه المهدي المنتظر، وعن عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيدي محمد (الجواد) بن علي بن موسى بن جعفر اريد ان اسأله عن القائم أهو المهدي او غيره ؟ فابتدأني وقال: «يا ابا القاسم ان القائم منا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي والذي بعث محمدا (ص) بالنبوة وخصنا بالامامة لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه فيملا الارض قسطا وعدلا لما ملئت ظلما وجورا، وان الله ليصلح له امره في ليلة كما اصلح امر كليمه موسى اذ ذهب يقتبس نارا فرجع وهو رسول نبي وإن افضل اعمال شيعتنا انتظار الفرج»[٣].

---

(١) راجع: كتابنا (شكوى الامام) لمعرفة هذه الاسئلة وأجوبتها.

(٢) رغم ان ما موجود في كتب العامة عن قضية الامام المهدي Δ ربما كان مساويا اواكثر مما موجود في كتاب الشيعة كما يظهر من موسوعة الامام المهدي Δ لسيدنا الاستاذ Π لكن الالتزام العملي بها وترتيب الآثار على هذه العقيدة اصبح مختصا بالشيعة.

(٣) السيرة ٢/ ٥٥٦ .

والذي يراجع الكتب الخاصة عن المهدي (ع) يجد أن لكل إمام عددا وفيرا من النصوص وليست هذه الحملة المستمرة من قبل الائمة لتوضيح فكرة الامام المهدي (ع) هي لكي يؤمن الناس بها فحسب بل كان يرافقها تدرج في تهيئة الامة عمليا لكي تعتمد على نفسها بعد ان يغلق باب التشريع والقيادة المباشرتين وغير المباشرتين ففي عهد النبي (ص) كان هناك وحي وقيادة مباشرة وفي عهد الائمة توقف الوحي وبقيت القيادة المباشرة وفي نهاية هذه المرحلة بدأ الاعداد العملي للغيبة، قال المسعودي وروي ان ابا الحسن (الهادي (ع)) صاحب العسكر احتجب عن كثير من الشيعة الا عن عدد يسير من خواصه، فلما افضى الامر الى ابي محمد (الحسن العسكري (ع)) كان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر الا في الاوقات التي يركب فيها الى دار السلطان وان ذلك إنما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتالف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار [١] ثم في الغيبة الصغرى أصبحت القيادة غير مباشرة عن طريق السفراء الاربعة وفي الغيبة الكبرى اصبحت الامة تعتمد على نفسها بشكل كامل وفق التخطيط الذي وضع الائمة (ع) معالمه للمرجعية الدينية بعد ان انتهت السفارة، وهكذا أعدت الامة بتخطيط الهي لكي تتحمل الأعباء والمسؤوليات وكان هذا التخطيط فخراً حقيقياً لمذهب أهل البيت واسلوباً تربوياً وتنظيمياً ناجحاً افلح في الحفاظ على أصول الدين وفروعه بكل تفصيلاته ودقائقه إلى الآن والى ان يأذن الله تعالى للمصلح الاعظم عجل الله فرجه الشريف حتى كأنه انزل علينا الساعة وهذا هو إعجاز الإسلام في خلوده وبقائه.

وقد تعرض الاسلام - وسيتعرض- خلال الغيبة الكبرى لمؤامرات هدامة ودسائس تهدف الى تمييعه وتحريفه كالأديان السابقة ولكن جهود العلماء المخلصين وجهادهم بالمرصاد لها ولم يؤثر عليهم غيبة إمامهم وكثرة عدوهم وشدة الفتن بهم وتظاهر الزمان عليهم وهم الذين قال فيهم امير المؤمنين (ع) للحسين (ع) وقد سأله عن غيبة ولده المهدي (ع) يا امير المؤمنين وإن ذلك - أي غيبة الامام (ع) - لكائن، فقال (ع): أي والذي بعث محمداً بالنبوة واصطفاه على

---

(١) اثبات الوصية، الطبعة الرابعة، ١٩٥٥ ص٢٦٢ .

جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة لايثبت فيها على دينه الا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ ميثاقهم بولايتنا وكتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه[١] .

وقال الامام السجاد(ع) : (إن اهل زمان غيبة القائلين بامامته والمنتظرين لظهوره افضل اهل كل زمان لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله(ص) بالسيف، اولئك المخلصون حقاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة الى دين الله سراً وجهراً)، وقال(ع) : (انتظار الفرج من اعظم الفرج)[٢].

(السابعة عشرة): تحميل كل شخص المسؤوليات حسب درجته وقابلياته النفسية والتربوية .

قال امير المؤمنين(ع): «والله لو شئت ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا فيَ برسول الله صلى الله عليه وآله، ألا وإني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق، ما انطق الا صادقاً، وقد عهد اليَ بذلك كله، بمهلِكِ من يهلِك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الامر، وما أبقى شيئاً يمرُ على رأسي الا افرغه في أذني وافضى به الي»[٣].

وقال (ع) «إن امرنا صعب مستصعب، لايحمله الا عبدٌ مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة»[٤] وكان لأمير المؤمنين (ع) خاصة يسمَّون بالحواريين كميثم التمار ورشيد الهجري وعمرو بن الحمق الخزاعي وحبيب بن مظاهر الاسدي يُلقي اليهم علوم البلايا والمنايا وهم بدورهم ينقلون جزءاً من ذلك الى الناس كلما سنحت الفرصة وتهيأت المناسبة (كالحوار الذي دار بين ميثم بن يحيى التمار وحبيب وشاركهما رشيد في كيفية مقتلهما) وهكذا كانوا في توزيع المسؤوليات والتكاليف، قال الامام الصادق (ع) لأحد

---

(١) السيرة: ٢/ ٥٥٣.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٥٠.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٣ ص٣٠٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧، ص٣٤٣.

اصحابه عمر بن حنظلة: «يا عمر لا تحملوا على شيعتنا وارفقوا بهم فإن الناس لا يحتملون ما تحملون»[١] ، وضمن هذا التخطيط يمكن ان نذكر امرهم بأن يعرف كلٌ قدر نفسه وإلا اوردها موارد الهلكة فلا يتعرض لما ليس هو له بأهل إذ ستكون النتيجة ضلاله وإضلاله، فنهوا عن التصدي لأية مسؤولية اجتماعية ودينيه والسعي لها إذا لم يكن مؤهلاً لها، قال الكاظم (ع) «والله ما ذئبان ضاريان في غنم غاب عنها رعاتها بأضر في دين المسلم من حب الرئاسة [٢] ونهوا عن التصدي للافتاء، قال الصادق (ع) موصياً لأحد اصحابه «واهرب من الفتيا فرارك من الاسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً» [٣] ولا إشكال في أن نهي الائمة (ع) هذا مُوَجهٌ لمن ليس له الكفاية والقابلية، اما من توفرت فيه هاتان الصفتان فيجب عليه التصدي للرئاسة والافتاء لرفع الظلم والحيف عن الامة وقيادتها الى ما يضمن سعادتها الدنيوية والأخروية، اما من توفرت فيه الشروط للقيام بإي مسؤولية ومنها قيادة الأمة فعليه أن يقوم بأعبائها وهكذا سائر المواقع قال امير المؤمنين (ع) «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كِظه ظالم ولا سَغَب مظلوم، لأ لفيتُ حبلها على غاربها ...»[١].

(الثامنة عشرة): الثناء عليهم والاشادة بهم وبيان عظيم منزلتهم.

باعتبارهم الفئة التي اهتدت الى الحق وآمنت به ووعت مسؤولياتها تجاهه مما حمّلها الكثير من التضحيات والعنت والمشقّة والاضطهاد والحرمان فلابد من صدور كلمات من قبل القادة تثبّت إيمانهم وتخفف آلامهم وتزيد من الثقة بأنفسهم وتسرُّ قلوبهم لكيلا يتزلزلوا أمام الهجمات الشرسة التي تستهدفهم والتي يكفي بعضها لإبادتهم ومحق وجودهم لولا لطف الله تبارك وتعالى الذي يريد للحق ان يبقى ، وقد أشرت الى هذا المعنى في (عناصر شخصية المسلم في آثار اهل البيت (ع))وقد بدأ هذا الثناء رسول الله (ص) فقد نقل السيوطي في الدر المنثور في

---

(١) روضة الكافي، ح ٥٢٢، ص ٢٧٥.

(٢) السيرة: ٣٢٦/٢.

(٣) السيرة: ٢ /٢٩٣.

تفسير قوله تعالى في نهاية سورة البينة (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدنٍ تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) (البينة ٧- ٨) عن جابر بن عبد الله الانصاري قال: كنا عند النبي (ص) فأقبل علي عليه السلام فقال النبي (ص): (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة)، ونزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٢] فكان اصحاب النبي (ص) اذا اقبل علي (ع) قالوا: جاء خير البرية [٣] يقول الامام الصادق (ع) لشيعته (أما والله إني لأحبّ ريحكم وارواحكم)[٤]، ويقول الامام الرضا: (ع)(شيعتنا ينظرون بنور الله ويتقلبون في رحمة الله ويفوزون بكرامة الله ما من أحدٍ من شيعتنا مرض الا مرضنا ولا اغتم الا اغتممنا لغمه ولا يفرح الا فرحنا لفرحه ولا يغيب عنا احد من شيعتنا اين كان في شرق الارض او غربها) وقال شخص دخلنا على ابي عبد الله (ع) في زمن مروان (وهو الملقب بالحمار آخر ملوك بني أمية) فقال (ع): من انتم فقلنا من أهل الكوفة فقال: مامن بلدة من البلدان اكثر محبة لنا من أهل الكوفة ولا سيما هذه العصابة، إن الله جلَ ذكره هداكم لأمر جهله الناس واحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا فأشهد على ابي انه كان يقول: ما بين احدكم وبين أن يرى ما يقر الله به عينه وأن يغتبط الا ان تبلغ نفسه هذه -وأهوى بيده الى حلقه-)[٥].

وعن الامام الصادق (ع) قال: (خرجت انا وابي حتى اذا كنا بين القبر والمنبر اذا هو بأناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال: انتم شيعة الله وانتم انصار الله وانتم السابقون الاولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة الى الجنة، قد ضمنا لكم الجنة

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ٣ المعروفة بالشقشقية ص٣٨.

(٢) البينة: ٧ .

(٣) زبدة الافكار ٢٠٩ ــ ٢١٠ عن الدر المنثور ٨: ٥٨٨-٥٨٩، نحن والغرب: ١٥٧.

(٤) روضة الكافي، الحديث ٢٥٩، ص ١٨٠.

(٥) روضة الكافي، الحديث ٣٨، ص ٦٨.

بضمان الله عز وجل وضمان رسول الله (ص)) في حديث طويل لكنه (ع) قال (واعلموا ان ولايتنا لا تُنال الا بالورع والاجتهاد من ائتم منكم بعبد فليعمل بعلمه) [١] وفي ذلك عدة نتائج

١ـ زيادة ثقة الشيعة بأنفسهم وتعزيز إيمانهم بهذه العقيدة.

٢ـ التخفيف عن الالام والمظالم التي تحيق بالشيعة من السلطة وغيرهم على طول الخط فتكون هذه البشارات بلسماً يداوي جروحهم.

٣ـ حث غيرهم من الطوائف على اعتناق هذا المذهب الشريف الذي يمثل المنبع الاصيل للاسلام عندما يستمعون الى ما اعد الله تعالى من الكرامة لاتباع اهل البيت (ع) خصوصاً وان عدداً كبيراً من تلك الروايات صادر عن رسول الله (ص) ومثبتة في الكتب المعتمدة عند العامة.

(التاسعة عشرة): الدعاء لهم في ظهر الغيب .

بالتوفيق والتسديد والمعفرة والرحمة والتعجيل بالفرج، قال رسول الله (ص) يوماً لاصحابه: حياتي خير لكم ومماتي خيرٌ لكم، قيل يا رسول الله أما حياتك فقد عرفنا ذلك فكيف يكون مماتك خيراً لنا، قال (ص) لانه تعرض عليَ أعمالكم في كل يوم فما وجدتُ فيها من الحسنات استزدت الله تعالى وطلبت منه لكم القبول وما وجدت من السيئات استغفرته لكم وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢]، قال الباقر (ع): نحن المؤمنون آل محمد (ص) [٣] ، وروى ابو بصير عن الامام الصادق (ع) حديثاً فيه صعوبة تحمّل علمهم الا من شيعتهم العارفين بحقهم وفي نهايته يقول ابو بصير: (ثم رفع يده وبكى وقال: اللهم إن هؤلاء لشرذمة قليلون فاجعل محيانا محياهم ومماتنا مماتهم ولا تسلط عليهم عدواً لك فتفجعنا بهم، فإنك إن أفجعتنا بهم لم تعبد أبداً في أرضك وصلى الله على محمد وآله

---

(١) راجع: في مثل هذه المعاني كتاب: (صفات الشيعة) للصدوق والاحاديث: ٣٨، ٢٥٩، ٣١٦، ٣٢٨ من كتاب روضة الكافي.

(٢) التوبة : ١٠٥ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٥/٩.

وسلم تسليماً)[١]، واقرأ أيضاً دعاء الامام الصادق (ع) وهو ساجد ويبكي لشيعته الذين يزورون قبر جده الحسين(ع) [٢]. ومن كتاب للإمام المهدي (ع) الى الشيخ المفيد (رض) جاء فيه «نحن وإن كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون.

إنا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء - الشدة والضيق في المعيشة - او اصطلمكم - استأصلكم - الإعداء فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على انتياشكم - إنقاذكم - من فتنة قد أنافت - طالت و ارتفعت - عليكم يهلك فيها من حم - قرب - أجله ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي إمارة لازوف - اقتراب حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا، والله متم نوره ولو كره المشركون، اعتصموا بالتقية من شب نار الجاهلية ...» وفيه «فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا، ويتجنب ما يدينه من كراهتنا وسخطنا، فإن امرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة»[٣].

ومن كتاب آخر «ولو ان اشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم الا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا يؤثره منهم» [١].

وصدق بقية الله الاعظم (ع) فاين نحن من اولئك، نحن الذين اصبحنا - الا من عصم الله تعالى - لا نعرف من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه، نأمر بالمعروف ولا نعمل به وننهى عن المنكر ونفعله بل عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً - والعياذ بالله - وابتعدنا كثيراً عن خط النبي (ص) وآله الاطهار الذي رسموه بدمائهم وبكل غالٍ ونفيس وسار عليه معهم السلف الصالح رضي الله عنهم وارضاهم ويكفينا كلام امير المؤمنين (ع) في صفة

---

(١) اصول الكافي ، كتاب الحجة، باب ٩٨، حديث ٥ .

(٢) مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .

(٣) الاحتجاج: ٣٢٢/٢.

الجيلين فقال (ع) في وصف الجيل المتقدم «انظروا اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا اثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لَبَدوا - اقاموا - فالبدوا وان نهضوا فانهضوا، لا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا. لقد رأيتُ اصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما ارى احداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً وقد باتوا سُجداً وقياما، يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كأن بين اعينهم رُكب المعزى من طول سجودهم، اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تَبُل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءاً للثواب»[٢] .

وقال في وصف الاجيال المتأخرة «وقد اصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه الا إدباراً، ولا الشرُ فيه الا اقبالا، ولا الشيطان في هلاك الناس الا طمعاً، فهذا أوان قويت عُدَتُه وعَمت مكيدته وامكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيراً يكابد فقره، او غنياً بدل نعمة الله كفرا، او بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفرا، او متمرداً كأن في اذنيه عن سمع المواعظ وقرا» وفيه «فإنا لله وإنا اليه راجعون ظهر الفساد فلا منكرٌ مغير، ولا زاجرٌ مزدجر، افبهذا تريدون ان تجاوروا الله في دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده ؟ هيهات: لا يخدع الله عن جنته. ولا تنال مرضاته الا بطاعته، لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له، والناهين عن المنكر العاملين به»[٣] ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٤] ، وبعد هذا ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥] .

ندعو الله تعالى ان يجعلنا من المتمسكين بولاية النبي (ص) واهل بيته والسائرين على طريقهم وان يحشرنا معهم ولا يفرق بينهم وبيننا في الدنيا والاخرة (وفي ذلك فليتنافس

---

(١) المصدر نفسه: ٣٢٥/٢.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٩٥، ص ١٨٤.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٧، ص٢٣٤.

(٤) الروم: ٤١.

(٥) الحديد: ١٦.

المتنافسون) وعندئذٍ يحُق لنا ان نفرح بنعمة الله تعالى علينا ان شرفنا بولايتهم ومعرفة حقهم وان نعض عليها بالنواجذ وتزول الجبال ولا نزول عنها (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

فحقاً هم خيرٌ لنا احياءا واموتاً، يراقبوننا عن كثب، يفرحون إذ نطيع الله فيطلبون الزيادة والاجر، ويحزنون اذ يُعصى الله فيستغفرون ويطلبون العفو والعصمة عن العود، ويتألمون لالمنا إذ تتكالب قوى الشر والبغي والعدوان لتمحو دين الله وتقضي على اهل طاعته.

المحور الثالث: علاقتهم (ع) مع الحكام

ونجعل الكلام في جهتين بأذن الله تعالى

الجهة الاولى: علاقتهم(ع) بالحكام

الجهة الثانية: علاقة الحكام بهم(ع) .

(الجهة الاولى): علاقتهم(ع) بالحكام

ويمكن ملاحظة عدة نقاط: -

(الاولى): ايقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف

- على تعبير السيد الاول (قده) - والوقوف في وجه المخالفات للشريعة كما عبّر عنه الامام علي (ع) حين صعد عمر على المنبر وتساءل عن رد الفعل لو صرف الناس عما يعرفون الى ما ينكرون فرد عليه الامام (ع) بكل وضوح وصراحة (إذن لقومناك بسيوفنا) وربما كان هذا الموقف من عمر لاختبار ردود الفعل وجس نبض كما يقولون قبل ان يبدأ ببعض التغييرات المهمة المخالفة علناً لكتاب الله ولسنة رسول الله (ص) كتحريم زواج المتعة والغاء حق ذوي القربى من الخمس وغيرها[١] .

وتكرر نفس الموقف للامام علي (ع) مع عثمان حين قال «لنأخذ حاجتنا من هذا الفيء وإن أرغمت أنوف أقوام»، فقال له علي (ع) «إذن تُمنع من ذلك ويحال بينك وبينه» [٢].

وقد التزم بهذا الموقف اصحاب امير المؤمنين(ع) المخلصون واوضحهم الصحابي الجليل ابو ذر الغفاريK فان مواقفه في تصحيح الانحراف في مسار الخلافة مشهورة، روى عبد الملك بن ابي ذر الغفاري، قال: بعثني امير المؤمنين عليه السلام يوم مزق عثمان المصاحف، فقال: ادعُ أباك، فجاء ابي اليه مسرعاً، فقال: يا ابا ذر أتى اليوم في الاسلام امر عظيم ! مزق كتاب الله، ووضع فيه الحديد، وحق على الله ان يسلط الحديد على من مزق كتابه بالحديد، قال: فقال: ابو ذر: سمعت رسول الله (ص) يقول: ان اهل الجبرية من بعد موسى عليه السلام قاتلوا

---

(١) احصى السيد شرف الدين Π العشرات من هذه الموارد في كتابه (النص والاجتهاد).

(٢) مجلة الايمان، السنة ٣، العدد ٧-١٠، ص١١١ عن أنساب البلاذري ٤٨/٥.

اهل النبوة فظهروا عليه فقتلوهم زماناً طويلاً، ثم ان الله بعث فتية فهاجوا، الى غير آبائهم، فقاتلهم، فقتلوهم، وانت بمنزلتهم، يا علي فقال علي عيه السلام: قتلتني يا ابا ذر، فقال ابو ذر: اما والله لقد علمتُ انه سيبدأ بك [١].

(الثانية): تعرية الزعامة المنحرفة اذا شكلت خطراً.

وضمن هذا التخطيط كان صلح الامام الحسن (ع) مع معاوية فما كان باستطاعة الامام الحسن (ع) ان يقاتل بجيش مهزوز قوامه المنافقون والخوارج والمهزومون روحياً وعملاء معاوية والمتزلفون له والقليل من المخلصين ولو قاتل الامام لكان بين اثنين (أما) ان يقتل ومعه اهل بيته وشيعته وفيه القضاء على حملة الرسالة وخلو الساحة من القوام على الشريعة على ان قتل الامام يأتي بنتيجة عكسية إذ سيصبح عرضة للوم الناس فقد إدعى معاوية - وهو بعدُ لم يُفتضَح ولم تُكتشف نواياه واهدافه - إنه وعد الامام بأنه الخليفة بعده واعطاه كل ما يريد لكن الحسن - على حد قول معاوية والناس وفق هذا الفرض - ابى الا القتال فنال عاقبة بغيه وعندئذٍ يخسر الامام كل شيء.

(وإما) الاسر وعندئذٍ سيطلقه معاوية ويكون هو وآل الرسول (ص) طلقاء معاوية وبذلك يسدي خدمة كبيرة لمعاوية حيث يمحو العار عنه وعن أبيه وغيرهما من طلقاء النبي (ص) يوم فتح مكة وتصبح سبة عليه وعلى ذرية الرسول (ص) الى آخر الدهر، وفي خضم هذا الموقف الحرج لم يكن امام الحسن (ع) الا التنازل لمعاوية عن الخلافة ولكن هل تنازل دون مقابل كلا فقد أخذ عليه عهود ومواثيق وشروط وهو يعلم ان معاوية لا يفي بشيء منها ولكن الامام الحسن (ع) اراد ان يحول الهزيمة المحتومة الى نصر ساحق فقد افتضح معاوية وظهر زيف ادعاءاته واقواله الباطلة باعترافه هو فقد خطب الناس في الكوفة عند مجيئه اليها لتسلم السلطة من الحسن (ع) حيث قال «إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وانتم له كارهون الا واني كنت منيت الحسن أشياءاً وأعطيته أشياءاً وجميعها تحت قدميَ لا أفي بشيء منها له» [٢]

---

(١) معجم رجال الحديث: ٤ /١٦٨.

(٢) الإرشاد: ٢١٠.

وكان من شروط وعهود وثيقة الصلح على ان يسلم معاوية للحسن (ع) ولاية امر المسلمين وعلى ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين وان الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله وعلى ان اصحاب علي بن ابي طالب آمنون على انفسهم واموالهم ونسائهم واولادهم وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على احدٍ من حقه بالوفاء وبما اعطى الله على نفسه وعلى ان لا يبغي للحسن بن علي ولا لاخيه الحسين (ع) ولا لاحد من اهل بيت رسول الله (ص) غائلة سراً وجهراً ولا يخيف احداً منهم في افق من الآفاق وكفى بالله شهيداً[١] ولكن معاوية - وكما أخبر هو نفسه - لم يفِ بشيء بل عمل العكس فقد قتل الامام الحسن (ع) بالسم وجعل ولاية العهد بالاكراه لولده الفاسق يزيد وخالف كتاب الله وسنة نبيه (ص) واذا قيل له ان رسول الله (ص) نهى عن كذا قال أما أنا فلا ارى فيه بأساً[٢] .

وكتب الى عماله في الآفاق وامرهم بتتبع شيعة علي (ع) تحت كل حجر ومدر بالقتل والحبس والتشريد وقطع ارزاقهم وهدم دورهم ومحا اسماءهم من الدواوين وامر بسب علي (ع) على المنابر وتعليم الصبيان ذلك حتى اصبح سب امير المؤمنين (ع) سنة لاهل الشام[٣] وارتكب الموبقات وولغ في دماء صلحاء الأمة والابرار من اصحاب النبي (ص) مما سيأتي ذكره في رسالة الامام الحسين (ع) لمعاوية ان شاء الله تعالى في المكان المناسب حتى قال عبد الله بن عمر - وهو احد المتخاذلين عن نصرة الامام علي(ع) والقاعدين عن بيعته - ما ندمت على شيء كندمي على عدم قتالي الفئة الباغية مع علي (ع)[٤] وعندئذٍ ظهر ان طلب معاوية بدم عثمان لم يكن الا وسيلة لتحقيق اغراضه اللامشروعة واطماعه الدنيئة وللتمويه على طغام اهل الشام. وبذلك مهد الامام الحسن (ع) لثورة الامام الحسين (ع) ووضع الامة امام مسؤولياتها التاريخية ووعت الامة ذلك ولكنها كانت تبحث عمن يفجر بركان الثورة فكان الامام الحسين (ع) ذلك المفجر فانتشرت حينئذٍ حمم البركان لتصنع ثورة المدينة والتوابين

---

(١) السيرة ١ / ٥٨٣.

(٢) تجد استهزاء معاوية بالسنة وعدم مبالاته لها في (الشافي في شرح اصول الكافي /ج١).

(٣) الغدير: ٢٦٦/١٠، ٣٧٨/٩، ١٠٢/٢-١٠٣ ط٢.

(٤) نص القول في الغدير: ٤٩/١٠.

وحركة المختار في الكوفة وعبد الله بن الزبير في عددٍ من الاقطار الاسلامية وتوالت بعدها الثورات والانتفاضات.

وبذلك نفهم الترابط الوثيق بين صلح الامام الحسن (ع) وثورة الامام الحسين (ع) في تعرية السلطات المنحرفة ونجد انفسنا امام ترابط وثيق ذي حلقات متسلسلة ومتعاقبة يكمل بعضها بعضاً.

(الثالثة): التنديد بجرائم السلطات واستنكار جرائمها.

التزاماً بقول جدهم الاعظم (ص) افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر و (الحمل الثقيل لا يقوم به الا اهله) وقد تنوعت المواقف بين المواجهة الصريحة وبين التعريض والتلميح ومن تلك المواقف:

١ـ لما استاثر بنو أمية بالفيئ واستبدوا بالامور في عهد عثمان واستعبدوا الناس وفيهم بقية الصحابة الاجلاء والتابعين لهم باحسان كان منادي اهل البيت (ع) يقول «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اذا بلغ بنو أبي العاص[١] ثلاثين رجلاً اتخذوا دين الله دخلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً»[٢].

٢ـ رسالة الامام الحسين (ع) الى معاوية والتي جاء فيها: «اما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عني امور انت لي عنها راغب وانا لغيرها عندك جدير فإنما رقاه اليك الملاقون المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الجميع وكذب الغاوون ما اردت لك حرباً ولا عليك خلافاً. واني لا اخشى الله في ترك ذلك منك ومن الاعذار فيه اليك والى اوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة واولياء الشيطان، الست القاتل حجر بن عدي اخا كندة واصحابه المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويسفظعون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما اعطيتهم الايمان المغلظة والمواثيق المؤكدة لم تاخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده.

---

(١) ابو العاص بن امية جد عثمان بن عفان ومروان بن الحكم وعم ابي سفيان صخر بن حرب بن امية.

(٢) معجم رجال الحديث: ٤ / ١٦٨.

اولست القاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله (ص) العبد الصالح الذي ابلته العبادة فنحل جسمه واخضر لونه فقتلته بعد ما أمنته واعطيته من العهود والمواثيق ما لو فهمته العصم (العجم) لنزلت (من) رؤوس الجبال.

اولست المدعي زياد بن سمية المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت انه ابن ابيك وقد قال رسول الله (ص): الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنة رسول الله (ص) تعمداً وتبعت هواك بغير هدىً من الله، ثم سلطته على اهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم ويسمل اعينهم ويصلبهم على جذوع النخل كأنك لستَ من هذه الامة وليسوا منك.

اولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية انهم على دين علي (ع)، فكتبت اليه ان اقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ودين علي (ع) وهو دين ابن عمه محمد رسول الله (ص) الذي كان يضرب عليه اباك ويضربك لترجعا عن ضلالكما، وبهذا الدين جلست مجلسك الذي انت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف، وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد (ص) واتق شق عصا المسلمين وان تردهم الى فتنة وإني لا أعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها، ولا اعظم نظراً لنفسي ولديني ولامة محمد (ص) افضل من ان اجاهدك، فإنه قربة الى الله وإن تركت فإني استغفر الله لديني واسأله توفيقه لارشاد امري.

وقلت فيما قلت: ان انكرتك تنكرني وان كدتك تكدني، فكدني ما بدا لك فإني ارجو الله ان لا يضرني كيدك وان لايكون على احد اضر منه على نفسك، لانك قد ركبتَ جهلكَ وتجرأتَ على نقض عهدك ولعمري ما وفيت بشرط، ولقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والايمان والعهود والمواثيق ولم تفعل ذلك بهم الاّ لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقنا فقتلتهم مخافة امر لعلك لو لم تقتلهم متَ قبل ان يفعلوا او ماتوا قبل ان يدركوا، فأبشر يامعاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم ان لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وليس الله بناسٍ لاخذك اولياءه على الظنة والتهمة ونفيهم من دورهم الى دار الغربة واخذك

للناس ببيعة ابنك وهو غلام حدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما اراك الا خسرت نفسك وغششت رعيتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل واخفت الورع التقي»[١].

ولما ادخل الامام السجاد (ع) وسبايا آل الرسول (ص) على يزيد دار بينهما كلام فتلى يزيد - معرضاً بقتل الحسين (ع) الآية الكريمة «ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير» فقال له الامام زين العابدين (ع): يا ابن معاوية وهند وصخر لم تنزل النبوة والامرة إلاّ لآبائي واجدادي من قبل ان تولد !!! ولقد كان جدي علي بن ابي طالب في بدر واحد والاحزاب في يده راية رسول الله (ص) وابوك وجدك في ايديهما راية الكفر، ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت ومالذي ارتكبت من ابي واهل بيته لهربت في الجبال وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور فابشر بالخزي والندامة اذا اجتمع الناس ليوم الحساب[٢].

(الرابعة): قول كلمة الحق في وجوههم بارادة صلبة لاتلين وقوة نفسية.

استدعى المنصور الامام الصادق (ع) يوما واجلسه الى جانبه يحادثه بكل اجلال واحترام فوقع الذباب على وجه المنصور حتى ضجر منه فقال: لم خلق الله الذباب يا ابا عبد الله، فقال الصادق (ع): ليذل به انف الجبابرة فوجم المنصور ولم ينبس ببنت شفة [٣] وعاتبه المنصور على قطيعته له وكان قد زار المدينة ولم يدخل عليه الامام الصادق (ع) فيمن زاره من الوجوه والاشراف فقال له: لم لم تغشانا كما يغشانا الناس، فاجابه الامام (ع) ليس لنا من امر الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من امر الآخرة ما نرجوه منك، ولا انت في نعمة نهنئك بها ولا في نقمة فنعزيك. فقال له المنصور: تصحبنا لتنصحنا فرد الامام (ع) : ان من يريد الدنيا لا ينصحك ومن يريد الآخرة لا يصحبك[٤]. ويحاول المهدي العباسي ان يرد فدكا الى الامام الكاظم (ع) ليظهر امام الناس عدله ورفع الظلم عن آل بيت النبي (ص) فرفض الامام (ع) قبولها ولما الح عليه المهدي قال: لا اقبلها الا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال: الحد الاول: عدن فتغير وجهه،

---

(١) السيرة: ٢ / ٤٦ - ٤٨.

(٢) السيرة: ٢ / ١٢٩.

(٣) السيرة: ٢/ ٢٧٦ .

(٤) السيرة: ٢/ ٢٧٦ .

والحد الثاني سمرقند، فاربد وجهه والحد الثالث افريقية فقال له المهدي والحد الرابع، قال سيف البحر مايلي الخزر وارمينية، فقال له: لم يبق لنا شيء فتحول الى مجلسي، فرد عليه الامام بقوله: لقد اعلمتك باني ان حددتها لم تردها [١] وارسل الامام الكاظم(ع) من سجنه الى هارون العباسي: يا هارون ما من يوم ضراءٍ انقضى عني الا انقضى عنك من السراء مثله حتى نجتمع انا وانت في دار يخسر فيها المبطلون»[٢].

وكان الرضا (ع)-اثناء ولاية العهد- يكثر وعظ المأمون العباسي اذا خلا به ويخوفه بالله ويقبح ما يرتكبه من خلافه فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويبطن كراهته واستثقاله، ودخل الرضا (ع)يوماً فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصبُ على يده الماء، فقال (ع): لاتشرك يا امير المؤمنين بعبادة ربّك أحدا، فصرف المأمون الغلام وتولى تمام وضوئه بنفسه وزاد ذلك في غيظه ووجده[٣].

وقال الامام الرضا (ع) للمأمون عندما حوصر قصره وطلب من الرضا (ع)إقناع الناس بفك الحصار «اتق الله في امة محمد (ص) وما ولاك من هذا الامر وعصبك به فإنك قد ضيعت امور المسلمين وفوضت ذلك الى غيرك يحكم فيها بغير حكم الله عز وجل»[٤].

ومثله ما رواه الامام الرضا (ع) نفسه، قال: (قال لي المأمون: يا أبا الحسن لو كتبت الى بعض من يطيعك في هذه النواحي التي قد فسدت علينا، قال(ع): قلت له: يا أمير المؤمنين، إن وفيتَ لي وفيتُ لك، إنما دخلتُ في هذا الامر الذي دخلت فيه على أن لا أأمر ولا أنهى ولا أولّي ولا اعزل وما زادني هذا الامر الذي دخلت فيه في النعمة عندي شيئاً ولقد كنت بالمدينة وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب ولقد كنت اركب حماري وأمرّ في سكك المدينة وما بها أعزّ مني وما كان بها أحدٌ منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها له الا قضيتها له، قال: فقال لي: أفي لك)[٥].

---

(١) السيرة: ٢/ ٣٤٠ .

(٢) الشيعة والتشيع: ٢٥٩.

(٣) الارشاد: ٣٥٤.

(٤) راجع: القسم الاول من الكتاب.

(٥) روضة الكافي: ح ١٣٤، ص ١٣٢.

ومن ذلك قول امير المؤمنين (ع) لعثمان لما طلب منه الاخير رد الثائرين عليه واقناعهم بعدول الخليفة عن اعماله التي أثارت غضبهم: «ان الناس الى عدلك احوج منهم الى قتلك واني لارى القوم لا يرضون الا بالرضا وقد كنت اعطيتهم في المرة الاولى عهد الله لترجعن عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك، ولم تفِ لهم بشيء من ذلك فلا تغرنني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق»[١]. وقال(ع) له من كلام: (وإن شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ وضُلّ به فأمات سنة مأخوذة وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله(ص) يقول: «يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيُلقى في جهنم فيدور فيها كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها»، ثم يقول: «فلا تكوننّ لمروان سيِّقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن وتقضّي العمر، فقال له عثمان: «كلّم الناس في أن يؤجلني حتى أخرج اليهم من مظالمهم، فقال(ع): «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه وما غاب فأجله وصول امرك اليه»[٢].

وعندما شهد اهل الكوفة على واليهم من قبل عثمان: الوليد بن عقبة بن ابي معيط انه قد شرب الخمر وتقيأه في محراب الصلاة فنزعوا خاتمه واتوا به عثمان فاستدعاه الى المدينة وثبتت عليه الدعوى لكن أحداً لم يجرؤ على إقامة الحد عليه لانه ابن عم عثمان فأخذه الامام وأقام عليه الحد.

وذهب أربعة من أهل الكوفة بينهم ابو بكرة بن عبيد وأخوه لأمه زياد بن سمية ليشهدوا عند عمر بن الخطاب: أن واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة رأوه يزني بامرأة تدعى ام جميل رأي العين، وقبل أن يدلوا بالشهادة قال عمر كلاماً يستشعر منه عدم رغبته بثبوت الحد على المغيرة، لكن ثلاثة منهم اصروا على الشهادة امام زياد فوصف العملية، لكنه لم يدع أنه رآه يدخل كالميل في المكحلة، فكبّر عمر ودرأ الحد عن المغيرة وجلد الثلاثة حد القذف، فلما نُفّذ فيهم أصرّ ابو بكر على إعادة الشهادة، فأراد عمر إعادة حد القذف عليه، لكن امير المؤمنين(ع) قال له: «إن فعلت رجمت صاحبك - يعني المغيرة -» لتمامية اربع شهادات فتراجع عمر.

---

(١) السيرة: ١ / ٤٢٣، (نهج البلاغة، الخطبة ١٦٢، ص ٢٨٥).

(٢) نهج البلاغة: ج ٢، ص ٦٨، طبعة مكتبة النهضة/ بغداد.

(الخامسة): مسايرة الحكام ما داموا في خط الاسلام في الجملة واسداء النصيحة لهم .

رغم ان الائمة (ع) كانوا يذكرون الامة باستمرار باستحقاقهم منصب ولاية الامر وان الذين تصدوا له قد تقمصوا الخلافة وهم يعلمون من هو صاحب الحق الا ان الائمة (ع) لم يبخلوا بالنصح لاولئك الحكام ما داموا في اتجاههم العام مع الاسلام ولم يصطدموا به بشكل سافر وان وجدت مخالفات في التفاصيل لان المهم عندهم هو رفعة الاسلام وعز المسلمين وإعلاء كلمة الله تبارك وتعالى في الارض وقد تجردوا بشكل كامل عن الانانية وشهوة الحكم والتسلط كمشورة الامام علي(ع) على عمر بعدم الخروج بنفسه لقتال الفرس فعندما وصل خبر اجتماع الفرس وتعاقدهم على غزو البلاد الاسلامية الى عمر فزع لذلك ثم جمع المهاجرين والانصار في مسجد رسول الله (ص) فأطلعهم على الامر طالباً المشورة فقام جماعة من وجوه المهاجرين وتكلموا وكلهم اشاروا عليه بقيادة المعركة بنفسه فقال امير المؤمنين (ع) الحمد لله حتى اتم التحميد والثناء على الله والصلاة على رسوله (ص) ثم قال: اما بعدُ: فإنك ان اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم، وان اشخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من اطرافها واكنافها حتى يكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب اهم اليك مما بين يديك، فأما ذكرك كثرة العجم ورهبتك من جموعهم فإنا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر، وأما ما بلغك من اجتماعهم على المسير الى المسلمين فإن الله لمسيرهم اكره منك لذلك وهو اولى بتغيير ما يكره، وإن الاعاجم اذا نظروا اليك قالوا هذا رجل العرب فان قطعتموه فقد قطعتم العرب وكان اشد لكلبهم وكنتَ قد ألبتهم على نفسك وأمدهم من لم يكن يمدهم ولكني أرى ان تقر هؤلاء في امصارهم وتكتب الى اهل البصرة فليتفرقوا على ثلاثة فرق فلتقم فرقة منهم على ذراريهم حرساً لهم ولتقم فرقة على اهل عهدهم لئلا ينتقضوا ولتسر فرقة منهم الى اخوانهم مدداً لهم، فقال عمر: اجل هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه، وجعل يكرر قول امير المؤمنين (ع) وينسقه اعجاباً به واختياراً له[١].

---

(١) الارشاد للمفيد: ١٢٢ - ١٢٣، وتجد الخطاب بنفس المضمون الا ان الكلمات مختلفة في نهج البلاغة، تسلسل الخطبة ١٤٣، ج٢، ص ٢٩، ومثله نصيحته لعمر لما شاوره في الخروج الى غزو الروم بنفسه في نهج البلاغة ج٢، ص ١٨.

ومن ذلك اقتراح الامام علي(ع) بتحديد هجرة الرسول (ص) بداية للتاريخ الاسلامي والذي اصبح ساري المفعول بعدئذٍ وكانت البداية عندما جاء رجل الى عمر بن الخطاب يخاصم آخر بدين له عليه ومعه صك مكتوب فيه استحقاق اصل المال وانه يستحق في شعبان، فلما القى بصره عليه ادرك مواضع النقص وتوجه الى الدائن يسأله أي شعبان هذا ؟ أشعبان هذه السنة او التي بعدها، واجابه الطرف الاخر ولكنه لم يكن يطمئن لقوله مادام كل منهما يدّعي أمراً والكتابة لم تنصّ بصراحة على تاريخ الاداء والناس يومذاك لم يكن لديهم تاريخ خاص فكان بعضهم يؤرخ بعام الفيل، وآخرون يعتمدون تاريخ الدولة المجاورة لهم فاجمع راي ابن الخطاب على ان يضع للمسلمين تاريخاً يعتمدونه في امورهم فجمع الصحابه ليقف على رأيهم في هذا الموضوع واختلفت آراؤهم في ذلك اشد الاختلاف وكادوا ان يتفرقوا بدون ان ينتهوا الى نتيجة حاسمة لولا ان علياً قد اقبل عليهم بالمعهود من رأيه السديد، واتجه اليه ابن الخطاب يسأله، فقال (ع) نؤرخ بهجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة فاعجب عمر بن الخطاب برايه وهتف يقول: لازلت موفقاً يا ابا الحسن[١] ولم يكتف (عليه السلام) بهذا المقدار بل ارسل ولديه الامامين الحسن والحسين H وبعض اقربائه مع جيوش الفتح الاسلامي فقد شاركا (عليهما السلام) في فتوح آذربيجان وشمال افريقيا [٢] وأذن لاصفيائه وخيرة اصحابه بالمشاركة معهم ونجد اسماء كبار الشيعة من الصحابة في جيوش الفتح كسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وابي ايوب الانصاري ما دام في ذلك رفعة الاسلام وعز المسلمين.

(السادسة): عدم الركون اليهم ورفض ولايتهم وعدم مداهنتهم مما يؤدي الى امضاء انحرافهم.

---

(١) السيرة: ١ / ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) السيرة: ١٧/٢.

وقد تقدمت الاشارة الى حزمهم في رفض الركون الى الظالمين وولايتهم وقد علل الامام (ع) ذلك بأن في (ولاية الجائر دروس الحق كله واحياء الباطل كله وإظهار الظلم والجور والفساد)[١].

اما المداهنة فقد توعدوا (ع) من يداهن اهل المعاصي الذين تعتبرمداهنتهم امضاءاً لانحرافهم الشخصي فكيف بمداهنة السلطات التي يكون الضرر والخطر في انحرافها عاماً. قال الامام الصادق (ع) من حديث «واذا رأى المنكر ولم ينكره وهو يقوى عليه فقد احب ان يُعصى الله، ان الله تبارك وتعالى حمد نفسه على اهلاك الظالمين فقال: « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين» [٢] ويقول للفضيل بن عياض: «يا فضيل والله لضرر هؤلاء على هذه الامة اشد من ضرر الترك والديلم»[٣] وكانوا يرونهم كقتلة الحسين (ع) لانهم رضوا بفعلهم وساروا على نهجهم عن محمد بن الارقط عن ابي عبد الله (ع) قال: قال لي تنزل الكوفة ؟ فقلت نعم، فقال: ترون قتلة الحسين (ع) بين أظهركم ؟ قال: قلت: جعلت فداك ما بقي منهم احد، قال: فأنت اذن لا ترى القاتل الا من قتل او من ولي القتل ؟ الم تسمع الى قول الله «قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين» فأي رسول قتل الذين كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين اظهرهم، ولم يكن بينه وبين عيسى رسول، وانما رضوا قتل اولئك فسموا قاتلين»[٤].

وروي انه قيل للامام موسى الكاظم (ع) بعد ان مكث مدة طويلة في حبس هارون: لو كتبت الى فلان ليكلم هارون فيك فقال (ع): حدثني ابي عن آبائه ان الله اوحى الى داود انه ما اعتصم عبد من عبادي بأحدٍ من خلقي دوني الا قطعت عنه اسباب السماء واسخت الارض من تحته»[٥].

---

(١) تقدمت هذه الكلمة ونظيراتها في النقطة الثانية من المحور الثاني.

(٢) وسائل الشيعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابواب الامر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٧، حديث ٥،٦ .

(٣) وسائل الشيعة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابواب الامر والنهي وما يناسبهما، باب ٣٧، حديث ٥،٦.

(٤) الوسائل، المصدر السابق، باب ٥ ج١٤.

(٥) السيرة: ٣٥١/٢.

وعندما فكر المأمون العباسي في اعطاء المشروعية لحكومته من خلال اعطاء الامام الرضا (ع) ولاية العهد رفض الامام (ع) باصرار لانه (ع) يعلم بالنوايا الحقيقية للمأمون وان تظاهر بحسن النية وأعادة الحق الى اهله لكن المأمون هدده بالقتل ان لم يقبل وقال له: «انك تتلقاني أبداً بما اكرهه وقد امنت سطوتي فبالله اقسم لئن قبلت ولاية العهد والا اجبرتك على ذلك فإن فعلت والا ضربت عنقك»[١].

وقبل الامام (ع) ولاية العهد بعد ان اتضح للجميع رفضه لهذه المؤامرة المفضوحة وكشف زيفها حين اشترط على المأمون ان لا يأمر ولا ينهي ولا يعزل أحداً ولا يولي أحداً»[٢].

(السابعة): التعاون معهم في مجابهة المشاكل التي تهدد كرامة الدولة وتعجز الزعامات عن حلها وتهدد سياسة الدولة.

وقد مرت الاشارة الى هذه النقطة ضمن الفصل الاول واشار السيد الشهيد الصدر الاول (قده) في المتن الى موردين منها عجز عبد الملك بن مروان عن الاجابة على كتاب ملك الروم بكتاب في مستواه فملأ الامام زين العابدين هذا الفراغ واجاب بالشكل الذي يحفظ للدولة كرامتها وللامة الاسلامية هيبتها ومن قبله ما تقدم ص٧٢ من عجز معاوية عن اجابة اسئلة ملك الروم فارسل رجلاً متخفياً الى امير المؤمنين متظاهراً انه من جنده (ع) فلم يبخل عليه الامام (ع) بالاجوبة الشافية.

والمورد الاخر الذي ذكره السيد (قده) في المتن هو انقاذ الدولة الاسلامية من تحدٍ كافر يهدد سيادتها كالتحدي الذي واجهه هشام من الروم وعجز عن الرد عليه وكان الامام الباقر(ع) في مستوى الرد على هذا التحدي فخطط للاستقلال النقدي.

وذكرنا هناك امثلة عديدة وهي تكشف عن الامامة الحقيقية التي تشعر بالمسؤولية تجاه الامة وكيان الدولة الاسلامية في حين كان كل ما يهم السلطات الحاكمة الاموية والعباسية هو

---

(١) السيرة: ٣٩٧/٢.

(٢) الارشاد ٣٤٨.

تثبيت سلطتهم وتكريس استبدادهم ويتحركون بمقدار احساسهم بالخطر على ملكهم بحيث ان هارون العباسي يقول لولده المأمون ان الملك عقيم ولو نازعتني فيه لاخذت الذي فيه عيناك.

(الثامنة): الحذر من اعطاء أي ذريعة للوقيعة بهم .

ولكي يتم تعرية جرائم الحكام بشكل كامل ويُكشف عن زيفهم كان الائمة (ع) لا يعطون أي ذريعة للحكام لكي يقنعوا الامة في تبرير افعالهم الاثيمة عند النيل من الائمة (ع) او اصحابهم فكانت مظلومية الائمة (ع) واضحة ويمكن ملاحظة عدة منبهات في هذه النقطة:

١- رغم ان كل الثورات الاصلاحية التي كانت تنفجر في وجه السلطات الحاكمة كانت تنطلق من تعاليم اهل البيت في رفض الظلم والطغيان والاستبداد والثورة عليه ووجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح بكل الوسائل حتى المواجهة المسلحة بحيث ان الامام (ع) كان يقول «لوددت ان الخارجي يخرج من آل محمد وعليّ نفقة عياله» الا ان السلطات التي قمعت تلك الثورات بقساوة لم تستطع ان تحصل على أي دليل يثبت ارتباط الائمة (ع) بهم حتى اشد القادة قسوة كمسلم (الذي سموه بعدئذٍ مجرم) ابن عقبة المري الذي قاد جيش يزيد بن معاوية لقمع ثورة الصحابة والتابعين في المدينة وابادهم في واقعة الحرة واستباح نفوسهم واعراضهم واموالهم لم يستطع ان يمس الامام السجاد (ع) بسوء.

٢- اعلان الائمة (ع) ما يشعر تنصلهم من تلك الثوراة وعدم تأييدهم لها كالاخبار عن انتهائها بقتل اصحابها وعدم الجدوى منها بمعنى عدم قدرتها على ازالة الحكام المعاصرين لكن الثوار يعلمون ان الهدف الذي يريدونه هو ايقاظ الامة وشحذ همتها وابقاء جذوة الحق في نفوسهم والاصلاح والامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما ازالة الحاكم وغيرها من النتائج فهي بيد الله تعالى مسبب الاسباب ومنتج النتائج فلم يكونوا يفهمون هذا الموقف من الائمة (ع) بإخبارهم بمقتلهم مانعاً منهم (ع) عن الثورة بل هو الى التعاطف معهم اقرب كما تشهد الرواية بوقوف الامام الصادق (ع) يبكي وهو يرى جلاوزة المنصور يركبون بني عمه من ذرية الامام الحسن (ع) ورسالته (ع) الى بني الحسن في السجن رغم انه (ع) بين لهم هذه النتائج في الاجتماع الذي عقده الهاشميون من علويين وعباسيين قبيل انهيار الدولة الاموية وكان من بين الحضور الامام الصادق(ع) وعبد الله المحض شيخ بني الحسن(ع) وابو جعفر المنصور

وطالبوا بمبايعة محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض فأخبرهم الامام(ع) بمقتله وان الخلافة ستصل الى ابي جعفر فلم يفهم الثوار إذن هذا الكلام من الامام مانعاً عن حركتهم وان بدا هكذا امام الحكام.

٣ - عدم الاحتفاظ باي وثيقة او رسالة تتصل بشؤون السلطة او سلاح وكانت قوات السلطة تداهم باستمرار دور الائمة ويطالب الحاكم بان يفتش بيت الامام وياتي به على الهيئة التي يجده عليها جلاوزته فلا يجدون في الدار غير المصلاة والمصحف والمطهرة.

وقد تصل درجة التقية بالامام (ع) حينما تكون الكلمات مكتوبة خشية وقوعها بيد السلطات - أن يطلب من الثائر العلوي إنهاء ثورته والدخول في طاعة الخليفة كما كتب الامام الكاظم (ع) الى يحيى بن عبد الله صاحب الديلم ومما جاء فيه: (وانا متقدم اليك احذرّك معصية الخليفة واحثّك على برّه وطاعته وأن تطلب لنفسك أماناً قبل ان تأخذك الاظفار ويلزمك الخناق من كل مكان فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله (ص)).

يقول الرواي: فبلغني أن كتاب موسى بن جعفر(ع) وقع في يدي هارون فلما قرأه قال: الناس يحملوني على موسى بن جعفر(ع) وهو برئ مما يرمى به[١].

وقد فهم اصحاب الائمة (ع) المقربون والمعروفون لدى الامة بانهم يمثلون الخط العام لتوجّهات الامام (ع) هذا المعنى فابتعدوا عن المشاركة الفعلية في الثورات المسلحة وبارك الامام (ع) لهم هذا الموقف، يروي ابو جعفر الاحول وهو من كبار اصحاب الامام الصادق (ع) والدعاة اليه قال: إن زيد بن علي بن الحسين بعث اليه وهو مستخفٍ قال: فأتيته فقال لي: يا ابا جعفر، ما تقول إن طرقك طارق منا أتخرج معه؟ قال: فقلت له : إن كان أباك أو أخاك خرجت معه، قال: فقال لي: فأنا اريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فاخرج معي قال: قلت لا ما أفعل جُعلت فداك، قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني، قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان لله في الارض حجة فالمتخلف عنك ناجٍ والخارج معك هالك، وإن لا تكن لله حجة في الارض فالمتخلف عنك والخارج معك سواء، قال: فقال لي: يا ابا جعفر: كنت أجلس مع أبي على الخوان فيلقمني البضعة السمينة ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد عليّ شفقة عليّ ولم يشفق

---

(١) اصول الكافي: كتاب الحجة/ باب ٧٧، ح١٩.

عليّ من حر النار إذ أخبرك بالدين ولم يخبرني به، فقلت له: جُعلت فداك من شفقته عليك من حر النار لم يخبرك، خاف عليك ان لا تقبله فتدخل النار وأخبرني أنا فإن قبلتُ نجوتُ وإن لم أقبل لم يبالِ أن أدخل النار، ثم قلت له: جعلت فداك أنتم افضل ام الانبياء؟ قال: بل الانبياء، قلت: يقول يعقوب ليوسفH يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً، لِمَ لم يخبرهم حتى لا يكيدونه؟ ولكن كتمهم ذلك فكذا ابوك كتمك لأنه خاف عليك، قال: فقال: اما والله لئن قلت ذلك لقد حدثني صاحبك بالمدينة، أنّي أقتل وأصلب بالكناسة وأن عنده الصحيفة فيها قتلي وصلبي، فحججتُ فحدّثت ابا عبد الله (ع) بمقالة زيد وما قلت له، فقال لي: أخذته من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه ولم تترك له مسلكاً يسلكه)[١].

وبسبب هذا السلوك الاجرامي الغليظ والقاسي الذي تعامل به الحكام مع الائمة (ع) فقد كانوا (ع) حذرين ومتيقظين لألاعيب الحكام وشراكهم التي كانوا ينصبونها للائمة(ع) لايقاعهم في قفص الاتهام حيث كانوا مراقبين من قبل اجهزة السلطة وتحصى عليهم كل حركاتهم وسكناتهم وربما استدعي احدهم (ع) عدة مرات للتحقيق فقد استدعي الامام الصادق (ع) نحو ثمان مرات الى المنصور وفي احداها ارسل اليه محمد بن الربيع وامره ان ياتي به (ع) على الحالة التي يجده بها، قال محمد بن الربيع: لقد دخلت عليه الدار فوجدته يصلي ولما فرغ من صلاته قلت له: اجب امير المؤمنين، فقال: دعني البس ثيابي فقلت: ليس الى تركك من سبيل لاني مأمور ان احملك على الحالة التي تكون عليها، فجئت به على حالته وادخلته على المنصور وهو حاقد عليه فلما نظر اليه قال يا جعفر اما تدع حسدك وبغيك على اهل هذا البيت من بني العباس، وما يزيدك ذلك الاشدة الحسد، ولستَ ببالغ ما تقدره، ثم قال: هذه كتبك الى اهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتي وان يبايعونك دوني وضرب يده على السيف فسلَ منه مقدار شبر ثم رده وقال: يا جعفر اما تستحي مع هذه الشيبة وهذا السن ان تنطق بالباطل وتشقّ عصا المسلمين اتريد ان تريق الدماء وتثير الفتنة بين الرعية، فقال الامام: والله ما فعلت ولا هذه

---

(١) اصول الكافي، كتاب الحجة، باب ١، ح٥.

كتبي ولا خطي ولا خاتمي وما زال يحلف له ويتبرّأ مما نسب اليه حتى سكن المنصور وقال: اظنك صادقاً»[١] .

وكتب والي المدينة من قبل المتوكل العباسي اليه يحذره من وجود الامام الهادي (ع) في المدينة وان الامام يجمع الرجال والسلاح للثورة عليه فارسل المتوكل قائده يحيى بن هرثمة وقوة عسكرية واوصاهم بتفتيش الدار تفتيشاً دقيقاً، يقول ابن هرثمة: ثم دخلت منزله وفتشته كما امرني المتوكل فلم اجد فيه الا مصاحف وادعية وكتب العلم [٢] وبعد فرض الاقامة الجبرية عليه في سامراء سعى احد المرتزقة بالإمام الى المتوكل وقال: ان عنده اموالاً وسلاحاً فأمر المتوكل سعيد الحاجب ان يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما عنده من الاموال والسلاح ويقول سعيد: فذهبت الى دار ابي الحسن بالليل ومعي سلم فصعدت على السطح ونزلت من الدرجة الى بعضها في الظلمة فلم ادر كيف اصل الى الدار فنداني ابو الحسن (ع) ياسعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم البث ان اتوني بشمعة فنزلت ووجدت عليه جبة صوف وقلنسوة من صوف وسجادته على حصير بين يديه وهو مقبل على القبلة فقال لي: دونك البيوت فدخلتها وفتشتها فلم اجد فيها شيئاً[٣].

وبعد اتضاح صورة الحصار والمراقبة التي فرضت عليه نعرض بعض المواقف التي تدل على يقظتهم وحذرهم في التعامل مع الحكام:

١- حاول المنصور ان يلصق تهمة قبض الاموال والاستعداد للثورة بالامام الصادق (ع) وجماعة من اهل بيته ليكون مبرراً للقضاء عليهم فقال لمحمد بن الاشعث: يا محمد ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عني، فقال له محمد: اني اصبته لك هذا ابن المهاجر خالي، قال: فائتني به، فلما أتاه ، قال له ابو جعفر المنصور: يا ابن المهاجر خذ هذا المال وائت المدينة واقصد عبد الله بن الحسن وجعفر بن محمد وعين جماعة من العلويين غيرهما وامره ان يدفع اليهم المال ويقول لهم بأنه من شيعتهم في خراسان فأذا قبضوا المال فقل اني رسول واحب ان يكون معي خطوطكم بقبضكم ما قبضتم، فأخذ المال وذهب الى المدينة ثم رجع الى ابي جعفر المنصور

---

(١) السيرة: ٢٧٤-٢٧٥.

(٢) السيرة: ٤٨٦/٢.

(٣) السيرة: ٤٨٩/٢-٤٩٠ وتوجد حادثة مثلها في نفس المصدر ٤٩٢/٢.

فقال: ما وراءك ؟ قال: اتيت القوم وهذه خطوطهم بقبضهم خلا جعفر بن محمد فأتي اتيته وهو يصلي في مسجد النبي (ص) فجلست خلفه وقلت ينصرف فأذكر له ما ذكرت لاصحابه فتعجل وانصرف فتبعته والتفت الي وقال: يا هذا اتق الله ولا تُغر اهل بيت محمد فانهم قريبو العهد من دولة بني مروان وكلهم محتاج، قلت له: وما ذاك اصلحك الله ؟ فأدنى راسه مني واخبرني بكل ما جرى بيني وبينك فقال المنصور: يا ابن المهاجر اعلم انه ليس من اهل بيت نبوة الا وفيهم محدث وان جعفر بن محمد محدثنا اليوم[١].

٢- وكانت تجبى الاموال الطائلة الى الائمة (ع) من مختلف الاصقاع الاسلامية وكان الاحتفاظ بها في بيت الامام يشكل خطراً عليه وفرصة لاتهامه فكان الامام يوزعها على اصحابه ويحول المستحقين اليهم او يتصرفون فيها بإذنه فقد اودع الامام الكاظم (ع) عند علي بن ابي حمزة البطائني (ثلاثين) الف دينار وزياد بن مروان القندي سبعين الف دينار وعثمان بن عيسى الرواسي ثلاثين الف دينار واحمد بن ابي بشر السراج عشرة الاف دينار وعند غيرهم كثير، قال يونس بن عبد الرحمن «مات ابو الحسن موسى بن جعفر(ع) وليس من قومه احد الا وعنده المال الكثير»[٢].

٣- عن احد الشيعة من سجستان قال: رافقت ابا جعفر الجواد (ع) في السنة التي حجَ فيها في اول خلافة المعتصم فقلت وانا معه على المائدة وهناك جماعة من اولياء السُلطان: إن والينا جعلت فداك رجل يتولاكم اهل البيت ويحبكم وعلي في ديوانه خراج فإن رأيت جعلت فداك أن تكتب اليه كتاباً بالاحسان اليَ فقال (ع): لا اعرفه، ثم كتب له بصيغة تصون الوالي من التلبس بتهمة محبة اهل البيت (ع) وبالتالي قتله وحرمان الناس من فضله وخيره خصوصاً مع وجود اولياء السلطان على المائدة.

٤- بسبب تضييق الخناق الذي اتبعه الحكام مع الائمة (ع) فقد كان الاتصال بهم (ع) مباشرة في غاية الصعوبة والخطورة لذا كانت العلاقة بين الامام وشيعته تجري عن طريق المكاتبة والرسائل ويبدو ان عدد الرسائل وصل الى حد يثير شبهة اجهزة السلطة المراقبة

---

(١) السيرة: ٢٤٨/٢.

(٢) السيرة: ٣٧٢/٢.

للامام فكتب الامام الهادي (ع) الى احد شيعته وقد سأله عن الفطرة وتفاصيل احكامها: الفطرة قد كثر السؤال عنها واذا اكره كل ما ادى الى الشهرة فاقطعوا ذكر ذلك واقبض ممن دفعها وامسك عمن لم يدفع [١].

٥ ـ مرض المتوكل فنذرت امه ان تهدي عشرة الاف دينار الى الامام الهادي (ع) ان عوفي ابنها فتحقق لها ذلك بدواء وصفه (ع) بنفسه للمتوكل فأرسلت اليه بدرة فيها المبلغ المذكور ولما علم احد المتملقين وشى بالامام واخبر المتوكل ان الامام يجمع المال ويعد العدة للثورة عليه فأرسل المتوكل من يكبس الدار على الامام ويفتشه ولم يعثر الا على البدرة فحملها الى المتوكل فوجد خاتم امه عليها فأخبرته فردها الى الامام (ع) ولولا ان الامام احتفظ بختم المتوكل على المال لحدث ما لا تحمد عقباه.

(التاسعة): مواجهة المؤامرات التي تقوم بها السلطات.

كان الحكام ينفذون كل ما يعتقدون انه ضروري لحفظ سلطتهم ولا يهمهم بعد ذلك مصير الرسالة ولا الأمة بل قد يفعلون ما ينافي الشريعة اذا كان ذلك يحقق اهدافهم من خلال بث الفرقة او تمييع العقيدة والاخلاق التي ترفض ظلمهم وطغيانهم فمثلاً شعر الامويون بقوة وهيبة الحرمين الشريفين مكة والمدينة وتوجه افئدة المسلمين اليها لقدسيتها اولاً ولوجود بقية الصحابة والتابعين فيها والاهم من ذلك وجود اهل بيت النبوة فحاولوا اضعاف هذه القوة بعدة اساليب احدهما تشجيع الفسقة والعابثين ومجالس اللهو والمجون بحيث ان القرن الاول الهجري لم ينته بعد وشاعر الغناء والخلاعة عمر بن ابي ربيعة المخزومي يتسكع في الشوارع وتتحلق حوله مجموعة من الفاسقات ويحيي مجالس اللهو والطرب غير ما يفعل الحكام انفسهم في قصورهم فكان رد الائمة (ع) حازماً حيث حرموا الغناء والحضور في مجالسه وقالوا (ع) (ان الغناء ينبت النفاق ويورث الفقر)[٢] وقاموا بتحذير المغنين والشعراء المتهتكين[٣]، كما انهم (ع) بثو المواعظ والدعاء والخوف من عقاب الله تعالى والتذكير بالآخرة وكذا حاول

---

(١) السيرة: ٤٧٥/٢.

(٢) الحلقة الاولى من سلسلة نحو مجتمع نظيف .

(٣) السيدة سكينة للمقرم /٤٨.

الحكام افساد المجتمع عموماً بنشر ادواته وزيادة فرصه وتقليص فرص الدعوة الى الله تعالى او تمييعها واشاعوا شرب الخمور بل حاول بعضهم استصدار فتوى شرعية بعدم حرمتها كما يظهر من محاولة المهدي العباسي مع الامام موسى بن جعفر (ع) فقد روى علي بن يقطين قال: سأل المهدي ابا الحسن (ع) عن الخمر هل هي محرمة في كتاب الله فان الناس يعرفون النهي عنها ولا يعرفون التحريم لها، فقال له ابو الحسن: بل هي محرمة في كتاب الله يا امير المؤمنين، فقال له: في أي موضع محرمة هي في كتاب الله جل اسمه يا ابا الحسن ؟ فقال: قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ﴾[١] فاما قوله: ماظهر: يعني الزنا المعلن.. الى ان قال: واما الاثم فانها الخمر بعينها وقد قال عز وجل في موضع آخر (ويسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) فاما الاثم في كتاب الله فهي الخمر والميسر واثمهما كبير كما قال الله عز وجل، فقال المهدي: يا علي بن يقطين فهذه فتوى هاشمية، قال: قلت له: صدقت والله يا امير المؤمنين، الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم اهل البيت، قال: فوالله ما صبر المهدي إن قال لي: صدقت يا رافضي[٢] .

فهذا هو الشكل الاول من اشكال المواجهة والرد الايجابي وهو المنع المباشر وهناك شكل ثانٍ غير مباشر لكنه يزيل هذه المفاسد من اساسها وذلك باشاعة الفضائل الخلقية والسلوك الاسلامي الاصيل وتبوء مكان الاقتداء في المجتمع من خلال الوصايا والنصائح الذهبية التي لا يوازي الواحدة منها مليء الارض ذهبا ولو ضربت اليها آباط الابل لكانت جديرة به حيث كانوا يجسدونها عمليا في سيرتهم بين الناس حيث كانوا لا يامرون بامر الا كانوا اول المبادرين اليه ولا ينهون عن شيء الا كانوا اول المنتهين عنه (٣) وهم بذلك يعكسون صورة الاسلام النقية بعد ان شوهتها السلطات المنحرفة واذنابها باعماله المنافية لتعاليم الاسلام التي هي على طرفي نقيض معه وكشفوا بذلك زيفها فنمى بذلك وعي لدى الامة بان امامتها الحقيقية في المدينة المنورة فالقت زمامها اليهم وبدأت لا تعير تلك الحكومات اذنا صاغية في كل ما يتعلق بالاسلام

---

(١) الأعراف: ٣٣ .

(٢) الوسائل، ج١٧، ابواب الاشربة المحرمة، باب٩، ح١٣.

(٣) نهج البلاغة الخطبة١٧٣ ص٣٠٥ .

وتعاليمه وقد مر قول سفيان الثوري «الملك في الشام والخلافة في المدينة» ومن تلك المؤامرات التي نفذتها السلطات بث الفرقة بين صفوف الامة من خلال تفضيل قبيلة كقريش على غيرها وقومية كالعربية على غيرها الذين يسمون بالموالي وشريحة كالمهاجرين والانصار في العطاء على غيرهم فيقول بعض الامويين (انما هذا الفيء بستان قريش) رغم ان الحكم الشرعي واضح بان الفيء ملك للمسلمين جميعا وكانوا يستهجنون زواج العرب من الموالي او تزويجهم كما توحي بعض مراسلات الحكام الامويين الى الامام السجاد (ع) ورده عليهم [١] فتزوجوا من الموالي وزوجوهم وهم اشرف الخلق مما ادى الى تذويب هذه الحالة الجاهلية ولما سئل امير المؤمنين عن مساواته بالعطاء بين المهاجرين والانصار وغيرهم خلافا لما فعله السابقون قال (ع) «لو كان المال مالي لقسمته بالسوية فكيف والمال مال الله» وقال(ع) في مناسبة اخرى: «اني فتشت في كتاب الله فلم اجد فيه فضلا لاحد من ولد آدم على غيره».

وحاول الحكام تغيير الشريعة بما يوافق رغباتهم فبثوا العلماء الذين يدورون في فلكهم الذين كانوا يفتون بما ينسجم مع ذوق السلطات فواجه الائمة (ع) هذه الحركة بعدة اشكال:

١- بث الفقهاء المخلصين والاشادة بهم وتوجيه الناس عليهم.

٢- جعل موافقة الفقهاء العامة مانعا عن قبول الفتوى التي تنسب اليهم (ع) اذا عارضتها فتوى اخرى لا توافقهم فجعل مخالفة العامة مرجحا لقبول الفتوى عند التعارض.

٣- الوعيد بالعذاب الاليم في الآخرة لمن يفتي بغير علم او يقضي بين الناس وهو ليس اهلا حتى لو اصاب الواقع او يجامل السلطة في الفتوى ونحوها لان خطرمثل هؤلاء العلماء عظيم لانهم وسيلة مؤثرة في اضلال الناس. وقد تقدم في الفصلين السابقين كلمة الامام السجاد(ع) الى محمد بن شهاب الزهري وغيرها.

ولا ننسى محاولات الحكومات لتبديل مظاهر المجتمع المسلم الى مجتمع جاهلي لا يعرف حتى اهم الواجبات الاسلامية. يقول السيد الخوئي(قده) - بعد أن بيّن وجوب الخمس في مطلق ما يستفيده الانسان حتى من ارباح تجارته وذكر الادلة من كتبهم العامة عليه لكن ذكر الموانع

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٤،كتاب النكاح، آدابه ومقدماته.

التي حالت دون وصول الاحكام الينا بوضوح - قال (قده): (وقد تخلّل بيننا عصر الامويين الذين بدّلوا الحكومة الاسلامية حكومة جاهلية ومحقوا أحكام الدين حتى ان كثيراً من الناس لم يعرفوا وجوب الزكاة الثابت بنصّ القرآن كما يحكيه لنا التاريخ والحديث، بل في صحيح ابي داود وسنن النسائي: أن اكثر اهل الشام لم يكونوا يعرفون أعداد الفرائض وعن ابن سعد في الطبقات: ان كثيراً من الناس لم يعرفوا مناسك حجهم.

وروى ابن حزم عن ابن عباس أنه خطب في البصرة وذكر زكاة الفطرة وصدقة الصيام فلم يعرفوها حتى أمر من معه أن يعلم الناس)[١].

وقد كانت تثير السلطات المشاكل الفكرية والاجتماعية والاخلاقية لتحصيل عدة اغراض:

١- اشغال العلماء والمفكرين ونخبة المجتمع بهذه المشاكل الهامشية من خلال التفكير بها ومناقشتها والرد عليها مما يقلل اهتمامهم بالمشاكل والقضايا المصيرية التي تهدد كيان الامة كالظلم والاستبداد وضياع المبادئ والقيم ومصادرة الحقوق والحريات.

تمزيق وحدة صف المسلمين وبث الفرقة بينهم حيث يتبنى كل قوم بعض هذه الرؤى والاطروحات ويخاصم الاخر الى حد القتال بالسلاح وازهاق الانفس وتلف الاموال مما يؤدي الى اضعاف الجميع وتبقى قوة الحاكم هي المسيطرة ولا تخاف قوة الجماهير التي قوامها الوحدة.

ايجاد المبررات لافعالها من خلال بعض الافكار كنظرية الجبر والارجاء وقد تقدمت الاشارة اليها.

(العاشرة): دعم وتاييد الحركات المسلحة كآخر اسلوب لردع الحكام

عن انحرافهم وطغيانهم وبعث الهمة والارادة في نفوس الامة فقد اعلن الامام الحسين (ع) ثورة مسلحة في وجه يزيد ابن معاوية رغم قلة العدد وخذلان الناصر وعندما سئل الامام السجاد (ع) عن مشروعية حركة المختار الثقفي في الكوفة للثأر من الامويين وقتلة الحسين (ع) قال الامام السجاد(ع) لو ان عبداً حبشياً دعا الى هذا الامرلوجبت نصرته) وقد بالغ الائمة

---

(١) مستند العروة الوثقى، كتاب الخمس ص ١٩٧.

(ع) في الثناء على زيد بن علي السجاد وخروجه غضباً لله ولرسوله وطلباً لارجاع الحق الى اهله وقد قال الامام الرضا مثل هذه الكلمات في وجه المأمون العباسي بكل شجاعة وقد تقدمت في المتن وقد لخص الامام الصادق (ع) هذه الرغبة وهذا التأييد بقوله (ع) (لوددت ان الخارجي - أي الذي يخرج ضد الحكام - يخرج من آل محمد (ص) وعلي نفقة عياله) وعندما جاءه علي بن الحسين الحسني صاحب فخ وشهيدها ليعلمه بعزمه على الثورة ودعه الامام (ع) وهو يبكي وقال له (أحِدَّ السيف فأن القوم فساق)[١].

(١) تأتي مصادر هذه الكلمات وتفصيل هذه المواقف في الفصل الرابع .

الجهة الثانية: علاقة الحكام بهم

لا يخفي الحكام اعترافهم باستحقاق الائمة (ع) لهذا الموقع وانما تقمصوه هم بشكل او بآخر وقد تقدمت كلمات أجيال منهم كعمر بن الخطاب الذي يقول لابن عباس: والله ان صاحبك - يعني علياً (ع) - لاولى الناس بالامر بعد رسول الله (ص) الا اننا خفناه على اثنتين خفناه لحداثة سنه ولحبه لبني عبد المطلب. وقال: اما والله لو وليها علي بن ابي طالب لحملهم على المحجة البيضاء والحق الواضح [١] - وقال عمر بن عبد العزيز وقد سأل جلاسه من أشرف الناس فقال: اشرف الناس هذا القائم من عندي - يعني الامام السجاد (ع) - آنفاً، من احب الناس ان يكونوا منه ولم يحب ان يكون من احد) [٢] وقال المنصور «اعلموا انه ليس من اهل بيت نبوة الآ وفيهم محدث وان جعفر بن محمد محدثنا اليوم»[٣] وقد ذكر السيد (قده) في المتن كلمة هارون العباسي ومع كل ذلك ورغم ان الائمة (ع) لم يعلنوا ثورة مسلحة ضد الامويين والعباسيين عدا ثورة الامام الحسين (ع) الا ان الحكام كانوا يتخذون اساليب ضد الامام (ع) وقد ذكر منها السيد (قده) في المتن (تطويق امام الوقت بحصار شديد ووضع رقابة محكمة عليه ومحاولة فصله عن قواعده الشعبية ثم التآمر على حياته ووفاته شهيداً بقصد التخلص من خطره) تم تساءل (قده) (فهل كان من الصدفة او مجرد تسلية ان تتخذ الزعامات المنحرفة كل هذه الاجراءات تجاه أئمة اهل البيت (ع) بالرغم من انها تكلفها ثمناً باهضاً من سمعتها وكرامتها او كان كل ذلك نتيجة لشعور الحكام المنحرفين بخطورة الدور الايجابي الذي يمارسه ائمة اهل البيت (ع) والا فلماذا كان هذا القتل والتشريد والنفي والسجن).

ويمكن استخلاص عدة اسباب تدفع السلطات لممارسة هذه الجرائم الوحشية بحق الائمة(ع):

---

(١) السيرة: ٣٦٨/١ – ٣٧١.

(٢) السيرة: ٢ / ١٥٤.

(٣) السيرة: ٢٤٨/٢.

١- التباين الكبير بين سلوك الائمة (ع) ونفسياتهم والمبادئ التي يؤمنون بها ويعملون لتحقيقها وبين ما يقابلها عند تلك الحكومات فنفسية الائمة تميزت بالعصمة والقداسة واخلاقهم ترجمة عملية للقرآن واستنساخ لسنة جدهم (ص) اما اولئك فهم ظلمة طغام همهم التكبر والاستعلاء والاستبداد والبطش بمن تشم منه رائحة عدم الرضا على سلوكهم وبينما كان الائمة (ع) يعرضون الصورة المشرقة للاسلام الاصيل فكراً وتطبيقاً كان اولئك بتصرفاتهم الشائنة واعمالهم القبيحة المنكرة ينفرون الناس عنهم فلم يكونوا يلتقون على شيء لان الائمة (ع) في قمة الكمال وهم في حضيض الفساد والانحراف والانصياع للشهوات فوجود الائمة (ع) كان حرباً عليهم وان لم يعلنوها وهي حرب الحق والباطل وحرب الخير والشر حرب اعداء الاسلام - وان تسموا به - مع الاسلام «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم» حرب الرذيلة على الفضيلة.

٢- ايمان عدد كبير من الناس بامامتهم وحقهم الشرعي في تسلم الحكم ونظرهم الى اولئك الحكام على انهم غاصبون لحق الائمة (ع) وهو وتر حساس في نفوس الحكام كان يدق عليه كل من تسول له نفسه التزلف لهم وارضاء حقدهم بالوشاية بهم (ع) فهذا علي بن اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) (وقيل اخوه محمد) طمع في جائزة هارون فوشى بعمه موسى (ع) ودخل على هارون وقال: ما ظننت ان في الارض خليفتين حتى رايت عمي موسى بن جعفر يُسلم عليه بالخلافة[١] وقال عندما سأله عن عمه: خليفتان في عمر واحد عمي موسى بن جعفر في الحجاز وانت يا امير المؤمنين وقد تركت الناس تسلم عليه بالخلافة)[٢] وقال عيسى بن جعفر لهارون العباسي حين توجه من الرقة الى مكة: اذكر يمينك التي حلفت بها في آل ابي طالب فانك حلفت ان ادعى احد الامامة بعد موسى بن جعفر ان تضرب عنقه صبرا وهذا علي ابنه يدعي هذا الامر ويقال له ما يقال في ابيه فنظر اليه هارون مغضباً وقال: ماتريد اتريد ان اقتلهم جميعاً[٣] .

---

(١) أصول الكافي، كتاب الحجة، باب ١١٦، ح٨.

(٢) السيرة ٣٤٦/٢.

(٣) السيرة ٣٧٨/٢.

وكان يردد هذه النغمة كل الحكام الذين يريدون اتهام الائمة (ع) زوراً وبهتاناً تمهيداً للقضاء عليهم وقد تقدم كلام ابي جعفر المنصور مع الامام الصادق(ع) ونحوه ما روي عن الامام الكاظم(ع) ، انه قال: لما أدخلت على الرشيد سلمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتان يجبى اليهما الخراج؟ فقلت: «يا أمير المؤمنين: أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك فتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت بأنه قد كذب علينا منذ قبض رسول الله(ص)»[١].

لذلك لم يسمح احد من اولئك الحكام ان يرى غيره يدعى له بالامامة وهو شعور بعقدة الحقارة - في مصطلح علماء النفس - تجاه الائمة الحقيقيين لانهم قبل غيرهم يعترفون بامامة اهل البيت (ع) الشرعية لذلك اخذوا يحاربونها بكل ما اوتوا من قوة.

٣- فشل جميع المؤامرات التي تستهدف ازالة المكانة القدسية التي يتحلون بها في انظار الناس خصوصاً في مسألتي العصمة والاعلمية بل على العكس كان الفقهاء والعلماء من مختلف الملل والنحل اول من يذعن لهم او يعترف بتفوقهم البعيد وكانوا يرون فيهم (ع) الامتداد الشرعي لرسول الله (ص) والاحق بمقامه وكثيراً ما كانوا يرددون (الله اعلم حيث يجعل رسالته) مما سياتي ذكره ان شاء الله تعالى ولم يبق امام الحكام الا استعمال الاساليب الاجرامية والقضاء عليهم (ع).

٤- الصفات الذاتية للحكام كالحقد المتأصل في نفوسهم على علي(ع) وولده وقد قال رسول الله (ص) يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق[٢] وتعدى حقدهم الحدود المعقولة الى نبش القبور وصلب أجساد الشهداء ورضها حدث هذا للامام الحسين (ع) والشهداء من اصحابه حيث احتزت رؤوسهم ووطئت الخيل أجسادهم، ودُفن زيد الشهيد في مجرى نهر حتى لا يصلب أو يحرق ولكنهم عرفوا به بعد ذلك فأخرجوه ومثلوا به وارسلوا رأسه الى الشام ومنها الى المدينة واما جسده فبقي مصلوباً خمسين شهراً كما جاء في مروج الذهب وغيره ولما جاء عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك كتب الوليد الى عامله على الكوفة: أن يحرقه

---

(١) الاحتجاج ١٦١/٢.

(٢) المراجعات: ١٧٤، راجع: نص القول ونهج البلاغة: ٥٦٨.

بخشبته ففعل به ذلك)[١]. وقام المتوكل باغراق قبر الحسين (ع) وحرثه وفرض عقوبات على زائريه حتى قال الشاعر:

تالله إن كانت امية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتته بنو أبيه بمثله فغدا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما[٢]

وكان الحسد يأكل قلوبهم وهم يرون شعبية الائمة (ع) وجماهيريتهم وتفاني الناس في حبهم مما آثار حفيظتهم ودفعهم الى الانتقام منهم (ع) هذا غير الفرق الشاسع - الذي تقدم ذكره - الذي يفصل بين شخصيتهم من حيث المواهب والملكات وانتماء الائمة (ع) العضوي للرسول (ص)، قال الشاعر معبراً عن هذا الشعور:

ان يحسدوك على علاك فإنما متسافل الدرجات يحسد من علا

ولم يخف المنصور العباسي حسده وغيظه حين ارسل على الصادق (ع) وحاول ان يكتم شدة حنقه على الامام فأخذ يتكلم باسلوب الناصحين لكن الشر يتطاير من عينيه وكلماته فقال: يا جعفر قد علمت أن رسول الله (ص) قال لابيك علي بن ابي طالب لولا ان تقول فيك طوائف من امتي ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس الا واخذوا التراب من تحت قدميك وقال علي: يهلك في اثنان ولا ذنب لي محبٌ غالٍ ومبغض مفرط، وانما قال ذلك اعتذاراً لانه لا يرضى بما يقوله فيه المحب والعدو وانت تعلم ما يقال فيك، وقد زعم اوغاد الحجاز ورعاع الناس انه حبر الدهر وحجة المعبود وترجمانه وعيبة علمه فقل فإن اول من قال الحق جدك واول من صدقه عليه ابوك، وانت حريٌ ان تقتفي آثارهما وتسلك سبيلهما، فقال

---

(١) سيرة الائمة الاثني عشر: ١٧٨/٢.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٤٧٢.

الامام (ع): انا فرع من تلك الزيتونة، فقال المنصور: لقد احالني على بحر لا يدرك طرفه ولا يبلغ عمقه، هذا هو الشجى المعترض في حلوق الخلفاء الذي لا يجوز نفيه ولا يحل قتله[١] .

لاحظ الصراع النفسي الذي يعيشه الحكام المنحرفون والذي عبّر عنه بالشجى المعترض في حلوق الخلفاء فإن فضل أهل البيت(ع) مما لا ينكر وقدسيتهم لا تُمسّ وفي نفس الوقت فإن حب الملك والتسلط لا يسمح للطواغيت بإبقائهم.

٥- ولا ننسى اثر الوشايات المغرضة التي كان بعض ضعفاء النفوس يقومون بها من اجل متع رخيصة وتلبية لاهواء منحرفة وتزلفاً لاولئك الحكام الطغاة. لما أخذ المعتصم بقول الامام الجواد (ع) في شأن قطع يد السارق واهمل اقوال الفقهاء والعلماء ومنهم ابن ابي داود قاضي القضاة فقامت قيامته وظل يجيل الرأي ثلاثة أيام، ويقاوم نفسه الامارة بالسوء فجاء الى المعتصم وقال: ان نصيحة امير المؤمنين علي واجبة وانا اكلمه بما اعلم اني ادخل به النار، قال: وما هو ؟ قال: اذا جمع امير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لامر واقع من امور الدين فسألهم عن الحكم فأخبروه بما عندهم من الحكام في ذلك، وقد حضر المجلس بنوه وقواده ووزراؤه وكتابه وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ثم يترك اقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الامة بامامته ويدعون انه اولى منه بمقامه ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء ؟ فتغير لونه وانتبه لما نبهه له وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً، فخرج ابن ابي داود ينوء بتبعة الجريمة وقال لصاحبه وهو مغتم وددتُ اني قد مُتُّ منذ عشرين سنة[٢] .

وقال يحيى بن خالد البرمكي لهارون مضيفاً الى وشاية ابن اخي الامام موسى بن جعفر (ع): ان الاموال تجبى اليه - أي الامام الكاظم (ع) - من المشرق والمغرب وقد اشترى ضيعة بثلاثين الف دينار وسماها اليسيرة وقال له بائعها وقد احضر له المال: لا أأخذ هذا النقد ولا اقبل الا نقداً معيناً سماه له فاسترجع منه النقد الذي دفعه واعطاه ثلاثين الف دينار من النقد الذي سماه له[٣] وكتب والي المدينة الى المتوكل العباسي يحذره من وجود الامام الهادي (ع) فيها: ان كان لك بالحرمين حاجة فاخرج منهما علي بن محمد فانه قد دعا الناس الى نفسه

---

(١) السيرة ٢٧٢/٢ .

(٢) الميزان: ٣٣٥/٥-٣٣٦.

(٣) السيرة ٣٤٧/٢ .

وتبعه خلق كثير[١] فاستدعى المتوكل الامام (ع) الى سامراء بحجة الاشتياق الى رؤيته حتى قضى فيها شهيدا مسموما بعد ان فرضت السلطة الاقامة الجبرية عليه.

وهكذا قضى الائمة شهداء بالسيف او السم فقد استشهد امير المؤمنين بالسيف في محراب مسجد الكوفة وقضى الامام الحسن (ع) بالسم واستشهد الامام الحسين (ع) ومن معه في فاجعة مؤلمة في كربلاء وكذا استشهد بقية الائمة قال الامام الصادق (ع) (ما منا الا مقتول او مسموم)[٢] فمن لم يقتل بالسيف يقضي شهيدا بالسم وللحديث الشريف ما يؤكده من الاحداث التي تكتنف حياة الائمة (ع) وموقف الحكام منهم والملابسات والظروف الغامضة التي تحيط حادثة وفاة الائمة (ع) الى جانب الحركة التمويهية التي يقوم بها مرتكبوا الجريمة لتبرئهم منها وهم بذلك يلصقون التهمة بانفسهم اكثر.

وقد نال شيعة اهل البيت (ع) ما نال أئمتهم ابتداءاً من جيل الصحابة الاجلاء فأبو ذر يطرد على بعير بغير وطاء وحيداً الى الربذة حتى يموت فيها غريباً[٣] ويُركل عمار بن ياسر حتى تفتق مثانته وكذا ما حل بعبد الله بن مسعود وما فعله معاوية بحيث يأمر عماله انه كل من كان على دين علي يُمحى اسمه من ديوان العطاء وتهدم داره وتقطع اشجاره وهكذا استمرت ملاحقة شيعة اهل البيت والقضاء على من تثبت عليه هذه التهمة فقطعت الايدي والارجل[٤] وطيف

---

(١) السيرة ٢ / ٤٨٥ .

(٢) راجع: تحليل هذه الكلمة في (تاريخ الغيبة الصغرى) لسيدنا الاستاذ Π . وفي أمالي الصدوق بسند معتبر عن الامام الرضا (ع): (والله ما منّا الا مقتول شهيد)، (منتهى الآمال: ٢/ ٤٨٥).

(٣) وأحبّ أن انقل الكلمات الخالدات المملوءة بالمعرفة والممزوجة بالحرقة والألم لمصير الأمة وقد شيّع بها أمير المؤمنينΔ أبا ذرّ، قال الراوي: لما سيّر عثمان أبا ذرّ إلى الربذة شيّعه أمير المؤمنينΔ وعقيل والحسن والحسينE وعمار بن ياسر فلما كان عند الوداع قال أمير المؤمنينΔ: (يا أبا ذرّ إنك إنما غضبت لله عز وجل فارجُ من غضبتَ له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فارحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء، ووالله لو كانت السماوات والارض على عبد رتقاً ثم اتقى الله عز وجل جعل منها مخرجاً فلا يؤنسك الا الحق ولا يوحشك الا الباطل)، (روضة الكافي، الحديث ٢٥١، ص ١٧٥) .

(٤) لاحظ مقتل ميثم التمار وغيره فقد قطعت يداه ورجلاه ثم لسانه الذي ظل يلهج بفضائل اهل البيت E والدم ينزف منه وهو مصلوب .

بالرؤوس[١] وصلب الاجساد[٢] وهدمت الدور واكتظت السجون[٣] ونحو ذلك من الطرق الوحشية التي تتقزز منها الابدان وقد اعترف المأمون بما فعل سلفه بالعلويين وانصارهم فقال لمن اعترض على تنصيب الرضا (ع) ولياً لعهده مذكراً اياه بما اقترفوه من آثام بحق آباءالرضا (ع) وشيعتهم «ويحكم ان بني امية انما قتلوا منهم من سلَ سيفاً وإنّا معشر بني العباس قتلناهم جملا فلتُسألنَ اعظم الهاشمية بأي ذنب قتلت ولتُسألن نفوس القيت في دجلة والفرات ونفوس دفنت ببغداد والكوفة احياء»[٤] ويصف الامام الباقر (ع) تلك الرزايا التي نزلت بالشيعة بقوله: (وقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الايدي والأرجل على الظنة والتهمة وكان من يذكر بحبّنا او الانقطاع الينا سجن أو نهب ماله وهدمت داره)[٥] .

وحبس المنصور بني الحسن في سرداب مظلم لا يعرف فيه الليل من النهار ولا يعرفون وقت الصلاة الا بتسبيح علي بن الحسن بن الحسن المثنى وباجزاء يقرأها وقد استشهد اكثرهم في الحبس، منهم من دفن حياً كابراهيم الغمر بن الحسن المثنى ومنهم من طرح عليه البيت كعبد الله المحض بن الحسن المثنى وردموا السجن على بعض آخر فماتوا ولما جيئ بهم الى المنصور ونظر الى محمد بن ابراهيم بن الحسن فقال: انت الديباج الاصفر ؟ قال: نعم، قال: اما والله لا قتلنك قتلة ما قتلتها احداً من اهل بيتك (ع) ثم امر باسطوانة ففرقت ثم ادخل فيها فبنيت عليه وهو حي[٦] .

---

(١) كان رأس عمرو بن الحمق الخزاعي الصحابي الجليل اول رأس طيف به في البلدان حتى وصل الى معاوية وهو الذي نحل جسده من العبادة كما يصفه الحسين Δ ولكن الظاهر من كلمات امير المؤمنين Δ في تابين اصحابه (وابرد برؤوسهم الى الفجرة) سبق هؤلاء ، اي أرسلت رؤوس شهداء صفين بالبريد الى معاوية واصحابه الفجرة.

(٢) صلب جسد زيد الشهيد اربع سنين في كناسة الكوفة .

(٣) اعتقل عبيد الله بن زياد الالاف من شيعة الكوفة قبل ورود الحسين Δ الى كربلاء لمنعهم من نصرته، راجع: (مجلة الايمان سنة ٢ عدد ٤-٣ ص ١٢٤)، وسيرة الائمة E: ٢٨٤/٢.

(٤) السيرة ٣٩٠/٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٣/ ١٥، بواسطة كتاب (الائمة الاثني عشر دراسة تحليلية) لعادل الاديب، ص ٢٢٥.

(٦) مقاتل الطالبين / ١٣٦ ..

واوصى المنصور الى ولده المهدي قبل وفاته بخزانة وأخذ عليه ان لا يفتحها الا بعد وفاته ووضع المفاتيح عند زوجة المهدي .

ولما فتح الخزانة بعد موت المنصور وجد فيها اجساد زكية طاهرة وعلى كل جسد اسم صاحبه ونسبه وكانوا علويين[١]، وكانت هذه نصيحة المنصور لولده لكي يحتفظ بملكه وعليه فهمها.

وذاك الذي سأله هارون بم تفديني فأجابه: بمالي، فلم يكترث له فأعاد عليه السؤال فقال: افديك بنفسي فلم يعبأ به، الى ان قال: بديني، فكلفه بقتل ستين علوياً.

وارتكبت السلطات مذابح جماعية بشعة بحق الشيعة منها ما ذكره صاحب الكامل في التاريخ: ان العباسيين قتلوا في مدينة قم مركز الشيعة من العلماء والمحدثين ونقلة آثار اهل البيت (ع) في زمن العسكري (ع) مقتلة عظيمة[٢].

(أشكال تصرفات الحكام تجاه الائمة (ع)):

كان الهم الرئيسي لدى الحكام هو حماية سلطتهم من التهديد الذي يمثله وجود الائمة (ع) وكانوا لا يفكرون مباشرة بقتل الامام (ع) وتصفية وجوده بل كانوا يتخذون اساليب اخرى للحد من هذا الخطر ومنها:

(الاول): تحجيم موقعهم المقدس في الشريعة وبالتالي في نفوس الناس من خلال:

١ـ المنع من تدوين الحديث الشريف الذي يضم احاديث كثيرة في فضلهم (ع) وقد بدأ هذا المنع في وقت مبكر بعد وفاة رسول الله (ص) وكان عمر يتوعد بالعقوبة من يفعل ذلك ولم يحصل تدوين الحديث الا على راس المئة الاولى في ملك عمر بن عبد العزيز .

٢ـ عقاب من يتحدث بفضائل اهل البيت (ع) بحيث ان مثل ابن السكيت (يعقوب بن اسحاق توفي سنة ٢٤٤ هـ) العالم اللغوي الكبير كان مؤدباً لولدي المتوكل العباسي المعتز والمؤيد فذكر يوماً فضل امير المؤمنين (ع) فقال له المتوكل ايهما احب اليك ولديَ ام الحسن والحسين

---

(١) السيرة: ٣٣٧/٢.

(٢) السيرة: ٥١٢/٢ .

H ولدي امير المؤمنين(ع) فقال ابن السكيت: والله ان قنبر خادم امير المؤمنين (ع) افضل منك ومن ولديك فأمر بأن يسئل لسانه من قفاه[١].

٣- التعتيم على فضائلهم ومناقبهم بشكل او بآخر فمثلاً كانت احدى ابواب مسجد الكوفة تسمى باب الثعبان لانه انسل منها ثعبان عظيم جاء الى امير المؤمنين (ع) رسولاً من الجن فهمس في اذنيه[٢] فربط معاوية في ذلك الباب فيلاً فاصبح الناس يسمونه[٣] باب الفيل حتى غلب عليه ولم يعد يذكر اسمه السابق وصنعوا الاساطير في شجاعة عنترة بن شداد ليلهوا الناس عن الحديث عن شجاعة امير المؤمنين (ع) التي تعدّ نبراساً ورمزاً للبطولة وسارت بها الركبان وصنعوا للخنساء امجاداً وهمية بأن لها اربعة بنين استشهدوا في القادسية فلم تجزع عليهم ليجعلوه موقفاً بديلاً عن مآثرة ام البنين زوجة امير المؤمنين (ع) التي قالت حين بلغها خبر استشهاد اولادها الاربعة وهم العباس واخوته بين يدي اخيهم الامام الحسيـــن(ع): «الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم دفاعاً عن ابي عبد الله الحسين (ع)»[٤] .

٤- تحريف الاحاديث والدس فيها فقد جعل معاوية اربعمائة الف درهم لسمرة بن جندب كي يروي حديثاً عن رسول الله (ص) ان قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[٥] نزل في قاتل علي بن ابي طالب وان قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[٦] ، نزل في علي (ع) نفسه كما وضعوا احاديث في فضائل الذين تقمصوا الخلافة دون علي بن ابي طالب او في معاوية وذريته[٧] .

ويروي احد الشاميين انه لا يعرف قرابة لرسول الله(ص) غير معاوية وولده.

---

(١) الاعلام للزركلي: ٩/ ٢٥٥ .

(٢) اصول الكافي، كتاب الحجة، الباب ٩٤، ح ٦.

(٣) راجع كتاب الغدير للاميني .

(٤) طبع لنا تحقيق في دحض رواية الخنساء والهدف من وراء دسّها في التاريخ الاسلامي .

(٥) البقرة: ٢٠٧ .

(٦) البقرة: ٢٠٤ .

(٧) راجع: الغدير للاميني، الجزء السابع وغيره لتطلع على ضخامة الاحاديث المقلوبة والمفتعلة.

٥- استدراج بعض اقرباء الائمة (ع) الى الفسق والفجور لتشويه صورة الائمة انفسهم فعن ابي الطيب يعقوب بن ياسر ان المتوكل كان يقول لحاشيته وخواصه ويحكم لقد اعياني امر ابن الرضا[١] وجهدت ان يشرب معي وينادمني فامتنع وجهدت ان اجد فرصة في هذا المعنى فلم اجدها، فقال بعض من حضر: ان لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذا الحال فهذا اخوه موسى(كذا وكذا ووصفه بالقبائح) فاحضره واشهره فان الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرق الناس بينه وبين اخيه ومن عرفه بشخصه قد يتهم اخاه بمثل فعاله. فامر المتوكل بالكتابة اليه واشخاصه معززاً مكرماً وعزم ان يتلقاه بنفسه وجميع بني هاشم والقواد وسائر الناس ليصنع منه اماماً من ائمة اهل البيت (ع) ، فلما وافى موسى بن محمد الجواد (ع) تلقاه اخوه الهادي (ع) فسلم عليه وقال له: ان هذا الرجل قد احضرك ليهتكك ويضع منك، فلا تقر له انك شربت نبيذاً قط واتق الله يا اخي ان ترتكب محضوراً فقال موسى وانما دعاني لهذا فما حيلتي فكرر عليه ابو الحسن مقالته الاولى ولكن موسى لم يستجب لطلبه فلما راى الخلاف منه قال له: ان المجلس الذي تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه انت واياه ابداً، وكان كما قال الامام حتى قتله المتوكل بعد ثلاث سنين حيث لم يجتمعا على مجلس شراب ابداً[٢] وهكذا حاولوا استدراج جعفر اخي الامام العسكري (ع) الى بلاط السلطة لينفر منهم الناس.

٦- نفي وراثتهم لرسول الله (ص) وبالتالي عدم استحقاقهم لمقامه الشريف كاشاعتهم ان ابن البنت ليس ابناً وهم ابناء فاطمة الزهراءϑ فلا يعدون ابناءاً لرسول الله (ص) وقد تقدمت ص ١٤٣ الاشارة الى ذلك.

(الثاني): عقد مجالس المناظرة والسؤال بمختلف الاديان والمذاهب والعلوم واللغات التي كانت تستهدف من ورائها اسقاط عقيدة الشيعة فيهم بانهم اعلم البشر جميعاً وانهم معصومون من الخطأ وبهذه المناظرات والاسئلة المتشعبة لابد - لغير المعصوم - ان يتعثّر في الاجابة ولو على سؤال واحد وبذلك تتحقق امنية الحكام في ان ينظر الناس اليهم على انهم فقهاء وعلماء كغيرهم لا كما يدعيه شيعتهم لهم من الاعلمية والعصمة والاحاطة بكل تفاصيل الشريعة فضلاً

---

(١) يعني الامام الهادي Δ وكان يعرف هو وابوه وابنه بابن الرضا .

(٢) السيرة: ٤٧٣/٢.

عن ادعائهم الاعلمية لهم في جميع الشؤون وهم (ع) بانفسهم صرحوا بذلك كقول امير المؤمنين (ع) «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكمة» وقوله (ع) «اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا ان رفعنا الله ووضعهم واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويُستجلى العمى، ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم».

وقال زين العابدين علي بن الحسين (ع) «وذهب آخرون الى التقصير في امرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتاولوا بارائهم واتهموا مأثور الخبر فينا» الى ان قال «فالى من يفزع خلف هذه الامة وقد درست اعلام هذه الامة. ودانت الامة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات» فمن الموثوق به على ابلاغ الحجة وتأويل الحكم الا اعدال الكتاب وابناء ائمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة هل تعرفونهم او تجدونهم الا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»[1] لكن الائمة(ع) كانوا يخرجون من تلك الاختبارات بأعلى صور النجاح واذا كنّا نجد لذلك تفسيرا طبيعياً في مثل الامام الصادقB فيقال انه رجل بذل جهداً فائقاً فألمّ بالعلوم وقد تجاوز عمره الستين فما رأيك في مثل الامام الجوادB وهو ابن ثمان سنين فأنّى له في ضوء القوانين الطبيعية أن يجيب عن كل ما يسأله عنه كبار الفقهاء والعلماء بل يأخذ هوB زمام المبادرة ويوجّه اليهم اسئلة يعجزون عن إجابتها، فهل لذلك تفسير غير ما نعتقده نحن الامامية فيهم من حيازة الكمالات كلها في اشخاصهم المقدسة وأن علمهم لدنيٌّ ينكته الله تبارك وتعالى في قلوبهم لوجود الاستعداد والقابلية فيهم. وتوجد جملة من هذه المناظرات في كتاب (تحف العقول) لابن شعبة الحرّاني، وسجل الطبرسي عدداً ضخماً منها في كتاب (الاحتجاج) وكذا كتاب الحجة من اصول الكافي.

---

(١) راجع نصوص الاقوال في المراجعات/ ٢٦ – ٢٩.

وقد حاولت الحكومات بدلاً من الاصطدام مع الائمة(ع) وما في هذا من اداء الثمن غالياً من سمعتها وكرامتها ووجودها ارتأت أن تسلك طريقاً يسيراً وهو تعريض الائمة(ع) لشيء من الامتحان في بعض ما يملكه العصر من معارف وبخاصة ما يتصل منها بغوامض الفقه والتشريع ليسقط دعواها في الاعلمية من الاساس والى شيء من الامتحان في الاخلاق والسلوك ليسقط ادعاءهم العصمة خصوصاً مع الائمة(ع) الذين تولوا هذا المنصب الآلهي وهم دون سن البلوغ كالجواد والهادي H وعمر كل منهما ثمان سنين.

ولو كان هؤلاء الائمة(ع)في زوايا او تكايا وكانوا محجوبين عن الرأي العام كما هو الشأن في أئمة الاسماعيلية او بعض الفرق الباطنية لكان لاضفاء الغموض والمناقبية على سلوكهم من الاتباع مجال، ولكن ما تصنع السلطة وهم مصرحون بأفكارهم وسلوكهم وواقعهم تجاه السلطة وغيرها من خصومهم في الفكر والتاريخ حافل بمواقف السلطة منهم ومحاربتها لافكارهم وتعريضهم لمختلف وسائل الاغراء والاختبار ومع ذلك فقد حفل التاريخ بنتائج اختباراتهم المشرفة وسجّلها بإكبار»[١].

وأذكر بعض الشواهد على ذلك:

١- قال ابو حنيفة: ما رأيت افقه من جعفر بن محمد لقد قال لي المنصور: إن الناس قد افتتنوا بجعفر بن محمد فهيئ له من المسائل الشداد واسأله عنها فهيأتُ له اربعين مسألة وكان المنصور في الحيرة قد أعدَّ مجلساً حشد فيه الوجوه والأعيان وبعث اليَّ فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه فلما بصرتُ به دخلتني من الهيبة ما لم يدخلني من المنصور فسلمّتُ عليه وجلست فقال لي المنصور يا ابا حنيفة ألق على ابي عبد الله مسائلك فجعلت القي عليه مسألة مسألة وهو يقول في جوابها: انتم تقولون: كذا، وأهل المدينة يقولون: كذا ونحن نقول: كذا ، فربما خالفنا وربما خالفهم وأحياناً يوافقنا أو يوافقهم حتى اتيتُ على الاربعين مسألة ما أخلّ منها بمسألة واحدة، ثم قال ابو حنيفة: اعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس[٢].

---

(١) الاصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم بتصرف يسير.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٢٤٧.

٢- قدم سليمان المروزي متكلم خراسان على المأمون فأكرمه ووصله ثم قال له: ان ابن عمي علي بن موسى الرضاB قدم عليَّ من الحجاز - يحب الكلام - واصحابه فعليك أن تصير الينا يوم التروية لمناظرته ، فقال سليمان: يا أمير المؤمنين إني أكره أن أسأل مثله في مجلسك في جماعة من بني هاشم فينتقص عند القوم اذا كلمني ولا يجوز الاستقصاء عليه. قال المأمون: إنما وجّهت اليك لمعرفتي بقوتك وليس مرادي الا أن تقطعه عن حجة واحدة فقط[١]، فقال سليمان: حسبك يا امير المؤمنين: إجمع بيني وبينه وخلّني وإيّاه ، فوجّه المأمون الى الرضاB فقال له: إنه قدم علينا رجل من اهل مرو وهو واحد خراسان من اصحاب الكلام فإن خفّ عليك أن تتجشم المصير الينا فعلت فحضر الامام وجرى بينه وبين سليمان حوار انتقل من علم لآخر وفي كل منها يبين انقطاع سليمان واعترافه بصحة ما يقول الامامB[٢].

(الثالث): اشخاصهم(ع) من مركز إقامتهم في المدينة المنورة الى عاصمة الدولة والاحتفاظ بهم(ع) قريباً من السلطة حتى استشهادهم(ع) وهم يريدون بذلك تحقيق عدة امور:

١- فصل الامام(ع) عن قواعده المهمة من العلماء والفقهاء والوجهاء من ذريّات المهاجرين والانصار وبني هاشم في المدينة المنورة ويمثلون قوة عظيمة للامامB فيحرمون الامامB من هذه القوة ويحرمون الأمة من توجيهات الامام وتعاليمه وقيادتهB، لأن هؤلاء المحيطين بالامام كانوا من الفقهاء والعلماء والمتكلمين الذين يبلّغون رسالات ربهم ولا يخشون فيه منهم أحداً .

٢- ان وجود الامامB في المدينة المنورة يعطيه حصانة اجتماعية إضافية لما للمدينة من قدسية وهيبة في نفوس المسلمين بحيث ان حادثاً بسيطاً يقع فيها يمكن ان يكون استفزازاً لمشاعر كل المسلمين فكيف بمن يمسّ ابن رسول الله(ص) بسوء.

٣- مراقبة تحركات الامامB عن قرب فقد كانت تأتي الوشايات المستمرة لملوك الدولة عن نشاطات الائمة(ع) لكنهم عند كبس دار الامام وتفتيشها لا يجدون ما يدل على ذلك فاقتضى الأمر ضبط تحركاته عن كثب.

---

(١) لاحظ المبتغى الحقيقي لاولئك الطواغيت.

(٢) الاحتجاج ٢/ ١٧٨ - ١٨٤.

٤- إعطاء المشروعية لسلطتهم فإن الملوك حينما يستدعون الائمة(ع) كانوا يدخلونهم معهم في بلاطهم بل ان المأمون أعطى ولاية العهد للامام الرضاB وزوّج ابنته ام الفضل من الامام الجوادB وكان الامام الهاديB يحضر موائد العباسيين ويجلس مجالسهم ويخرج في مواكبهم[١] ، لكن ينبغي الالتفات الى ان الائمة(ع) كانوا يشعرون الامة بأن تصرفاتهم هذه لا تعني الموافقة على اعمال السلطة ومشروعيتها وكان الملوك يفهمون ذلك لذلك لم يكتفوا بها وانتهوا الى القضاء على حياة الامامB. وتجد اكثر قبورهم في مناطق بعيدة عن وطن جدهم رسول الله(ص) فالامام الحسينB في كربلاء والامام الكاظم (ع) وحفيده الجواد(ع) في بغداد والامام الرضا (ع) في طوس والهادي والعسكري H في سامراء مما يعني انهم شُرّدوا وأبعدوا عن ديارهم حتى استشهدوا.

وكان الائمة (ع) يعرفون النوايا الشريرة للحكام في استدعائهم لذا كانوا يرفضون بشدة ويعرفون أن في تركهم لمدينة جدّهم (ص) خسارة للأمة وحرمان لهم من العمل الاسلامي المثمر الواسع وأنّ نهايتهم ستكون بهذه الرحلة وأن سفرهم هذا بداية النهاية بالنسبة لهم ولكن الحاح السلطة وتهديدها لم يترك لهم الخيار، ففي كتاب عيون أخبار الرضا للصدوق عن السجستاني قال: لما ورد البريد باشخاص الرضا (ع) الى خراسان –بحجة تسليمه ولاية العهد – كنت انا بالمدينة فدخل المسجد ليودع رسول الله(ص) فكان يقف على القبر مودعاً باكياً ويخرج ثم يرجع اليه، فعل ذلك مراراً ويعلو منه البكاء والنحيب فتقدمت اليه وسلمت عليه وهنأته فردّ عليّ السلام وقال: ذرني فاني اخرج من جوار جدي رسول الله(ص) وأموت في غربة[٢] وفي مكة ودّع البيت وحجّ وعدل الى المقام فصلى عنده وكان معه ابنه الامام الجواد (ع) على عتق احد غلمانه يطوف به فنزل عن عنقه وجلس في حجر ابراهيم وأطال وبان على وجهه الغم فجاءه الرضا (ع) وقال له: قم يا بني ، قال: وكيف اقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لا رجوع بعده[٣].

---

(١) تاريخ الغيبة الصغرى / ١٤٢.

(٢) السيرة: ٢ / ٣٨٤.

(٣) السيرة: ٢ / ٤٤٣.

وقد يكتفي الحكام باستدعاء الامام (ع) الى عاصمة الملك لفترة ما واعادته الى بلده كما حصل للامام السجاد (ع) والباقر (ع) والصادق (ع) [١].

(الرابع): السجن لمنعه (ع) من ممارسة نشاطاته وفصله عن شيعته وعن عموم الامة والضغط عليه حتى يحقق للسلطة ما تريد وقد تعرّض الائمة (ع) للسجن ابتداءً من الامام السجاد (ع) [٢] وتفاوتت فترات السجن وكان اشق حبس واطوله ما تعرض له الامام الكاظم (ع) حيث سجن لاكثر من عشر سنين وكان أحدها في طامورة ظلماء لا يعرف فيها الليل من النهار حتى انه كان يدعو (يا مخلّص اللبن من بين فرث ودم ، يا مخلص الجنين من بين مشيمة ورحم، خلّصني من حبس هارون) وما تخلص (ع) الاّ بالشهادة[٣].

وتعرّض عددٌ من الائمة (ع) للإقامة الجبرية خصوصاً الامام الحسن العسكري [٤].

(الخامس): القضاء على حياة الامام (ع) وقتله للتخلص من خطره من وجهة نظرهم المادية الشيطانية كآخر حل يلجأون اليه لانهم كانوا يخشون غضبة الجماهير وهم مهما أخفوا صلتهم بمقتل الامام (ع) الا ان الجماهير كانت توجّه اصابع الاتهام للسلطة مباشرة وقد عزّز الائمة (ع) هذا الشعور بقولهم: «ما منّا الا مقتول او مسموم» وقد تعددّت اشكال القتل واساليبه فمن القتل بالسيف الى سقي السم وتكفي مراجعة واحدة لكتاب (مقاتل الطالبيين) لابي الفرج الاصفهاني لتطّلع على كثرة من قتل منهم ومن ذويهم وبشاعة طرق القتل.

(السادس): التدخل في مسألة تنصيب الامام اللاحق بعد استشهاد السابق لتحصيل عدة امور:

١ ــ تشتيت امر الشيعة بتكثير الائمة بين محق ومبطل وخلق المنازعات بينهم.

---

(١) لاحظ: استدعاء هشام بن عبد الملك للامام الباقر Δ من المدينة الى الشام (روضة الكافي، الحديث ٩٤، ص ١٠٥) وأبي العباس السفاح للامام الصادق Δ من المدينة الى الكوفة (الروضة، حديث ٤٢١ ، ص ٢٣٤) وأبي جعفر المنصور للامام الصادق Δ من المدينة الى الحيرة (الروضة ح ٤٩، ص ٧٣) .

(٢) روضة الكافي.

(٣) السيرة ٢ / ٣٤٨.

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى: السيرة ٥٠٧/٢.

٢ ــ تشويه مكانة هذا المنصب الآلهي العظيم بتصدي غير الكفوئين اليه فان الذي تتعامل معه السلطة وترشحه لابد ان يكون من أهل الدنيا وطلابها.

٣ ــ التدخل في امر الشيعة من خلال التحكم بإمامها وتوجيهه بما يناسب مصالحهم ورغباتهم، لكن الائمة (ع) كانوا ملتفتين طبعاً لهذه المؤامرة فاتخذوا كل التدابير اللازمة لافشالها وقد تقدم الكلام في ذلك[١] وقد فشلت السلطات فعلاً في تلك المحاولات رغم انها تعلم مسبقاً أن لا جدوى من مسعاها إذ لما توفي الامام العسكري (ع) جاء جعفر الى ابن خاقان وزير المعتمد العباسي وقال له: اجعل لي مرتبة ابي وأخي واوصل اليك في كل سنة عشرين الف دينار فزبره أبي وأسمعه ما كره وقال له: يا احمق ان السلطان اعزّه الله جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أن أباك وأخاك إمامان ليردّهم عن ذلك فلم يقدر عليه وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك، فان كنت عند شيعة ابيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك الى سلطان يعطيك مراتبهما ولا غير سلطان ، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها[٢].

---

(١) ص/ ١٦٤.

(٢) السيرة: ٢ / ٥٣١.

تنبيه: هذا الموضوع مهم جداً خصوصاً في عالم اليوم الذي غابت فيه الحكمة والتعقل واصبح العنف ولغة السلاح الذي يفترض ان يكون آخر العلاج او ليس علاجاً أصلاً أصبح هو اداة التعامل وتحوّل الحوار والجدال بالحكمة والموعظة الحسنة الى حرب تهلك الحرث والنسل واختلطت الاوراق على الناس بمن فيهم المسلمون ولم يعودوا يعرفون متى تستخدم القوة وفي أي مورد ومن أجل ماذا فتخبطوا وهلكوا وأهلكوا وتبادلوا التهم الى حد تكفير بعضهم بعضاً مما ولّد حاجة اكيدة للبحث في مصادر التشريع حتى تؤسس (فقه استخدام القوة في مدرسة أهل البيت(ع)) ليضع النقاط على كل حروف هذه المسألة ويجيب عن تساؤلاتها وإشكالاتها ويحل متناقضاتها. وقد فكّرت في إعادة صياغة هذا الفصل بما يلائم هذا (الفقه) - الذي هو أحد تطبيقات الفقه الاجتماعي الذي شرعت في بيان اسسه العامة ومعالمه[١] - الا انني وجدت ان هذا التغيير سيفقدنا جزءاً من اراء هذين السيدين الشهيدين الصدرين الاول والثاني اللذين هما من اقطاب الحركة الاسلامية خصوصاً وان اراء السيد الشهيد الثاني قد كتبت كتعليقات على الكتابة الاصلية التي كتبتها شرحاً لبحث السيد الشهيد الاول(قده) في منتصف الثمانينات فأي تغيير فيها يعني عدم بقاء موضوع تلك التعليقات، لذا آثرت إبقاء البحث الأصلي على ما هو عليه الا بشيء طفيف وهو بذلك يغطي جانباً مهماً من هذا المشروع الكبير ويعرض توجهات هذين العلمين الى ان يتفضلّ الله تبارك وتعالى باتمام هذا الفقه بإذنه تبارك وتعالى.

وقبل أن أتعرض لشرح كلام السيد الشهيد الاول (قده) في هذا البحث أودّ أن أنقل كلاماً له (قده) مرتبطاً بالمقام ذكره في موضع[٢] آخر. قال (قده): «حاول بعض المحققين التمييز بين نحوين من التشيع أحدهما التشيع الروحي[٣] والآخر التشيع السياسي ، واعتقد هذا البعض ان

---

(١) طبع كتاب بعنوان: (الاسس العامة للفقه الاجتماعي).

(٢) مقدمة كتاب (تاريخ الامامية وأسلافهم من الشيعة) للدكتور عبد الله فياض.

(٣) علّق سيدنا الاستاذ Π بقوله: «هذه العبارة غير مستساغة فإن المراد به: العقيدة والعاطفة التي تكون الى جانبها، فمن الافضل أن يسمى (التشيع العقائدي) او العقيدي، اما استعمال لفظة الروح فيراد به معنى آخر وكذلك تسمية رجال الدين بالروحانيين ، ان علم الروح علم آخر يشمل عدة حقول: منها: استحضار الارواح

التشيع الروحي اقدم عهداً من التشيع السياسي وأن ائمة الشيعة الامامية من ابناء الحسين (ع) قد اعتزلوا بعد مذبحة كربلاء السياسة وانصرفوا الى الارشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا.

والحقيقة ان التشيع لم يكن في يومٍ من الأيام منذ ولادته مجرد اتجاه روحي بحت وإنما ولد التشيع في احضان الاسلام بوصفه اطروحة مواصلة الامام علي (ع) لقيادة النبي(ص) الفكرية وقيادته السياسية للدعوة على السواء ولم يكن بالامكان فصل الجانب الروحي عن الجانب السياسي في اطروحة التشيع تبعاً لعدم انفصال احدهما عن الآخر في الاسلام نفسه.

فالتشيع إذن لا يمكن ان يتجزأ الا اذا فقد معناه كأطروحة لحماية مستقبل الدعوة بعد النبي(ص) وهو مستقبل بحاجة الى المرجعية الفكرية والزعامة السياسية للتجربة الاسلامية[١] معاً، وقد كان هناك ولاء واسع النطاق للامام علي في صفوف المسلمين باعتباره الشخص الجدير بمواصلة دور الخلفاء الثلاثة[٢] في الحكم ، وهذا الولاء هو الذي جاء به الى السلطة عقيب مقتل عثمان، ولكن هذا الولاء ليس تشيعاً روحياً ولا سياسياً[٣] وإنما التشيع الروحي

والتنويم المغناطيسي واستحضار الجن والمجيء بالخوارق والكرامات وكل هذا غير مراد في الاصطلاح المتداول.

(١) قال Π: سبقت مناقشته كاصطلاح.

(٢) قال Π: هذه العبارة تحتاج الى إعادة نظر من أجل اكثر من جهة لا تخفى عليكم.

(٣) قال Π: يبدو ان التشيع على اقسام مختلفة ومتباينة !!! وهذا الاعتراف من (شيعي) نِعمَ المستمسك للاعداء للنقد والتجريح من اجل ان الشيعة مختلفون متناحرون داخلياً الخ الخ.

والذي أعرفه، حسب فهمي القاصر ان التشيع ليس الا الاعتراف بإمامة الامام امير المؤمنين Δ بعد النبي 2 فإن انضم اليه الاعتراف بإمامة أولاده المعصومين Φ كان هو التشيع الحق، والتشيع بهذا الشكل والفهم منقسم الى عدة اقسام عقائدية او فكرية الى أن يصل الأمر الى الاعتراف باثني عشر إماماً. وقد انقرضت اغلب الفرق الاخرى وستنقرض الفرق الأخرى المبطلة ايضا عاجلاً او آجلاً.

الا ان هذا الانقسام ليس محل الحديث فعلاً وإنما نقطة الحديث هو انقسامه الى (روحي) وسياسي.

يا مولاي: ان التشيع واحد منذ زمن النبي 2 والى يوم القيامة يقترن فيه دائماً المعنى الفكري بالمعنى العملي فهو – باصطلاحكم – روحي وسياسي معاً. غير ان القناعات من الناحية التطبيقية تختلف ، فان الأصل في الدين هو القيام في وجه الظلم والظالمين الا اذا دلّ الدليل على خلافه، والمحك في ذلك من الناحية الدينية هو حكم التقية، فبينما كان الائمة المعصومون Φ من اولاد الحسين Δ يؤكدون على التقية مراراً

والسياسي داخل إطاره فلا يمكن ان نعتبره مثالاً على التشيع المجزأ كما أن الامام كان يتمتع بولاء روحي وفكري من عدد من كبار الصحابة في عهد أبي بكر وعمر من قبيل سلمان وأبي ذر وعمار وغيرهم ولكن هذا لا يعني ايضاً تشيعاً روحياً منفصلاً عن الجانب السياسي بل إنه تعبير عن إيمان اولئك الصحابة بقيادة الامام علي (ع) للدعوة بعد وفاة النبي(ص) فكرياً وسياسياً وقد انعكس إيمانهم بالجانب الفكري من هذه القيادة بالولاء الروحي المتقدم وانعكس

وتكراراً كان الثوار من اولاد الحسن Δ ، يضربون بهذه التعاليم عرض الجدار عن عذر او عن غير عذر – الله أعلم – وعن مصلحة دينية تارة ومصلحة دنيوية أخرى، على اختلاف اشخاصهم واتجاهاتهم، ومن هنا كان الاغلب على جانب الحسنيين جانب التحرك السياسي مع العلم ان اولاد الحسنΔ ينطوون ضمناً على الجانب الفكري بطبيعة الحال وهو الذي حداهم على الثورة – بغضّ النظر عن التقية – كما أن المعصومينΦ يحتوون ضمناً على الجانب السياسي وما اكثر ما احتوى هذا البحث على صور منه ، حتى انهم ليعرضون انفسهم للقتل لكن لا عن طريق جمع الجيوش وحمل السلاح.

هذا وهناك تفريق آخر بين الشكلين من المواقف الشيعية – لو صح انقسامها – وهو المصلحة الشخصية ، فمن فضل مصلحته كان ساكتاً وساكناً ، ومن فضّل المصلحة العامة – عند صحتها – كان متحركاً تحركاً اجتماعياً.

أما هذا القسم (الثالث !!) الذي عبّرت عنه بأنه ليس تشيعاً روحياً ولا سياسياً ، فإنه ناتج – حسب فهمي القاصر – بعد تسليم هذه الجهة نظرياً: وهي: ان التشيع واحد لا يختلف وان الاختلاف عملي صرف، فانه ناتج عن شعور مجتمع صدر الاسلام بعد نهاية عصر عثمان بالحرمان من الخلافة الحقيقية والحكم العادل، هذا الشعور الذي خلّفه الشعور بالمظالم الكثيرة التي خلفها حكم الذين سبقوا أمير المؤمنينΔ وهذا الشعور هو الناتج من فشل هذا الحكم (بالتمحيص) بعد أن عاش تجربته الطويلة خلال حوالي العشرين عاماً.

وعندئذٍ أجمع الناس على مبايعة امير المؤمنينΔ لوجوه من القناعة:

منها: انه هو المستحق لها رأساً ومن اول الأمر.

ومنها: انه خير من بقي في المجتمع بعد ذهاب المشايخ الثلاث.

ومنها: الأمل في عدله ورفع الظلم الحاصل من سابقيه.

ومنها: الأمل بالتخلص من بعض (الامارات) والشخصيات التي كانت تكبر تدريجياً بفعل عثمان وغيره على غير الحق ممن لا يخفى عنكم عدٌ منهم فلعل امير المؤمنينΔ يستطيع تصفيتهم خلال خلافته الى غير ذلك من التعلات ، وإنما اسميتها بالتعلات لانها جميعاً تحتوي على رتوش حتى المسلك الاول اذا كان الفرد الشيعي يرى فرقاً بين الامام قبل مبايعته وهو بعد المبايعة مع العلم انه ولي الله وحجته على الخلق اجمعين وعلى طول الخط.

إيمانهم بالجانب السياسي منها بمعارضتهم لخلافة ابي بكر وللاتجاه الذي أدى الى صرف السلطة عن الامام الى غيره[١].

ولم تنشأ في الواقع[٢] النظرة التجزيئية الى التشيع الروحي بصورة منفصلة عن التشيع السياسي ولم تولد في ذهن الانسان الشيعي الا بعد أن استسلم للواقع وانطفأت جذوة التشيع في نفسه كصيغة محددة لمواصلة القيادة الاسلامية في بناء الأمة وإنجاز عملية التغيير الكبيرة التي

---

(١) سُئل الامام الصادقΔ: هل انكر أحد من اصحاب رسول الله 2 خلافة ابي بكر، قال: نعم انكرها اثنا عشر رجلاً ستة من المهاجرين وستة من الانصار، فمن المهاجرين: سلمان الفارسي والمقداد بن الاسود الكندي وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وابو بريدة الاسلمي وخالد بن سعيد بن العاص الاموي، ومن الانصار: ابو ايوب الانصاري وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وعثمان وسهل ابنا حنيف وابو الهيثم بن التيّهان، وقد نقل في الاحتجاج للطبرسي (١ / ٩٧ – ١٠٤) نصوص كلماتهم بعد ان ذكر تفصيل لقائمهم بالامامΔ واستشارته في تصدّيهم للقوم والامام يصبّرهم ويعلمهم بما أخبره رسول الله 2 من غدر القوم، لكنهΔ نصحهم بوعظهم لتأكيد الحجة عليهم ومما قال سلمان K: «يا ابا بكر الى من تسند امرك اذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفزع اذا سئلت عما لا تعلمه وما عذرك في تقدمك على من هو اعلم منك واقرب الى رسول الله 2 وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ومن قدّمه النبي2 في حياته واوصاكم به عند وفاته، فنبذتم قوله وتناسيتم وصيته واخلفتم الوعد ونقضتم العهد وحللتم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية اسامة بن زيد...».

ومما قال أبو ذر Λ: «لقد علمتم وعلم خياركم ان رسول الله 2 قال: (الأمر بعدي لعلي ثم لابنيّ الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي) فاطرحتم قول نبيكم وتناسيتم ما عهد به اليكم فاطعتم الدنيا الفانية ونسيتم الآخرة الباقية».

ومما قال عمار بن ياسر(رض): «يا معاشر قريش ويا معاشر المسلمين ان كنتم علمتم وإلا فاعلموا إن أهل بيت نبيكم اولى به وأحق بارثه وأقوم بامور الدين وآمن على المؤمنين واحفظ لملته وانصح لأمته فمروا صاحبكم فليرد الحق الى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف امركم ويظهر شتاتكم وتعظم الفتنة بكم وتختلفون فيما بينكم ويطمع فيكم عدوكم».

(٢) قالΠ: «لم تنشأ هذه النظرة على الاطلاق وإن لاحظها المؤرخون المتدينون، فانها غير موجودة عند علمائنا ولا عند عوامنا كما هو واضح لديكم، وإنما – كما قلنا – إنما انصرف الشيعة عن العمل السياسي اما أخذاً بالتقية او أخذاً بالمصلحة الشخصية وحب الدنيا او يأساً من النتيجة بعد استعظام القوى المعادية ونحوها، وليس هذا من الانقسام في التشيع على الاطلاق.

بدأها الرسول(ص) وتحولت الى مجرد عقيدة يطوي الانسان عليها قلبه ويستمد منها سلوته وأمله.

وهنا نصل الى ما يقال من ان أئمة أهل البيت(ع) من أبناء الحسين (ع) اعتزلوا السياسة وانقطعوا عن الدنيا فتلاحظ ان التشيع بعد أن فهمناه كصيغة لمواصلة القيادة الاسلامية، والقيادة الاسلامية لا تعني الا ممارسة عملية التغيير التي بدأها الرسول الكريم(ص) لتكميل بناء الأمة على أساس الاسلام فليس من الممكن ان نتصور تنازل الائمة (ع) عن الجانب السياسي الا اذا تنازلوا عن التشيع[١].

غير ان الذي ساعد على تصور اعتزال الائمة (ع) وتخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم ما بدا من عدم إقدامهم على عمل مسلح ضد الحاكم مع اعطاء الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقاً لا ينطبق الا على عمل مسلح من هذا القبيل، ولدينا نصوص عديدة عن الائمة (ع) توضح ان امام الوقت دائماً كان مستعداً لخوض عمل مسلح إذا وجدت لديه القناعة بوجود الانصار والقدرة على تحقيق الاهداف الاسلامية من وراء ذلك العمل المسلح[٢].

ونحن اذا تتبعنا سير الحركة الشيعية نلاحظ ان القيادة الشيعية المتمثلة في أئمة أهل البيت(ع) كانت تؤمن بأن تسلّم السلطة وحده لا يكفي ولا يمكّن من تحقيق عملية التغيير

---

(١) قال∏: «هذا صحيح ما لم نلحظ حكم التقية أو – حسب التعبير الآخر – الهدنة الى حين ظهور المهدي Δ ، وهو نفس معنى التقية الممتد الى ذلك العصر».

(٢) من هذه النصوص ما ورد ان سدير الصيرفي دخل على الامام الصادقΔ فقال: يا ابا عبد الله ما يسعُك القعود ، فقالΔ: ولِمَ يا سدير، فقال: لكثرة مواليك وشيعتك وانصارك ، فقالΔ: يا سدير وكم عسى أن يكونوا؟ قال: مائة الف فقال الامامΔ مستغرباً: مئة الف، قال: نعم ومائتي الف، فقالΔ له: لو كان عندي عدد اصحاب النبي2 في بدر لنهضت (سيرة الائمة الاثني عشر للحسني: ٢ / ٢٤٣).

ولقي عباد البصري علي بن الحسينΔ في طريق مكة فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، واقبلت على الحج ولينه، وإن الله عز وجل يقول: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وامولهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً» فقال الامامΔ: أتم الآية ، فقال: «التائبون العابدون الحامدون السائحون» الى قوله تعالى: «وبشر المؤمنين» فقال الامامΔ: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم افضل من الحج(الاحتجاج: ٢/ ٤٤) (وسائل الشيعة، مج١١،كتاب الجهاد، باب ١٢، حديث ٣).

إسلامياً ما لم تكن هذه السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها في الحكم وتعمل في سبيل حمايتها وتفسير مواقفها للجماهير وتصمد في وجه الاعاصير(١).

---

(١) وكان الائمةΦ يشكون الى الخاصة من اصحابهم عدم ارتفاع المستوى الايماني وروح التضحية لدى الموالين لهم الى الدرجة المطلوبة. فعن أبي جعفرΔ قال: قال أبي يوماً - وعنده اصحابه -: من منكم تطيب نفسه أن يأخذ جمرة في كفه فيمسكها حتى تطفأ؟ قال: فكاع الناس كلهم ونكلوا ، فقمت وقلت: يا ابه أتأمر أن أفعل؟ فقال: ليس إياك عنيت إنما انت مني وأنا منك ، بل إياهم أردتُ، قال: وكررّها ثلاثاً ، ثم قال: ما أكثر الوصف وأقل الفعل إن أهل الفعل قليل إن أهل الفعل قليل، ألا وإنّا لنعرف أهل الفعل والوصف معاً وما كان هذا منا تعامياً عليكم بل لنبلو أخباركم ونكتب آثاركم فقال: والله لكأنما مادت بهم الارض حياءً مما قال حتى إني لأنظر الى الرجل منهم يرفض عرقاً ما يرفع عينيه من الارض فلما رأى ذلك منهم قال: رحمكم الله فما اردت الا خيرا إن الجنة درجات فدرجة اهل الفعل لا يدركها أحد من أهل القول ودرجة اهل القول لا يدركها غيرهم، قال: فوالله لكأنما نشطوا من عقال (روضة الكافي ح ٢٨٩ ص ١٩٠).

وعن موسى بن بكر الواسطي قال: قال لي ابو الحسنΔ: لو ميّزتُ شيعتي لم أجدهم الا واصفة ولو امتحنتهم لما وجدتهم الا مرتدين ولو تمحصتهم لما خلص من الالف واحد ولو غربلتهم غربلة لم يبق منهم الا ما كان لي انهم طالما اتكوا على الارائك ، فقالوا: نحن شيعة علي إنما شيعة علي من صدّق قوله وفعله (روضة الكافي ح ٢٩٠ ص ١٩١).

وكانوا يشيرون الى لزوم التضحية بكل شيء حتى الروح في سبيل الثبات على هذا الامر واعزازه،فعن شعيب العقرقوفي قال: قلت لابي عبد اللهΔ شيء يروى عن ابي ذر (رض) انه كان يقول ثلاث يبغضها الناس وانا احبها ، احب الموت واحب الفقر واحب البلاء؟ فقال: إن هذا ليس على ما يروون إنما عنى الموت في طاعة الله احبّ اليّ من الحياة في معصية والبلاء في طاعة الله احبّ اليّ من الصحة في معصية الله والفقر في طاعة الله احبّ اليّ من الغنى في معصية الله(روضة الكافي ح ٢٧٩ ص١٨٦).

وعن ابان بن تغلب وعدة قالوا: كنّا عند ابي عبد اللهΔ جلوساً فقالΔ: لا يستحق عبدٌ حقيقة الايمان حتى يكون الموت أحبّ اليه من الحياة ويكون المرض احبّ اليه من الصحة ويكون الفقر احبّ اليه من الغنى فانتم كذا فقالوا: لا والله جعلنا الله فداك، وسقط في ايديهم ووقع اليأس في قلوبهم فلما رأى ما دخلهم من ذلك قال: أيسرّ أحدكم أنه عمّر ما عمّر ثم يموت على غير هذا الامر او يموت على ما هو عليه ؟ قالوا: بل يموت على ما هو عليه الساعة، قال: فأرى الموت احبّ اليكم من الحياة. ثم قال: أيسرّ احدكم إن بقي ما بقي لا يصيبه شيء من هذه الامراض والاوجاع حتى يموت على غير هذا الامر؟ قالوا: لا يا ابن رسول الله. قال:

وفي نصف القرن الاول بعد وفاة النبي(ص) كانت القيادة الشيعية بعد اقصائها عن الحكم تحاول باستمرار[١] استرجاع الحكم بالطرق التي تؤمن بها لأنها كانت تؤمن بوجود قواعد شعبية واعية أو في طريق التوعية من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان[٢].

فأرى المرض احبّ اليكم من الصحة ثم قال: أيسرّ أحدكم ان له ما طلعت عليه الشمس وهو على غير هذا الامر؟ قالوا: لا يا ابن رسول الله ، قال: فأرى الفقر احبّ اليكم من الغنى (الروضة ح٣٥٧ ص ٢١٠).

ولا يغفلون اثناء ذلك عن اختبار الدرجة التي وصلوا اليها كما في رواية ابي جعفرΔ المتقدمة عن ابيهΔ.

(١) قال السيد الشهيد الصدر الثاني Π: هذا لا دليل عليه وكذلك إيمانها بالقواعد الشعبية ما نقلته من الروايات التي تدل على قلة المخلصين الحقيقيين بين الشيعة ، ولعل ما في الكتاب ينطبق – احتمالاً – على الائمة الثلاثة الاوائل فقط.

(٢) بعد دفن الجسد الطاهر للرسول الكريم 2 وبلوغ نبأ غصب امير المؤمنينΔ حقه طاف Δ على المهاجرين والانصار يدعوهم الى نصرته ومساعدته في إرجاع حقه فاعتذروا اليه بعد الاقرار بصدقه بأنه قد مضت بيعتنا للرجل ولو ذكّرتنا قبل ذلك لثبتنا عليه فرد Δ عليهم: أكان يسعه ترك الجثمان الطاهر مسجى ويذهب للتنازع على حق مشروع له وثابت ولم يدُر في خلده مثل هذا التحول .

ثم احتجت الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء ϑ عليهم بما لا يُردّ فاعتذروا بأنهم لو سمعوا هذا الكلام من قبل لما عدلوا بزوجها أحداً ولما فرّطوا في حقه، ولم ينصر امير المؤمنينΔ الا عدد محدود لا يتجاوز عدد الاصابع وقد وصف Δ تلك الحالة في خطبته الشقشقية ومنها قوله: «فطفقت ارتأي بين أن أصول بيد جذّاء - لقلة ناصريه - او اصبر على طخية عمياء ... الخ» وقال Δ: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي ، فضننتُ بهم عن الموت واغضيتُ على القذى وشربتُ على الشجى وصبرت على أخذ الكَظم وعلى أمرّ من طعم العلقم» ، (نهج البلاغة، الخطبة ٢٦، ص ٦٨).

وعندما رشحه عمر كأحد الستة اصحاب الشورى لم يعارض ذلك رغم انه لا يراهم نظراءه او لهم أهلية ولاية امور المسلمين كما لهΔ وقد قال في خطبته الشقشقية: «فيا لله وللشورى ! متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى أقرنَ الى هذه النظائر !! لكني أسففتُ إذ اسفّوا وطرتُ إذ طاروا»، وهكذا كان امير المؤمنينΔ لا يترك فرصة لتسلم الحكم او للدعوة اليه دون أي يستغلها عند توفر ظروفها الموضوعية الكفيلة بانجاح تطبيق الشريعة الاسلامية وليس لأن فيه شهوة التسلط والامرة ويريد اشباعها لانها لا تساوي عنده قيمة نعله البالية - كما نقل عنه عبد الله بن العباس - بل لاحقاق الحق وإبطال الباطل وبعد أن تهيأت القواعد الشعبية المؤمنة بقيادته للأمة واندفاعها لبيعته لم يَرَ بدّاً من الاستجابة لها (لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر ولولا ما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا على كِظّة ظالم ولا سغب

ولكن بعد نصف قرن وبعدأن لم يبق من هذه القواعد الشعبية شيء مذكور ونشأت اجيال مائعة في ظل الانحراف لم يعد تسلّم الحركة الشيعية للسلطة محققاً للهدف الكبير لعدم وجود القواعد الشعبية المساندة بوعي وتضحية وامام هذا الواقع كان لابد من عملين (احدهما) العمل من أجل بناء هذه القواعد الشعبية الواعية التي تهيئ ارضية صالحة لتسلّم السلطة، (والآخر) تحريك ضمير الأمة الاسلامية وارادتها والاحتفاظ للضمير الاسلامي والارادة الاسلامية بدرجة من الحياة والصلابة تحصّن الأمة ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

والعمل الاول هو الذي مارسه الائمة (ع) بأنفسهم والعمل الثاني هو الذي مارسه ثائرون علويون كانوا يحاولون بتضحياتهم اليائسة أن يحافظوا على الضمير الاسلامي والارداة الاسلامية وكان الائمة (ع) يسندون المخلصين منهم[١].

مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولألفيتم دنياكم عندي أهون من عفطة عنز) ، وكذا فعل الامام الحسن المجتبى Δ بعد استشهاد ابيه Δ .

(١) يسندوهم مادياً برعاية عوائلهم على الاقل ففي الرواية عن الامام الصادقΔ انه ذكر عنده من خرج من آل محمد2، فقال: (لا ازال انا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددتُ أن الخارجي من آل محمد خرج وعليّ نفقة عياله) (وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الجهاد ، باب ١٣ حديث ١٢).

ويسندوهم معنوياً ببيان منزلتهم الرفيعة عند الله تعالى ووقوفهمΦ الى جانبهم وبشحذ هممهم واوضح اولئك زيد الشهيد بن الامام زين العابدينΔ، وقد نقل في المتن بعض كلمات الثناء عليه.

وروي ان الحسين بن علي صاحب فخ استشار الامام الكاظمΔ في الخروج فقال له: إنك مقتول فأجِدَّ الضراب فإن القوم فُسّاق يُظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً فإنّا لله وإنّا اليه راجعون ، وعند الله احتسبكم من عصبة (مقاتل الطالبيين / ص٢٩٨).

وعن النضر بن قرواش: انه أكرى جعفر بن محمدΔ من المدينة الى مكة فقال له: يا نضر اذا انتهيت الى فخ فأعلمني ، ففعل النضر ذلك وتنحى به عنه فقالΔ: ناولني الإداوة والركوة فتوضأ وصلى ثم ركب فسأله النضر عن فعله هذا، أهو من مناسك الحج، قال: لا ، ولكن يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة تسبق ارواحهم اجسادهم الى الجنة (مقاتل الطالبيين/ ص ٢٩٠) .

وعن الحسين بن زيد قال: إني لواقف بين القبر والمنبر إذ رأيت بني الحسن يُخرج بهم يراد بهم الربذة فأرسل اليّ جعفر بن محمد الصادقΔ، فقال: ما وراءك، قلت: رأيتُ بني الحسن يُخرج بهم في محامل فقال:

اجلس فجلست، قال: فدعا غلاماً له ثم دعا ربّه كثيراً ثم قال لغلامه: اذهب فاذا حُمِلوا فأتِ فأخبرني قال: فأتاه الرسول فقال: قد أقبل بهم فقام جعفرΔ فوقف وراء ستر شعر أبيض من ورائه فطلع بعبد الله بن الحسن وإبراهيم بن الحسن وجميع أهلهم فلما نظر جعفر بن محمدΔ هملت عيناه حتى جرت دموعه على لحيته ثم أقبل عليّ فقال: يا ابا عبد الله والله لا تحفظ لله حرمة بعد هذا والله ما وفت الانصار ولا ابناء الانصار لرسول الله 2 بما أعطوه من البيعة على العقبة ، ثم قال جعفرΔ: حدثني ابي عن أبيه عن جده عن علي بن ابي طالب ان النبي2 قال له: (خذ عليهم البيعة بالعقبة) فقال: كيف آأخذ عليهم ؟ قال2 خذ عليهم يبايعون الله ورسوله ان يطاع الله فلا يُعصى وعلى ان تمنعوا رسول الله وذريته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم ، قال: فوالله ما وفوا له حتى خرج من بين أظهرهم ثم لا أحد يمنع يد لامس، الله فاشدد وطأتك على الانصار (مقاتل الطالبيين/ ١٤٨).

وبعث الامام الصادقΔ رسالة مواساة وتسلية الى عبد الله المحض بن الحسن المثنى وأهله المسجونين معه جاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم الى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه: أما بعد فإن كنت قد تفردّت أنت وأهل بيتك ممن حمل معك بما أصابكم ، ما أنفردتُ بالحزن والغبطة والكآبة واليم وجع القلب دوني فلقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحر المصيبة مثل ما نالك ، ولكن رجعت الى ما امر الله جل جلاله به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (واصبر لحكم ربّك فانك باعيننا) وذكر له الآيات الكريمة التي تأمر بالصبر والحث عليه، ثم قال: واعلم أي عم وابن عم ان الله جل جلاله لم يبال بضرّ لوليّه ساعة قط ولا شيء احبّ اليه مما قاساه وليّه في هذه الدنيا من الضرّ والجهد واللأواء مع الصبر وأنه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ولولا ذلك ما كان اعداؤه يقتلون اولياءه ويخيفونهم ويمنعونهم وأعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ولولا ذلك ما قُتِل زكريا Δ واحتجب يحيى Δ ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا، ولولا ذلك ما قتل جدك علي بن ابي طالبΔ لما قام بأمر الله عز وجل ظلماً ، وعمل الحسن بن فاطمة Δ اضطهاداً وعدواناً ، ولولا ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾، (الزخرف:٣٣) ولولا ذلك لما قال الله في كتابه: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ﴾، (المؤمنون:٥٥- ٥٦)، ولولا ذلك لما جاء في الحديث: (أن الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولولا ذلك ما سقى كافراً شربة ماء)، ولولا ذلك لما جاء في الحديث: (لو أن مؤمناً على قلّة جبل لبعث الله له كافراً او منافقاً يؤذيه) ولولا ذلك لما جاء في الحديث: (ما من جرعتين احب الى الله عز وجل أن يجرعهما عبده المؤمن في الدنيا من جرعة غيظٍ كظم عليها، وجرعة حزنٍ عند مصيبةٍ صبر عليها بحسن عزاء واحتساب) ولولا ذلك لما كان اصحاب رسول الله 2 يدعون على من ظلمهم

بطول العمر وصحة البدن وكثرة المال والولد ، ولولا ذلك ما بلغنا ان رسول الله 2 كان اذا خص رجلاً بالترحم عليه والاستغفار استشهد.

فعليكم يا عم وابن عم وبني عمومتي واخوتي بالصبر والرضا والتسليم والتفويض الى الله عز وجل والرضا والصبر على قضائه والتمسك بطاعته والنزول عند امره، وافرغ الله علينا وعليكم الصبر وختم لنا ولكم بالأجر والسعادة وانقذكم وإيانا من كل هلكة بحوله وقوته إنه سميع قريب» (مراقد المعارف: ١٥/٢).

وسأل الامام الصادقΔ أحد الحاضرين في مجلسه عن بني الحسن فقال خيراً يريد أن يطمئن الامام فقالΔ: وأنى لهم بذلك وحدّث عن جدّه الحسينΔ انه قال لابنته فاطمة (وهي ام عبد الله المحض بن الحسن): يُقتل منك أو يصابُ منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الاولون ولا يدركهم الآخرون) وانه لم يبق من ولد فاطمة غيرهم (المصدر السابق).

وهنا يوجد استفسار حول وجود بعض الروايات التي تبيّن وجود خلاف بين الائمة E والثوار العلويين من أبناء الائمة E وان بني الحسنΔ يتهمون الائمة E بالحسد لهم او ان الثوار كانوا يدعون لأنفسهم ونحو ذلك وهي أخبار أكثرها ضعيف السند ولو سلمنا بصحة بعضها فانها تحمل على التقية لأن مصير هذه الثورات معروف سلفاً وهو الفشل (بالمقياس العسكري) وقتل الجميع ولم تكن السلطة تترك كل من له علاقة بالثوار او يؤيدهم لذا تظاهر الائمة E امام الناس بمعارضة الثورات – وبادلهم الثوار هذا التصنع – لإزالة الشبهة عنهم ولحمايتهمΦ بينما كانوا في الخفاء على اتصال دائم ولا يتحرك الثوار الا بموافقة إمام الوقت ومشورته او الاستناد الى التعاليم العامة للائمةΦ كقول الامام الحسينΔ: (من رأى منك سلطاناً جائراً ولم يغيّر عليه كان حقاً على الله ان يدخله مدخله) فانهم فهموا منها إذنا عاماً وكقول الامام السجادΔ: - لمن جاء يستأذنه في الخروج مع المختار الثقفي طلباً لثأر الحسينΔ وملاحقة قتلته -: لو كان عبداً حبشياً لوجب تأييده ونصرته أي لا تحتاج الى استئذان ومما يؤيد حسن نية اولئك الثوار ان الشاعر دعبل الخزاعي أنشد تائيته عند الامام الرضاΔ ومرّ بها على ذكر مصارع عددٍ منهم وأقرّه الامامΔ لكن حماية حياة الامامΔ كانت تقتضي ما ذكرناه قبل ذكر هذه الشواهد فقد كانت عيون السلطة وأجهزة مراقبتها مبثوثة في كل مكان بل ان بعض مجالس الثورة قد جمع الخليفة قبل تولّيه الامور كالاجتماع الذي عقده الهاشميون اواخر الدولة الاموية وبايعوا محمد النفس الزكية وكان أحد المبايعين أبا جعفر المنصور وهو الذي قتل محمداً في المدينة وأخاه ابراهيم في باخمرا وحبس بني الحسن وقتلهم في الهاشمية فلم يكن بوسع الامام الصادقΔ – الذي علم عن طريق جده رسول الله 2 بواسطة آبائه ان ابا جعفر هو الذي سيلي الأمر – الا أن يبدي معارضته ظاهراً ويخبر بنهاية الأمور.

وأما الاخبار التي تنسب الى عبد الله المحض انه كان يرى ابنه محمداً هو المهدي المنتظر فهي مكذوبة وأنكر عبد الله نفسه هذه التسمية مرات عديدة فقد روى في مقاتل الطالبيين أنه قال رجل لعبد الله بن

قال الامام علي بن موسى الرضا (ع) للمأمون وهو يحدّثه عن زيد بن علي الشهيد انه كان من علماء آل محمد غضب لله فجاهد أعدائه حتى قتل في سبيله ، ولقد حدثني ابي موسى بن جعفر انه سمع أباه جعفر بن محمد (ع) يقول: رحم الله عمي زيداً إنه دعا الى الرضا من آل محمد(ص) ولو ظفر لوفى لله من ذلك إنه قال ادعوكم الى الرضا من آل محمد(ص) [1].

الحسن: متى يخرج محمد ؟ قال: (لا يخرج حتى أموت وهو مقتول ، قلت: إنا لله وإنا اليه راجعون هلكت والله الأمة، قال: كلا، قلت: فإبراهيم؟ قال: ليس بخارج حتى أموت وهو مقتول ، قلت: إنا لله هلكت والله الأمة، قال: فاذا مت خرجا جميعاً فلا يلبثا الا وهما مقتولان قلت: إنا لله هلكت الامة قال: كلا فان صاحبهم منّا غلام شاب ابن خمس وعشرين سنة يقتلهم تحت كل حجر أو تحت كل كوكب) ، (مقاتل الطالبيين، ص ٦٦)، وقد علّق سيدنا الاستاذ على مضمون هذا الكلام بقوله Π: الذي وجدته من مجموع أخبار هؤلاء الثوار انهم يختلفون تديناً ونفسياً وثقافياً وهدفاً، ولم يثبت أن جميعهم أخذوا الاذن من الائمة E ولو سراً. كما ان عدداً منهم لم يدعُ الى الرضا من آل محمد2 ويكفي في ذلك تلك الرواية (ولو ظفر لوفى لله من ذلك) ان غير (زيد الشهيد) وبعض القلّة الآخرين كيحيى لم يكن لديهم الحماس لمثل هذا الوفاء ، كما يكفي أن عدداً منهم نجح في حركته وأسس دولة ولم يفكر في أن يدفعها الى الائمة E (كصاحب طبرستان).

ويكفي احتمال ان يكون الدعوة الى الرضا من آل محمد2 مجرد شعار عند بعضهم ليأخذ به التأييد الواسع، كما أن سقوط حكم التقية عن الثائر لا يكون الا بالجهل للحكم أو بأخذ إذن الامامΔ.

ولعلنا نستطيع ان نحملهم من هذه الناحية على الصحة، ولكن من الصعب ان يفكر هؤلاء بالوفاء للرضا من آل محمد2 ولو طلبوا من الائمة E تولّي زمام الحكم في دولتهم (لو نجحت) فمن غير المؤكد القبول لأن الدولة المطلوبة للائمةΦ ليست دولة في (مهب الريح) بل هي دولة العدل العالمية كما هو معلوم فهل كان الثائر منهم على يقين بهذا القبول.

وعلى أي حال فهذه الثورات حركات دينية لمجرد الشعور بالظلم في الواقع المعاش ولا نستطيع أن نعطي الكثير منها اوسع من هذا التقريض.

(١) الوسائل ، مج ١١، كتاب الجهاد ، باب ١٣ ح١١ عن (عيون أخبار الرضا) وبقية الحديث كالآتي: ولقد استشارني – الكلام ما زال للامام الصادقΔ – في خروجه فقلت له: يا عمي: إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه ، فقال المأمون: يا أبا الحسن: أليس قد جاء فيمن ادعى الامامة بغير حقها ما جاء؟ فقال الرضاΔ إن زيد بن علي لم يدّعِ ما ليس له بحق وانه كان اتقى لله من ذاك ، إنه قال: ادعوكم الى الرضا من آل محمد وإنما جاء فيمن يدّعي ان الله نص عليه ثم يدعو الى غير دين الله ويضلّ عن سبيله بغير علم، وكان زيد بن علي والله ممن خوطب بهذه الآية: «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم» (عيون اخبار الرضا: ١/ ٢٤٨).

وفي رواية[١] انه ذكر بين يدي الامام الصادق (ع) من خرج من آل محمد(ص) فقال: لا ازال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد(ص) ولوددتُ ان الخارجي من آل محمد(ص) خرج وعليّ نفقة عياله[١] .

وقد عبّر زيد عن عقيدته هذه بإمامة الامام الصادقΔ بقوله: «إن في كال زمان رجلاً منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه ، وفي زماننا هذا ابن أخي جعفر بن محمد لا يضلّ من تبعه ولا يهتدي من خالفه» (سيرة الائمة الاثني عشر: ٢/ ٢٥١) وعن المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد الشهيد (وهو الآخر استشهد سنة ١٢٥هـ احتز رأسه وصلب جسده على باب الجوزجان مدة ودفن جسده هناك وقد بكاه الامام الصادقΔ واشتدّ حزنه ثم ترحّم عليه) بعد قتل أبيه وهو متوجه الى خراسان فما رأيت مثله في عقله وفضله فسألته عن أبيه زيد فقال: انه قتل وصلب بالكناسة ثم بكى وبكيت حتى غشي عليه فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه الى قتال هذا الطاغي وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت ابي يحدّث عن ابيه الحسين بن عليΔ قال: وضع رسول الله 2 يده على صلبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له زيد يقتل شهيداً فاذا كان يوم القيامة يتخطى هو واصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة» فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله 2 ثم قال: رحم الله ابي زيداً كان والله احد المتعبدين ، قائماً ليله صائماً نهاره مجاهداً ، قلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الامام بهذه الصفة فقال: يا عبد الله ان ابي لم يكن بإمام ولكن من السادات الكرام وزهادهم وكان من المجاهدين ، قلت يا ابن رسول الله أما ان اباك قد ادعى الامامة وخرج مجاهداً في سبيل الله ، وقد جاء عن رسول الله 2 فيمن ادّعى الامامة كاذباً ، فقال: مه يا عبد الله إن ابي كان اعقل من ان يدّعي ما ليس له بحق وإنما قال: ادعوكم الى الرضا من آل محمد2 عنى بذلك عمي جعفراΔ: قلت فهو اليوم صاحب الأمر ؟ قال: نعم هو افقه بني هاشم (مراقد المعارف: ٣٦٧/٢ – ٣٦٨) وسترد كلمات أخرى لثوار مخلصين آخرين إن شاء الله تعالى.

(١) قالΠ: «هذه الرواية – بحسب فهمي القاصر – تكون لأحد مبررات:

منها: ان المخاطب لديه كان لا يتحمل الا هذا المقدار من البيان.

ومنها: ان هذه الثورات كانت تشغل الدولة بالثائرين وتلهيهم عن الائمة E واصحابهم (انا وشيعتي بخير).

ومنها: ان هذه الثورات تقنع الدولة اكثر بأن الائمة E ليس لهم محاولات عسكرية اذ لو كان لهم ذلك لتحركوا كما تحرك اولاد عمهم وهذا مما يبعّد النظر عنهم وهكذا».

فترك الائمة (ع) إذن لممارسة العمل المسلح بصورة مباشرة ضد الحكام المنحرفين لم يكن يعني تخليهم عن الجانب السياسي من قيادتهم وانصرافهم الى العبادة وإنما كان يعبّر عن اختلاف صيغة العمل السياسي التي تحددها الظروف الموضوعية وعن إدراك معمق لطبيعة العمل التغييري واسلوب تحقيقه» انتهى كلام السيد الشهيد الصدر الاول(قده) ولنا بعدُ بقية من كلام يزيد ما نقلناه عن السيد الشهيد(قده) إيضاحاً فنقول:

إن أية ثورة يراد لها النجاح لا بد ان تستند الى مقومات:

١ - وجود واقع فاسد وشعور عام لدى الامة به وإرادة جدّية لتغييره وقد عبّر عن هذا الشعور أحد الشعراء بقوله:

فليت جور بني مروان عادلنا وليت عدل بني العباس في النار

وقال آخر:

تالله ما فعلت اميّة فيهم معشار ما فعلت بنو العباس

وقد كانت جرائم الطواغيت من امويين وعباسيين اوضح واشهر من أن تحتاج الى تعريف الأمة بها وقد حفلت المصادر التاريخية بما يسوّد وجه الأمة التي انجبت مثل هؤلاء الأشرار فلقد عاثوا في الارض فساداً من قتل وتشريد وتدمير بيوت وقطع ارزاق وقلع اشجار وانتهاك اعراض وهتك مقدسات حتى البيت الحرام رمي بالمنجنيق في حادثة عبد الله بن الزبير واحترقت استار الكعبة وفي واقعة الحرة في المدينة قتل عشرة آلاف من صحابة النبي(ص) وذراريهم وحملت آلاف النساء بلا أزواج فكان من يتزوج لا يشترط البكارة يومئذٍ وذاق العلويون فيها اشد صنوف العذاب فقد قتل هارون العباسي في يوم واحد ستين علوياً وكانت العلويات لا تمتلك رداءً تستر جسدها فكنّ يشتركن في رداء واحد تلبسه من تخرج وكان الرجل

أقول: ويمكن ان نضيف لها فهماً آخراً فان الامامΔ يمثل الدين فارادΔ ان يقول: ان الاسلام المتمثل بالقوّام عليه وهم الائمة E واصحابهم المخلصون ما يزال بخير ما دامت الثورات مستمرة تبقي على جذوةٍ من الروح الاسلامية الأصيلة في نفوس الناس وتعيد اليهم هويتهم وشخصيتهم التي يحاول الطغاة تمييعها.

(١) وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الجهاد، باب ١٣، حديث ١٢.

يقال له يهودي او نصراني، ولا يقال له علوي، واسجّل هنا ما قرأته اليوم في كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير[١]، قال: وكان السبب في سرعة إجابة القراء الى بيعة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لعزل الحجاج ان عمال الحجاج كتبوا اليه ان الخراج قد انكسر وان اهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالامصار ، فكتب الى البصرة وغيرها ان من كان له أصل من قرية ليخرج اليها ، فاخرج الناس لتؤخذ منهم الجزية فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه ولا يدرون اين يذهبون وجعل قراء البصرة يبكون لما يرون) وإلى اليوم فإن الطواغيت (اشخاصاً ودولاً) ماضية في استعبادها للبشر وظلمها وحرمانها من حقوقها الا لمن سار في ركابهم وخضع لهم وسبح بحمدهم وامثلتهم كثيرة في التاريخ وتتكرر ما دامت النفوس الأمّارة بالسوء والمحبّة للدنيا وحب التسلط والانانية موجودة ومنهم بنو امية الذين قال فيهم الحديث الشريف: (اذا بلغ بنو أمية ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباده خولاً) أي عبيد أذلاّء ومثل هذا الظلم مستمر.

٢- النظرية التغييرية التي تزيل الواقع الفاسد وتأتي ببديل قادر على تحقيق السعادة والصلاح للأمة.

٣- القيادة الواعية الملتزمة بنظرية الثورة فكراً وسلوكاً.

٤- القواعد الشعبية المؤمنة بقيادتها والمطيعة لها.

وفي الثورات الاصلاحية المخلصة كانت نظرية الثورة تتركز على العودة الى منهج الاسلام الأصيل وإعادة الحق الى محله وقد عبّر عن ذلك كل قادة الحركات الإصلاحية المخلصة. وقد مرّت كلمات الامام علي (ع) والحسين (ع) وكذلك من حاول الاقتداء بهما (ع) من الثوار العلويين كالحسين بن علي صاحب فخ لما أراد أن يأخذ البيعة قال: ابايعكم على كتاب الله وسنة رسول الله(ص) وعلى أن يطاع الله ولا يعصى وادعوكم الى الرضا من آل محمد(ص) وعلى أن نعمل فيكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والعدل في الرعية والقسم بالسوية وعلى أن تقيموا معنا وتجاهدوا عدونا فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا وإن نحن لم نفِ لكم فلا بيعة لنا عليكم[٢].

---

(١) ج ٤، ص ٧٩، طبعة دار الكتاب العربي .

(٢) مقاتل الطالبيين/ ٢٩٩.

ولما وافى محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم الغمر الكوفة لإعلان ثورته مع ابي السرايا[١] أخذ يسأل عن أخبار الناس وتحسسها فبينما هو في بعض الايام يمشي في أزقة الكوفة إذ نظر الى عجوز تتبع احمال الرطب فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث فسألها عما تصنع بذلك فقالت: إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤونتي ولي بنات لا يعدن على انفسهن بشيء فأنا اتتبع هذا من الطريق واتقوّته انا وولدي فبكى بكاءاً شديداً وقال: انت والله واشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي[٢].

أما القيادة الواعية فقد تمثلت في الائمة (ع) أعدال الكتاب وبعد عصرهم في نوّابهم بالحق من العلماء الفقهاء العدول الذين لهم الكفاءة في قيادة أمر الأمة والدراية الكافية في شؤونها وأي محاولة لابعاد القيادة الحقيقية عن مكان الصدارة يجعل الثورة منحرفة عن الغايات الحقيقية سواء حقّقت نجاحاً عسكرياً وتسلّمت سلطة او لا ، لذلك عارض الامام الصادق (ع) دعوة المعتزلة الى بيعة محمد النفس[٣] الزكية على انه الامام رغم انه ممن لا ينكر فضله ولا

---

(١) علّق السيد الشهيد الصدر∏ هنا بقوله: «لم يكن ابو السرايا حسن النية بحسب ما أعلم» وأجبته بأن محمد بن ابراهيم الذي كان يدعى ابو السرايا كان مخلصاً وربما يستشف ذلك من رواية في روضة الكافي (الحديث، ٣٧ ص٢١٤) ولا دليل على عدم حسن نية ابي السرايا، أما بعض الروايات في مقاتل الطالبيين بما يرتبط بعقيدة المؤلف فلا يركن اليها لأن المؤلف يميل الى اراء الزيدية فهو يجرّ النار الى قرصه.

(٢) مقاتل الطالبيين/٣٤٦.

(٣) علّق سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر∏: «بغضّ النظر عن مقدار علمه ودينه، فإنه – بحسب ظاهر النقول التاريخية في مقاتل الطالبيين وغيره – كان يدعي الامامة لنفسه وكان يدعي المهدوية وكان يتخفى من الناس بعنوان كون المهدي له غيبة ويستغل اسمه (محمد بن عبد الله) للحديث (اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي) يعني المهدي فمهما يكن في ذاته يعتبر هذا التصدي منه خطأ فاضحاً وجهلاً كبيراً ، ومن الواضح ان الامام الصادقΔ يعارض البيعة له نظرياً وعملياً، اما نظرياً فلأن الخلافة له – أي الامام الصادقΔ – دون غيره ، واما عملياً فلأن الامامΔ يعلم بما علّمه الله تعالى ان المُلك سوف يصير الى بني العباس و(المنصور) بالخصوص ولن ينجح النفس الزكية في حركته.

وقد أجبتُ على تعليقته∏ بأن الروايات التي تنسب الى محمد القول بانه المهدي ضعيفة وصاحب مقاتل الطالبيين ذكر بعدها بقليل روايات تنفي عنه هذه النسبةوقد نقلنا إحداها قبل صفحات، وابوه عبد الله المحض أجلّ من أن تنسب اليه مثل هذه الافكار البعيدة عن مدرسة أهل البيتΦ وتعبّر عن حسن موقفه رسالة الامام

يعاب بشيء وكذا معارضتهم لمن يدعو الى نفسه كائناً من كان وفي الأمة من هو أحقّ منه. وفي هذا الصدد يوصي الامام الصادق (ع) شيعته بقوله: (عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم، فوالله إن الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي ، فاذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيها يخرجه ويجيئ بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها ، والله لو كانت لاحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرّب بها ثم كانت الاخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة اذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحق ان تختاروا ولأنفسكم إن أتاكم آتٍ منّا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم الى نفسه، وإنما دعاكم الى الرضا من آل محمد (ص) ولو ظهر لوفى بما دعاكم اليه إنما خرج الى سلطان مجتمع لينقضه فالخارج منّا اليوم الى أي شيء يدعوكم؟ الى الرضا من آل محمد (ص) فنحن نشهدكم انا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو اذا كانت الرايات والالوية أجدر أن لا يسمع منا)[1] .

دخل رؤساء المعتزلة على الامام الصادق (ع) وفيهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وحفص بن سالم وغيرهم وعرضوا عليه فكرة بيعة محمد بن عبد الله المحض المتقدم ذكره ودعوة الناس اليه وقتالهم على ذلك ودار حوار اثبت فيه الامام (ع) تناقض رأيهم في من يتولى الامور وعدم كفاية الجميع للامامة الا من نصّبه الله تعالى والله اعلم حيث يجعل رسالته، وفي

الصادقΔ اليه في سجنه وقد نقلناها، اما معارضة الامام الصادقΔ لبيعة الناس له فهي للتقية لوجود المنصور في الاجتماع وهو الذي سيلي الخلافة وقد ناقشنا ذلك في الدراسة.

نعم، توجد روايات تدل على ان عدداً من الثائرين كانوا يرغمون الائمة المعاصرين لهم على مبايعتهم، ففي احداها: أن محمد بن عبد الله المحض أجبر الامام على نصرته وهددّه مساعده عيسى بن زيد بالحبس ومصادرة أمواله، ولكن الامام أصرَّ على الرفض، وكذا فعل الحسين بن علي صاحب فخ مع الامام الكاظم (ع) ، وقد ردّ بما ردّ ابوه (ع) وكتب بنفس المضمون يحيى بن عبد الله المحض صاحب الديلم الى الامام الكاظم (ع) يتهمه بإدعاء ما ليس له (توجد الروايات في اصول الكافي / كتاب الحجة، الباب ٧٧: ما يفصل به بين دعوى المحق والمبطل في الامامة: الاحاديث ١٧ وما بعدها ، لكن كثيراً منها ضعيف السند ويحمل على التقية ولحماية الامام نفسه بإظهار الخلاف بينهما أو تحمل على حاجة الثائر الى تأييدٍ ما من الامام حتى يندفع الناس لنصرته .

(١) وسائل الشيعة، مج ١١، كتاب الجهاد، ابواب جهاد العدو، باب ١٣، ح١.

الختام قال: اتق الله يا عمرو وانتم ايها الرهط فاتقوا الله فإن أبي حدثني وكان خير أهل الارض وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسوله ان رسول الله(ص) قال: «من ضرب الناس بسيفه ودعاهم الى نفسه وفي المسلمين من هو أعلم منه فهو ضال متكلف»[١].

تبقى الركيزة الأخيرة للثورة وهي القواعد الشعبية ومع توفر سابقاتها فتكون هذه هي العامل المؤثر في نجاح الثورة وتتمثل في توفر العدد الكافي من الافراد الذين بلغوا في مستواهم الايماني وتربيتهم لانفسهم درجة تؤهلهم لوعي أهداف قيادتهم مطيعين لأوامرها صابرين على ما ينزل بهم كما يوصي امير المؤمنين اصحابه عند القتال: «ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلّوها ولا تجعلوها الا بأيدي الشجعان منكم فان الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفّون برایاتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها وأمامها لا يتأخرون عنها فيسلموها ولا يتقدمون عليها فيفردوها»[٢].

وقد نهى الائمة (ع) عن القتال والسعي لتسلم السلطة من دون اجتماع مقوّمات العمل وإعداد العدة اللازمة ووضوح الهدف وشرعيته ، قال امير المؤمنين (ع): «الزموا الارض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى السنتكم ولا تستعجلوا لما لم يعجّله الله لكم، فإن من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق من ربه وحق رسوله وأهل بيته مات شهيداً ، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله ، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه، وإن لكل شيء مدّة وأجلاً»[٣] ، وقال الامام الصادق (ع): (إن الله لا يعجل لعجلة العباد، ولازالة جبل عن موضعه أهون من إزالة ملك لم ينقض أجله)[٤]. ولا يكون هذا مبرراً للتقاعس والتخاذل عن القيام بالمسؤوليات[٥] الملقاة على عاتق كل مسلم في مجال الاصلاح الاجتماعي كما لا يوجد تعارض بين هذا القول وثورات العلويين التي كانت تُؤيَّد من

---

(١) الاحتجاج: ١١٨/٢ – ١٢٢.

(٢) وسائل الشيعة، مج١١، كتاب الجهاد، باب ١٥،حديث ٥.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٨٨، ص ٣٤٦.

(٤) الوسائل، كتاب الجهاد، ابواب جهاد العدو، باب ١٣، ح ٥.

(٥) علّق هنا سيدنا الاستاذ الشهيد الصدر Π قائلاً: «في حدود التكليف الشرعي المنجز وإلا فالنص السابق يعطينا:

الاجتماعي كما لا يوجد تعارض بين هذا القول وثورات العلويين التي كانت تُؤيَّد من قبل الائمة (ع) في حينها لأن مقابل هذا القول يوجد كلام الامام الحسين (ع): «أيها الناس ان رسول الله(ص) قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده مخالفاً لسنة رسول الله(ص) يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله ان يدخله مدخله، وتبقى مسؤولية توزيع الادوار وإعطاء كل فرد الدور الذي يناسبه الى القيادة الشرعية بحيث تصبُّ كل هذه الادوار في الهدف الاساسي وهو إقامة حكومة العدل الآلهي[١] ولا يجوز لأحد أن يخلد الى هواه واطماعه لتحدد له ما يعمل.

وقد عرض غير واحدٍ على الائمة (ع) الدعوة لهم ونصرتهم ولكنهم (ع) كانوا يعلمون عدم إخلاص هذه الدعوات ورساليتها وأنها لا تعدو كونها سعياً وراء المناصب والتسلط فقد كتب ابو مسلم الخرساني قائد الجيوش التي قضت على الدولة الاموية وأتت بالعباسيين كتب الى الامام الصادق (ع): «إني قد أظهرت الكلمة ودعوت الناس عن موالاة بني امية الى موالاة اهل البيت فإن رغبت فيه فلا مزيد» فكتب الصادق (ع): «ما انت من رجالي ولا الزمان زماني»[٢] وعن الفضل الكاتب قال: كنت عند ابي عبد الله (ع)، فأتاه كتاب أبي مسلم فقال: ليس لكتابك جواب أخرج عنا فجعلنا يسار بعضنا بعضاً فقال: «أي شيء تسارون يا فضل إن الله عز ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله»[٣].

ولما أحسّ ابو سلمة الخلاّل وهو أحد كبار قادة تلك الجيوش بنوايا العباسيين وعزمهم على الاستئثار بالسلطة كتب الى ثلاثة من العلويين: الامام الصادق (ع) وعبد الله المحض وعمرو

أولاً: وجوب التقية، ثانياً: ثواب المجاهدين لأن الاعمال بالنيات، ثالثاً: التسليم لله في قضائه وقدره في تأجيل انتصار الحق ووجود المظالم على أهل الحق خلال فترة طويلة من الزمن.

(١) علّق سيدنا الاستاذ∏ قائلاً: «ينبغي التعبير بإقامة العدل الآلهي لأن مقتضى العدل في مجتمع الظلم هو التخفيف عن كاهل المظلومين وعند زواله هو تطبيق حكم الله في الارض. وقد يكون مقتضى العدل هو العمل بالتقية ووجوب الاعتزال ولو مؤقتاً وعلى أي حال فكل هذه الامور أهداف اساسية لأنها كلها تصبّ في مورد واحد وهو طاعة الله سبحانه ورضاه.

(٢) حياة الائمة لعادل الاديب ص ١٨٢ نقلها من الملل والنحل للشهرستاني ٢٤١/١.

(٣) روضة الكافي ، حديث ٤١٢ ص ٢٢٩.

الاشرف وارسل الكتب مع بعض أنصارهم وقال للرسول: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق (ع) فإن أجابك فلا تراجع غيره ومزّق الكتابين[١] وإن لم تجد منه جواباً فاذهب الى عبد الله المحض وسلّمه الكتاب فإذا أجابك فلا تراجع غيره وإلا فاذهب الى عمرو الاشرف فذهب الرسول الى الامام جعفر بن محمد (ع) ودفع اليه كتاب ابي سلمة، فقال الامام (ع) ما لي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري ثم قال لخادمه: أدن مني السراج فأدناه منه فوضع الكتاب على النار حتى احترق بكامله والرسول ينظر اليه فقال له الامام (ع): هذا جواب كتابه، فمضى الرسول الى عبد الله المحض فدفع اليه الكتاب فقبّله وقرأه وركب من ساعته الى الامام الصادق (ع) وقال له: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه الى الخلافة وقد وصلني مع بعض شيعتنا من أهل خراسان ، فقال له الصادق (ع): ومتى صار أهل خراسان شيعة لك؟ أأنت وجّهت اليها أبا مسلم؟ وهل تعرف أحداً من أهلها باسمه فكيف يكونون شيعتك وانت لا تعرفهم ولا يعرفونك[٢].

وهكذا سدّ الائمة (ع) الابواب امام كل الدعوات التي لا تحقق الأهداف الالهية التي ينشدها الائمة (ع) وإنما تأتي في كثير من حالاتها تلبية لشهوة الحكم، وعندئذٍ اما يكون شأنها كشأن بقية الانقلابات التي تدبّر بليل والتي لا تحقق آمال الامة او الفشل بشكل ينعكس على الرسالة وقيادتها سلبياً.

لذا آثر الائمة (ع) الالتفات الى بناء الامة من الداخل وتزويدها بما يعيد لها شخصيتها الاسلامية من خلال تهذيب النفوس وتطهيرها وذلك بنشر التعاليم الاسلامية الأصيلة والالتزام بها عملياً مما يعرّي السلطة ويكشف عن زيف ادعاءاتها وابتعادها الكبير عن الاسلام الحقيقي وكذلك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنمية الايمان الراسخ والنفوس القوية التي لا محل للخوف فيها، وبذلك مهدّوا للثورة التغييرية الكبرى التي لابد وأن تشمل انوارها هذه الارض التي دنّسها عبّاد الشيطان ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

---

(١) لاحظ إن نفس إرساله الكتب الى عدد من العلويين يدل على عدم المعرفة الحقيقية بالامام وإنه مجردكان يبحث عن غطاء شرعي لسعيه نحو السلطة.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢/ ٢٤٣.

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[١] ، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٢] ولكن باتباع السنة الآلهية «إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم».

أما هذه الدعوات التي تأتي من هذه المجموعة من الناس او تلك وتطلب منه النهوض والسعي لتسلم الحكم فهي دعوات عاطفية اكثر منها واقعية لذا فإنها لا تثبت عند اللقاء ولا تصدق في المواطن أو انها تفشل عند تحميلها المسؤولية قصوراً او تقصيراً أو إنها لا تحقق النتائج الشرعية المطلوبة من إصلاح الأمة وتكميلها وتهذيبها ورفع الظلم عنها، فإن تحمّل اعباء الرسالة يتطلب مواصفات جليلة ولا يكفي الصلاح الظاهري لاصحابها فعند الامتحان والابتلاء يظهر معدن المرء وتنكشف نواياه «احسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنّا الذين من قبلهم...» وقد كان اصحاب رسول الله(ص) من الاجيال الفريدة في التاريخ[٣] ، ومع ذلك فقد كان ينهزم عدد كبير منهم في عددٍ من المعارك وعوتبوا عدة مرات في القرآن: في بدر ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾[٤]، وفي معركة أحد: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ﴾[٥]، وفي الاحزاب: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدا ﴾[٦]، ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾[٧]، وفي كلٍ منها ينسب علة الهزيمة الى خلل في البناء

---

(١) القصص: ٥ .

(٢) التوبة: ٣٣ .

(٣) راجع وصف امير المؤمنين Δ لهم في نهج البلاغة، وقد تقدّم نص في ذلك في نهاية المحور الثاني .

(٤) الانفال: ٧ .

(٥) آل عمران: ١٥٣ .

(٦) الاحزاب: ١٠ - ١١ .

(٧) التوبة: ٢٥ .

الداخلي للمسلم «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا».

وتوجد في طيّات هذه الدراسة بعض الاساليب التي اتبعها الائمة (ع) لبناء المسلم من الداخل بيدَ انهم لم يغفلوا الثورات المسلحة لانها هي الأخرى لها دور في تعزيز هذا البناء ولكنهم لم يتبنّوها بشكل مباشر ولم يعثر جلاوزة الطواغيت على كثرة مداهماتهم لبيوت الائمة (ع) واعتقالاتهم لاصحابهم(ع) على ما يثبت ارتباطهم(ع) باصحاب تلك الثورات الا انهم كانوا يعلمون ان التوجيه الفكري الذي يسير عليه أئمة أهل البيت(ع) كافٍ في خلق اولئك الثائرين وإن لم يتبنوهم بشكل مباشر لذا فإن هذه الحركات توقفت بعد وفاة الامام العسكري (ع) وانتهاء الدور الظاهري للائمة(ع) وكان الطواغيت يعلمون بهذا الدور الرئيسي للائمة لهذا فانهم كانوا يقضون عليهم بالنهاية ويحجمون دورهم بالسجن والاقامة الجبرية والمراقبة المكثفة وتقريبهم من دوائر السلطة كما حصل للامام الرضا (ع) ومن يليه من اولاده الطاهرين وكل هذا قد تقدمت الاشارة اليه.

ورغم ان تلك الحركات المسلحة كانت تنتهي الى الفشل من الناحية العسكرية الا انها لم تخلُ من نتائج إيجابية ككشف زيف الحكام وظلمهم كما انها كانت تترك من ورائها في كل ثورة مجموعة جديدة تحس بالظلم والعدوان وتعمل على مقاومتها وبذلك تزداد قناعة الامة بالحاجة الى القيادة الصالحة المخلصة المتمثلة بائمة اهل البيت(ع) وتعزز سلوك الائمة ومنهجهم ويؤكد هذا التأثير لفكر الائمة (ع) في صنع الثورات خمود[١] جذوتها بعد انتهاء عصر القيادة المباشرة للائمة(ع) وهي حقيقة تاريخية يلحظها كل من استقرأ التاريخ السياسي للمسلمين.

---

(١) علّق هنا سيدنا الاستاذ الشهيد Π بقوله: «مولاي: ان الثورات بعد عصر الائمة E لا يخلو إما أن تكون بنية مخلصة او بدافع الشهوة والسيطرة فان كانت باخلاص لم يمكنها ذلك الا نادراً لعدم وجود الامام Δ ليأخذ الاجازة منه كما لا يستطيع أن يدعو الى الرضا من آل محمد 2 لعدم توفره ولا يستطيع أن يدعو الى نفسه او الى شخص معاصر له لعدم وضوح مشروعيته في ذهنه ، إذن فباب الثورة يكاد أن يكون مسدوداً بالطريقة المخلصة ما لم ينظر في صلاحية قائدها وقانونها واهدافها.

وأما الثورات غير المخلصة فهي كانت متوفرة وناجحة كالبويهيين وغيرهم مما لا يحضرني في عناوينهم ومهما يكن حالهم فهم قد خدموا المذهب خدمات جلّى.

ولم يخف الائمة (ع) عقيدتهم في ان الشريعة الالهية إنما نزلت لتغطي كل نشاطات المجتمع الانساني ولتبسط نفوذها على كل من آمن بها وإنما يرجع تحقيق ذلك الى الامة وصرّحوا بذلك حتى امام السلطات الحاكمة فقد روي ان (المهدي) العباسي عرض على الامام موسى بن جعفر (ع) أن يردَّ عليه فدكاً[١] ليتظاهر امام الأمة أنه أعاد للعلويين حقوقهم ورفع الظلم عنه فرفض الامام (ع) قبولها ولما ألحّ عليه المهدي قال: لا أقبلها الا بحدودها، قال: وما حدودها؟ قال (ع): الحد الاول: عدن، فتغيّر وجهه، والحد الثاني سمرقند فأربد وجهه، والحد الثالث: افريقية، فقال له المهدي: والحد الرابع قال: سيف البحر ما يلي الخزر وارمينية، فقال له: لم يبق لنا شيء فتحول الى مجلسي فرد عليه الامام بقوله: لقد اعلمتك بأني إن حددتها لم تردّها[٢].

وأعود الآن الى ذكر أصل كلام السيد الشهيد الصدر الاول في المتن تحت العنوان الذي جعلناه المحور الرابع.

وبالمناسبة هنا رواية قرأتها في كتاب لا أتذكره من أن احد هؤلاء الحكّام اقترح تنصيب احد اولاد فاطمة I للخلافة بدل الخليفة العباسي الذي كان ضعيفاً يومئذٍ، فقال له أحد المغرضين: اننا الآن لو امرتنا بقتله لقتلناه واما يومئذٍ فلو أمرنا بقتلك لقتلناك فسكت ولم يعقب. وهذا دليل على ما في قلبه وقلوب امثاله.

وقد علّقت على قوله Π حينئذٍ بالقول: لم ولن يكون الباب مسدوداً واسباب الثورة التي كانت في عهد الائمة E هي هي نفسها في كل زمان ومكان وغياب الامام الرضا من آل محمد2 لا يغيّر من المبررات شيئاً لوجود نائبه بالحق وهو الفقيه الجامع للشرائط وإنما سبب خمود الثورات يرجع الى عاملين:

احدهما: اضمحلال التفكير الاجتماعي لدى العلماء والتعامل مع الشريعة على اساس النظرة الفردية (وقد شرحنا شيئاً من هذه الافكار في كتاب «الاسس العامة للفقه الاجتماعي» وبحث «فهم ما وراء النص» المنشور في الجزء الثاني من كتاب «حديث الروح».

ثانيهما: عدم وجود القواعد الشعبية الواعية للواقع الفاسد وعدم التفاعل مع الدعوة الى تغييره وأحياناً لم يكن فساد الوضع واضحاً ومقنعاً بالتغيير خصوصاً وان بعض الدول الحاكمة – كالعثمانية والصفوية – كانت تدعي الاسلام والخلافة.

(١) ارض زراعية كانت خالصة لرسول الله 2 لانها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب فوهبها لابنته فاطمة الزهراء I وغصبت منها بعد وفاته2 ثم اعادها بعض الملوك الامويين ثم غصبت وهكذا عدة مرات.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر: ٢ / ٣٤٠.

قال(قده): يبقى سؤال واحد يتبادر الى الاذهان وهو ان ايجابية الائمة (ع) هل كانت تصل الى مستوى العمل لاستلام زمام الحكم من الزعامات المنحرفة او تقتصر على حماية الرسالة ومصالح الأمة من التردي الى الهاوية وتفاقم الانحراف.

والجواب على هذا السؤال يحتاج الى توسع في الحديث يضيق عنه هذا المجال، غير ان الفكرة الاساسية في الجواب المستخلصة من نصوص واحاديث عديدة: ان الائمة (ع) لم يكونوا يرون الظهور بالسيف والانتصار المسلح آنياً كافياً لإقامة دعائم الحكم الصالح على يد الامام (ع).

إن إقامة هذا الحكم وترسيخه لا يتوقف في نظرهم على مجرد تهيئة حملة عسكرية بل يتوقف قبل ذلك على إعداد جيش عقائدي يؤمن بالامام وعصمته إيماناً مطلقاً ويعي أهدافه الكبيرة ويدعم تخطيطه في مجال الحكم ويحرس ما يحققه للأمة من مكاسب.

وكلكّم تعلمون قصة ذلك الخراساني الذي جاء الامام الصادق (ع) يعرض عليه تبنّي حركة الثوار الخراسانيين فأجّل جوابه ثم امره بدخول التنور فرفض وجاء ابو بصير فأمره بذلك فسارع الى الامتثال فالتفت الامام الى الخراساني وسأله كم له من امثال ابي بصير وكان هذا هو الرد العملي من الامام على اقتراح خراسان[1].

---

(١) ونظير هذا الموقف حدث للثائر العلوي عيسى بن زيد الشهيد ففي اثناء فترة اختفائه جاءه مضيفه علي بن صالح بن حي وأخوه الحسن وجماعة آخرون فقال له الحسن بن صالح حتى متى تدافعنا بالخروج وقد اشتمل ديوانك على عشرة الآف رجل؟ فقال له عيسى: ويحك اتكثر عليّ العدد وانا بهم عارف، أما والله لو وجدت فيهم ثلاثمائة رجل أعلم انهم يريدون الله عز وجل ويبذلون انفسهم له ويصدقون للقاء عدوه في طاعته وسنة نبيه2 ، ولكن لا اعرف موضع ثقة ببيعته لله عز وجل ويثبت عند اللقاء فبكى الحسن بن صلح حتى سقط مغشياً عليه.

تعريف بعيسى: كان شجاعاً بارعاً وفارساً جريئاً قاد ميمنة محمد النفس الزكية ثم ميمنة أخيه ابراهيم وحمل رايته وبعد استشهاده اختفى حوالي (٢٣) سنة عند قوم موالين لأهل البيت Φ بالكوفة في دور بني حي. وكان ذا عقل وتدبر وحكمة وكان في – الحروب التي شارك فيها – اشد الناس قتالاً وانفذهم بصيرة ، بذل له المنصور والمهدي الأمان عدة مرات فرفض وقال: «والله لئن يبيتنّ ليلة واحدة خائفاً مني احبّ اليّ مما طلعت عليه الشمس»(مراقد المعارف: ٢/ ١٤٨).

وعلى هذا الاساس تسلّم امير المؤمنين (ع) زمام الحكم في وقت توفر فيه ذلك الجيش العقائدي الواعي متمثلاً في الصفوة من المهاجرين والانصار والتابعين من اصحابه رضي الله عنهم[١].

---

(١) ونذكر هنا فقرات من كلمات بعض اولئك الافذاذ ليتضح من خلالها معنى الجيش العقائدي الواعي وتيمناً بها وبذكرى اصحابها ولتوري العزائم وتشحذ الهمم (وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين) وكان بودّنا أن نعرّف – باختصار شديد – اصحاب الكلمات ليعلم القارئ ان هذه الاسماء ليست كغيرها بل ان لها ثقلاً في ميزان الاسلام بجهادها وصلاحها وسيرتها المرضية ولكننا آثرنا ترك ذلك الى كتب التراجم والسير فانها طافحة بمآثر هذه القمم الشامخة التي أبت أن تموت الا وهي مرفوعة الجبين ليس لأحد سلطان الا ما كان لله تعالى.

١- ابو ايوب الانصاري: سمع امير المؤمنينΔ يستنفر اصحابه للجهاد فتثاقلوا فقام خطيباً وقال: «ايها الناس ان امير المؤمنينΔ قد اسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ، إن الله اكرمكم بكرامةٍ لم تقبلوها حق قبولها، وإنه نزل بين أظهركم ابن عم نبيكم سيد المرسلين من بعده ، يفقهكم في الدين، ويدعوكم الى جهاد المحلّين، فكأنكم صُمّ لا تسمعون او على قلوبكم غلف مطبوع عليها فانتم لا تعقلون، افلا تستحيون عباد الله؟ أليس إنما عهدكم بالجور والعدوان أمس ؟ قد شمل البلاء وشاع في البلاد فذو حق محروم وملطومٌ وجهه وموطأٌ بطنه، وملقى بالعراء تسفي عليه الاعاصير لا يكنّه من الحرّ والقرّ وصهر الشمس والضح الا الاثواب الهامدة وبيوت الشعر البالية (يشير بذلك الى ما لحق اجلاّء الصحابة كأبي ذرّ الغفاري وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود من اذى في عهد عثمان) حتى جاءكم الله بأمير المؤمنين ، فصدع بالحق ، ونشر العدل، وعمل بالكتاب ، يا قوم فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تولّوا مدبرين، ولا تكونوا كالّذين قالوا سمعنا واطيعوا وماقلتم فليكن عليه تكونوا بذلك من الصادقين (مراقد المعارف: ١/ ٩٠- ٩١).

٢- حجر بن عدي الكندي: قال لأمير المؤمنينΔ عندما أمّره على كندة وسيّره الى صفين: يا امير المؤمنين نحن بنو الحرب وأهلها الذين نلقحها وننتجها، قد ضارستنا وضارسناها، ولنا أعوان وعشيرة ذات عدد ورأي مجرب وبأس محمود وازمّتنا منقادة لك بالسمع والطاعة، فإن شرّقت شرّقنا ، وإن غرّبت غرّبنا ، وإن امرتنا من أمرٍ فعلنا» ولما خيّره معاوية بين البراءة من امير المؤمنينΔ او القتل قال: إن الصبر على حد السيف لأيسرُ مما تدعونا اليه ، ثم القدوم على الله وعلى رسوله وعلى وصيه احبّ الينا مما تدعونا اليه ومن دخول النار (المصدر السابق: ١ / ٢٣٦).

٣- عمار ابن ياسر: قال في معركة صفين قبيل استشهاده: والله لو ضربونا حتى بلغوا بنا سعفات هجر لعلمت اننا على حق وأنهم على الباطل (المصدر السابق: ٢/ ١٠٦).

٤- عدي بن حاتم الطائي: دخل على معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنينΔ فقال له: يا عدي أين الطرفات؟ يعني أولاده (طريفاً وطارفاً وطرفة) قال: قتلوا يوم صفين بين يدي علي بن ابي طالبΔ، فقال له:

ما أنصفك ابن ابي طالب إذ قدّم بنيك وأخرّ بنيه، فأجابه عدي: بل ما أنصفتُ أنا علياً إذ قُتل وبقيت (المصدر السابق: ٢/ ٦٦).

٥- عمرو بن الحمق الخزاعي: قال لأمير المؤمنينΔ مجيباً له عن حديث تبادلا فيه: يا امير المؤمنين والله ما احببتك للدنيا ولا لمنزلة تكون لي بها، وإنما احببتك لخمس خصال إنك اول المؤمنين إيماناً وابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واعظم المهاجرين والانصار ، وزوج سيدة النساء فاطمةI وأبو ذريته من رسول الله 2 ثم قال له: فلو قطعت الجبال الرواسي وعبرت البحار الطوامي في توهين عدوك وتلقين حجتك لرأيت ذلك قليلاً من كثير ما يجب عليّ من حقك (مراقد المعارف: ٢ / ١٢٤).

٦- مالك الاشتر: قال فيه عليΔ: كان الاشتر لي كما كنتُ لرسول الله 2، وقالΔ: وليت فيكم مثله اثنان بل ليت فيكم مثله، واحد يرى في عدوي مثل رأيه (المصدر السابق: ٢ / ٢٢٥).

٧ – محمد بن ابي حذيفة (وهو ابن خال معاوية): من كلامه مع معاوية وقد استدعاه من السجن وكلّمه لعله يغيّر رأيه في عليΔ: «وكيف تلومني على حبي علياً؟! خرج مع عليΔ كل صوّام قوّام مهاجري أنصاري ، كما خرج معك ابناء المنافقين والطلقاء والعتقاء ، خدعتهم عن دينك وخدعوك عن دنياك والله يا معاوية ما خفي عليك ما صنعت ، وما خفي عليهم ما صنعوا إذ أحلّوا انفسهم سخط الله في طاعتك، والله لا أزال احبّ علياً لله ولرسوله وابغضك في الله وفي رسوله أبداً ما بقيت (نفس المصدر: ٢ / ٢٥٢).

٨ – قيس بن سعد بن عبادة: انشد بين يدي امير المؤمنينΔ في صفين:

قلتُ لما بغى العدو علينا ... حسبنا ربّنا ونعم الوكيل
حسبنا ربُّنا الذي فتح البصـ ... رة بالامس والحديث طويل

ويقول فيها:

وعليٌّ امامنا وإمامٌ ... لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي: من كنت مو ... لاه فهذا مولاه خطب جليل
إنما قاله النبي على الامة ... حتم ما فيه قالٌ ولا قيل

وقال: يا امير المؤمنين ما على الارض أحدٌ احبّ ان يقيم فينا منك لانك نجمنا الذي نهتدي به ومفزعنا الذي نصير اليه وإن فقدناك لتظلمنّ ارضنا وسماؤنا، وقال للنعمان بن بشير (وهو أحد اثنين فقط من الانصار كانا مع معاوية في صفين) فنحن في هذه الحرب كما كنّا مع رسول الله 2 نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ولكن انظر يا نعمان ، هل ترى مع معاوية الا طليقاً أو اعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان الذين

رضي الله عنهم، ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك (الانصاري الثاني في جيش معاوية مسلمة بن مخلد)؟ ولستما والله ببدريين ولا احديين ولا لكما سابقة في الاسلام ولا آية في القرآن.

ومن رجزه في صفين:

ليس فراري في الوغا بعادة إن الفرار للفتى قلادة

والقتل خيرٌ من عناق غادة يا ذا الجلال لقني الشهادة

حتى متى تثنى لي الوسادة

(الغدير للاميني ٢/ ٨٢ ، ٢/ ٧٩).

هذا هو الجيش العقائدي في ثباته وحقه ويقينه مضى على بصيرة من امره لم يهنْ ولم ينكل، يشدو بحبّ قائده وإمامه ويترنّم بمدحه وبيان حقه وفضله وفرحاً بالقائد العظيم وبنهجه القويم وشكراً لله تعالى على هذا التشريف.

وقد وصف امير المؤمنينΔ هذا الجيش العقائدي الذي فقد اغلبه في معركة صفين وما رافقها من أحداث فأخذ يؤبّنهم على المنبر ويبكي حتى تخضلّ لحيته بالدموع، من ذلك قولهΔ: «اين القوم الذين دُعوا الى الاسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا ولَه اللقاح الى اولادها، وسلبوا السيوف اغمادها وأخذوا باطراف الارض زحفاً زحفاً ، وصفاً وصفاً ، بعض هلك وبعضٌ نجا، لا يبّشرون بالاحياء (لانهم يريدون الشهادة) ولا يُعزّون عن الموتى ، مُرْهُ (أي بيض) العيون من البكاء ، خُمص البطون من الصيام، ذُبْلُ الشفاه من الدعاء، صفر الالوان من السهر، على وجوههم غَبَرةٌ الخاشعين ، اولئك إخواني الذاهبون، فحقّ لنا أن نظمأ اليهم، ونعضّ الايدي على فراقهم» (نهج البلاغة، الخطبة ١١٩، ص ٢٢٣).

وقالΔ: «اين اخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ اين عمّار؟ واين ابن التيّهان؟ واين ذو الشهادتين؟ واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنيّة وأبرد برؤوسهم الى الفجَرة» ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة فأطال البكاء وقال: «أوهٍ على اخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه» وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دُعُوا للجهاد فأجابوا ، ووَثِقوا بالقائد فاتبعوه» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٠، ص ٣٢٢).

الملاحق

بسم الله الرحمن الرحيم

الملحق (١) موجز تواريخ الائمة(ع) :

الإمام الاول: امير المؤمنين علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم(ع)

ابن عم رسول الله(ص) وزوج ابنته الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء، ولد بعد مولد النبي(ص) بثلاثين عاماً يوم الثالث عشر من رجب وامه فاطمة بنت أسد بن هاشم في الكعبة الشريفة وهي منقبة عظيمة للوالدة والولد لم يسبقهما اليها أحد وتربى في احضان النبي(ص) ، وكان عمره حين البعثة النبوية الشريفة عشر سنين وكان هو وخديجة بنت خويلد زوج النبي الكريم(ص) المؤمنين الوحيدين مع رسول الله(ص) قبل إعلان دعوته وتحمل معه(ص) أذى قريش ودافع عنه وقد نبّه النبي(ص) في وقت مبكر من دعوته الى ان علياً هو وزيره وخليفته من بعده حين نزلت الآية الشريفة:﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء:٢١٤). وشارك معه(ص) المحن الكبيرة ومنها حصارهم في شعب ابي طالب حتى توفي ابو طالب سيد قريش والمحامي عن رسول الله(ص) وتوفيت خديجة فانهدّ ركنان لرسول الله(ص) وأذن له بالهجرة الى المدينة المنورة وترك علياً يبيت في فراشه ليوهم رجال قريش الذين حاصروا دار رسول الله(ص) ليقتلوه أن رسول الله(ص) موجود حتى غادر(ص) مكة وعندما هجموا على الدار وجدوا علياً في فراشه فردوا خائبين ثم لحق برسول الله(ص) في المدينة مصطحباً معه النساء على مرأى ومسمع من قريش الذين حاولوا ردّه حفظاً لكرامتهم الجريحة فلم يستطيعوا وقتل أحد أبطالهم ثم أذن الله تبارك وتعالى لنبيه بالقتال فكان عليّ بطل المواقف كلها في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي خيبر وفي حنين حين انكشف المسلمون عدة مرات وتركوا النبي(ص) وسط المشركين وعليٌ(ع) يردّ عنه الكتائب والالوية، زوجّه ابنته فاطمة الزهراءg في السنة الثانية من الهجرة بعد معركة بدر فولدت له الحسن والحسينH فكان الخمسة هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وكان(ص) يحوطهم بعناية خاصة ويثني عليهم ويبين منزلتهم الرفيعة للمسلمين بحيث يقول ان (علياً مع الحق والحق مع علي) وأن (فاطمة يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها) ويوم فتح مكة والقضاء على مشركي قريش في السنة الثامنة من الهجرة صعد على كتف رسول الله(ص) وكسّر الاصنام وأزالها عن ظهور الكعبة

ويوم الغدير بعد ان انهى النبي(ص) حجة الوداع قبل وفاته بشهرين وعشرة أيام جمع عشرات الآلاف من الصحابة ونصب لهم علياً أميراً وإماماً وهادياً وخليفة بعده بأمر الله تبارك وتعالى حين نزلت الآية الشريفة ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس﴾ (١)، حيث استاء عددٌ من الصحابة من هذا التنصيب حسداً وقد كانت نفوسهم تحلم بالتسلط على رؤوس المسلمين وأجرى رسول الله(ص) عدة اجراءات لحماية هذا القرار من المتآمرين فأمرهم بالخروج في جيش بقيادة اسامة بن زيد بن حارثة لقتال الروم لتنتقل القيادة بهدوء الى علي(ع) بعد وفاته لكن القوم عرفوا الهدف فخالفوا امر رسول الله(ص) وبقوا في المدينة حتى لعنهم رسول الله(ص) ونفذوا ما اردوا بالحديد والنار وحاصروا دار علي(ع) بمجرد وفاة رسول الله(ص) في ٢٨ صفر سنة ١١ للهجرة واعتدوا عليه وعلى زوجته الطاهرة وارغموه على بيعتهم وخشي إن خالف ان تقع الفتنة بين المسلمين والاقتتال وتعود الناس الى جاهليتها فصبر وفي العين قذى وفي الحلق شجى وبقي جليس الدار لكنه لم يبخل عليهم بالنصح والارشاد وتبليغ ما خفي عنهم من الاحكام وتقديم الاراء الصائبة التي حفظت الاسلام والمسلمين الى سنة ٣٥ هجرية حيث قتل الخليفة الثالث وبويع الإمام علي (ع) بيعة جماهيرية وانثال عليه الناس كما يصف(ع) في نهج البلاغة فقام بالامر بعد القاء الحجة عليه وهو يعلم ان الظرف لم يُعد صالحاً فقد تمزقت الامة وانتشر حب الدنيا ولعبت المطامع في عقولهم وعصفت بهم الفتن وضاع الحق في ركام من التحريف والتشويه لذا أعلنت عليه الحرب أقوام متعددة ودخلت الامة خلال خمس سنين من خلافته حروباً طاحنة اهلكت عشرات الآلاف من خيار الامة وفيهم بقية الصلحاء من اصحاب النبي(ص) كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وعمار بن ياسر وابي الهيثم بن التيهان ومالك الاشتر حتى صار(ع) يتمنى الموت على منبر مسجد الكوفة حيث نقل عاصمة خلافته الى هناك بعد معركة الجمل عام ٣٦ هـ ويبكي حتى تخضلّ لحيته الشريفة بالدموع الى ان اغتاله اللعين عبد الرحمن بن ملجم المرادي وهو من الخوارج عند صلاة الفجر من ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ هـ وتوفي بعد ليلتين ودفن في النجف الاشرف وأعلن خصمه اللدود معاوية بن ابي سفيان الذي

---

(١) المائدة: من الآية٦٧.

خاض حرباً ضروساً هي (صفين) مع الإمام علي(ع) مدى سنة ونصف السنة أعلن وفاة الإمام(ع) عيداً في الشام وقويت شوكته حيث استطاع خلخلة جيش الإمام(ع) باغتيال قادته وإغراء رموز أخرى فيه وإلقاء الشبهات بينهم فانشق على الإمام(ع) آلاف من مقاتليه حكموا بكفر الإمام(ع) وقاتلوه في معركة النهروان حيث أباد(ع) اكثرهم لكن هذه الاحداث فتّت في عضد الإمام وحرمت الامة نفسها من الاستفادة من علم الإمام وقدرته على تطبيق المنهج الالهي القويم ودفن (ع) في النجف الاشرف سراً لكي لا يعلم مرتزقة معاوية بقبره فينبشوه، وكانت مدة إمامته(ع) ثلاثين عاماً وعمره الشريف (٦٣) سنة كعمر رسول الله (ص) .

الإمام الثاني: الحسن بن عليH

بن ابي طالب وامه فاطمة بنت رسول الله(ص) ولد في النصف من رمضان من السنة الثالثة من الهجرة وسمّاه جده بهذا الاسم الجميل الذي لم يسبق له أحد ونشأ في ذلك البيت الطاهر الذي أذهب الله عنهم الرجس وكان يحضر في مسجد جدّه ويستمع اليه(ص) وهو يبلغ عن ربّه ما يوحى اليه عن طريق الامين جبرئيل ويعي بيانه وينقله الى امه الزهراء، وكان النبي(ص) يحوطه وأخاه الحسين(ع) بمحبة وتكريم خاصين فيحملهما على ظهره ويجلسهما في حجره ويقول: هما ريحانتاي وهما سيدا شباب أهل الجنة وأنهما الإمامان من بعد ابيهما سواء قاما بالأمر أو قعدا عنه لعدم توفر مقوّماته شهدا محنة وفاة جدهما(ص) وعدوان القوم على دار امهما الزهراء وإكراه أبيهما على البيعة وغصبه حقه ورغم ذلك فانهما لم يقطعا عطاءهما عن الامة وخرجا مع جيوش المسلمين في فتوح اذربيجان في العقد الثالث من الهجرة وبعد تسلّم الإمام علي(ع) الخلافة شاركاه في معاركه لكنه كان يبخل بهما عن الحرب ويرسل اولاده الآخرين من غير فاطمة الزهراء كمحمد بن الحنفية فقيل له عن ذلك قال: محمد ولدي وهذان ولدا رسول الله(ص) فانا احفظ اولاد رسول الله(ص) من القتل وقال محمد يدي وهذان عيناي فأنا ادافع بيدي عن عيني.

اوصى امير المؤمنين(ع) له بالإمامة بعد استشهاده وبايعته سائر الامصار الاسلامية عدا معاوية في الشام ونابذه الحرب فجهزا جيوشهما لمعاودة القتال في صفين لكن معاوية استطاع اغراء قائد طلائعه بأموال طائلة فترك قيادة الجيش والتحق بمعاوية وهكذا فعل مع قادة الوحدات العسكرية ورؤساء العشائر فتفكك جيش الإمام(ع) وسرت الشائعات في صفوفه وكثر المنافقون فيه حتى انقلبوا على الإمام الحسن(ع) وخاطبوا معاوية: إن شئت تسليم الحسن سلّمناه اليك فاضطر الإمام الى مصالحة معاوية بعد تسلّمه الخلافة بعدة اشهر واشترط على معاوية شروطاً لم يفِ بها كما هو شأنه وغادر الإمام(ع) الكوفة عائداً الى المدينة مع أخيه الحسين(ع) وسائر ذويه وبقي يدافع عن شيعته ويراقب دسائس معاوية ويحاسبه عليها حتى قرر الاخير قتله للتخلص منه لان وجود مثله في الامة لا يجعل لمعاوية نصيباً في قيادتها فاتفق مع زوجة الإمام (ع) جعدة بنت الاشعث الكندي على دس السم اليه وقتله مقابل اماني يحققها

لها فاستشهد الإمام(ع) في السابع من صفر سنة ٥٠ للهجرة ودفن في البقيع مجاور المسجد النبوي الشريف بعد ان ظنّ الحاقدون والحاسدون أن أخاه الحسين(ع) يريد دفنه بقرب جدّه(ص) ورموا جنازته بالسهام، وكان عمره الشريف (٤٧) عاماً، ومدة إمامته عشر سنوات.

الإمام الثالث: الحسين بن عليH

بن ابي طالب وامه فاطمة الزهراءθ ولد في الثالث من شعبان في السنة الرابعة من الهجرة شارك أخاه الحسن(ع) في نشأته وفيما قلناه من رعاية جده وتكريمه ومناقبه ومشاركته اباه حتى استشهاده وبقي الى جنب اخيه الحسن(ع) يتجرع غصص خذلان الامة لهما وتضييعها لحقهما مما جعل معاوية يتلاعب بمقدرات الامة ومقدساتها ويعيث في الارض فساداً ويعطل شريعة الله تبارك وتعالى ويعيد الناس الى جاهليتها الاولى ويتتبع أهل الحق بالقتل والسجن والتشريد ويجعل سب أبيهما امير المؤمنين(ع) سنة على جميع منابر المسلمين حتى قاتل أخاه الحسن ريحانة رسول الله(ص) وبقية أهل بيته ولم يكتف بذلك حتى جعل ابنه الفاسق يزيد ولياً للعهد خلافاً لما اشترطه الإمام الحسن في الصلح ان تكون الخلافة بعده للامام الحسن ثم للحسينH وكان الإمام الحسين(ع) لايقصّر في وعظه وتوبيخه وتحذيره حتى مات معاوية في رجب سنة ٦٠ للهجرة واراد يزيد أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين(ع) فامتنع وخرج من المدينة مع أهل بيته الى مكة اواخر رجب وبقي هناك عدة أشهر يبيّن فسق وفجور بني امية وعدم اهليتهم لقيادة الامة وهو ما اتضح جلياً لدى الامة فجاءته الوفود تطالبه بالتحرك ضد السلطة خصوصاً من معقل شيعته الكوفة حيث وصلته الآف الرسائل والتوقيعات بالنصرة فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل في النصف من شوال ليستطلع له الحال لكن الاوضاع تغيرت اذ ارسل يزيد عبيد الله بن زياد المعروف بالبطش والقسوة والياً على الكوفة بدلاً من النعمان بن بشير الذي اتهمه بالضعف ففشلت تعبئة مسلم واستشهد بعد ان خذله انصاره في الثامن من ذي الحجة وهو اليوم الذي خرج فيه الإمام من مكة قاصداً العراق حيث وصل كربلاء في الثاني من المحرم عام ٦١ ، فبعث عبيد الله الجيوش لقتاله بقيادة عمر بن سعد حتى اكتملت ثلاثين الفاً والإمام في سبعين فقط من اصحابه ودارت معركة رهيبة يوم العاشر من محرم استشهد في

نهايتها الإمام الحسين(ع) وسبعة عشر من اهل بيته بينهم ولدان له وآخران لأخيه الحسن والباقي لاولاد عمومته وأخذت عائلته الكريمة سبايا وفيهم اخته زينب عقيلة الهاشميين وزوجته وبناته وزوجة أخيه الحسن(ع) ونساء الشهداء معه إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة ثم الى يزيد في الشام واعيدت النسوة الى كربلاء ثم الى المدينة ومعهن الإمام السجاد زين العابدين ابن الإمام الحسين، وكان مريضاً جداً فتركه الاعداء ولم يقتلوه. ومدة إمامة الحسين(ع) عشر سنين كأخيه الحسن(ع) ، وعمره الشريف (٥٧) عاماً .

الإمام الرابع: علي بن الحسينH

لُقّب بزين العابدين والسجاد لطول عبادته وتهجّده ، ولد في الرابع من شعبان سنة ٣٨ للهجرة وأمه بنت كسرى زعيم الفرس عاش مع ابيه وعمه محنتهما وتجّرع الآم معركة الطف حيث كان مريضاً مسجى في الخيمة ويأتيه والده وعمه العباس وعمته زينب لعيادته ولإخباره بما يجري حتى استشهد العباس وسائر اصحاب ابيه فهبّ للدفاع عن إمامه العظيم وبقية النبي(ص) لكن الإمام الحسين(ع) أوصى اخته العقيلة زينب ان تحبسه لئلاّ تخلو الارض من حجة الله تبارك وتعالى واقتيد مكبلاً بالحديد مع عماته وأخواته وهو ينظر الى رأس أبيه ورؤوس اصحابه مرفوعة على رؤوس الرماح والاعداء يتصفحون وجوه عقائل النبوة وفيهم زوجته بنت الإمام الحسن(ع) وولده محمد الباقر طفل صغير وهي حائرة بين ستر نفسها وحماية ولدها وكانت هذه اعظم المشاهد التي مرّت به وبقي يتجرع مرارتها وعاد مع السبايا الى المدينة بعد مقتل ابيه واستقبله أهلها وكان يوماً كيوم مات فيه رسول الله(ص) واعتزل الناس واتبع أساليب في أداء رسالته لا تعرضه لبطش الامويين المنسلخين من كل دين واخلاق ومبادئ إنسانية واقرأ كمثال ما سجلّه التاريخ من فضائع حين اقتحموا المدينة المنورة بعد واقعة الحرة سنة ٦٣ هـ ، وحين وقعت ثورة اهل المدينة على يزيد ودارت معركة الحرّة وقتل فيها الآلاف من اصحاب رسول الله(ص) وأبنائهم خرج بأهله من المدينة وعاد لائذاً بقبر جده(ص) فحماه الله تعالى من بطش الجيش الاموي وانتهى ملك يزيد وجاء بعده ابنه معاوية الذي تنازل عن العرش بخطاب اوضح فيه ان اباه وجده غصبوا هذا الموقع من اصحابه الشرعيين وهم علي وبنوه فانتهى عهد آل ابي سفيان وجاء ملك مروان بن الحكم ثم ولده عبد الملك الذي ارسل جيشاً الى مكة للقضاء على عبد الله بن الزبير وقد تحصّن بمكة فحوصر فيها ورميت الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت استارها وعاش بطش هذا الرجل وقسوته بحيث إن احدى سيئاته الحجاج بن يوسف الثقفي اميره على العراق ومن بعد عبد الملك ولده الوليد حيث توفي الإمام مسموماً بأمره وبتحريض من أخيه هشام الحاقد على الإمام خصوصاً بعد حادثة الفرزدق المذكورة.

كانت وفاة الإمام في الخامس والعشرين من محرم سنة ٩٥ هـ ومدة إمامته (٣٤) سنة ، وعمره (٥٧) سنة كأبيه الحسين (ع) .

الإمام الخامس: محمد الباقر(ع)

بن علي بن الحسين لُقّب بالباقر لوصف جده رسول الله(ص) إياه بأنه يبقر علوم الاولين والآخرين في حديث نقله الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الانصاري وكنيته ابو جعفر ، ولد في الاول من رجب سنة (٥٧) هجرية بالمدينة المنورة وأمه فاطمة يقال لها ام عبد الله بنت الإمام الحسن جليلة القدر عظيمة المنزلة وصفها الإمام الصادق(ع) بأنها صدّيقة ، أجمع على سعة علمه حتى أعداءه قال عنه ابن حجر الهيثمي في الصواعق المحرقة: (أظهر من مخبئات كنوز المعارف وحقائق الاحكام واللطائف ما لا يخفى الا على منطمس البصيرة او فاسد الطوية والسريرة) . كان مع ابيه وجده يوم عاشوراء وشهد معركة الطف وذاق مرارة السبي والأسر حتى عاد الى المدينة.

عاش في كنف ابيه وربما قام ببعض المهمات عنه كإجابة بعض الاسئلة وارساله الى الشام لانقاذ الدولة من تبعيتها النقدية الى دولة الروم وبعد استشهاد ابيه استقل بالإمامة وعاصر عدداً من ملوك بني أمية: الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك الذي يكتب له والي مصر ان الضرائب قد أجهدت الرعية حتى لم يبق لهم شيء فلو ارفقت بهم قال له ويلك احلب الدر فإن لم تجد فاحلب الدم، ثم بعده عمر بن عبد العزيز الذي حاول ان يصلح بعض ما أفسد اجداده فرفع السب عن امير المؤمنين علي(ع) من على المنابر وألزم الخطباء أن يتلوا بدلاً منها الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١) ، ولم تدم امرته ازيد من سنتين فجاء بعده يزيد بن عبد الملك ثم هشام بن عبد الملك اللذان سخرا من إصلاحات ابن عمهما ووصفاه بأنه مغرّر به فعادا الى جرائم أسلافهم.

استدعاه هشام الى الشام فذهب الإمام ومعه ابنه جعفر الصادق(ع) وهناك حاول هشام اهانته والاستخفاف به فطلب ان يرمي بالقوس هدفاً وضع له فاعتذر الإمام وقال: إني قد كبرت عن الرمي فأصرّ هشام فأخذ الإمام سهماً وأصاب قلب الهدف وأخذ ثانياً فشق به الاول ثم

---

(١) النحل: ٩٠.

استمر حتى العشرة فاعجب هشام وذهل ودار بينهما حديث ومحاججة ثم ارجعه الى المدينة ولم يصبر على وجوده المقدس وبركاته التي عمّت الامة حتى قتله مسموماً في السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هجرية ودفن في البقيع عند ابيه وعمه الإمام الحسن المجتبى(ع) وعمره (٥٧) عاماً كأبيه ومدة إمامته (١٩) عاماً.

الإمام السادس: ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق(ع)

ولد في السابع عشر من ربيع الاول وهو يوم مولد رسول الله(ص) سنة ٨٣ للهجرة في المدينة لقبّه الصادق جده رسول الله(ص)(١) ، أمه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر قال الإمام الصادق(ع) في حقها: (كانت امي ممن آمنت واتقت واحسنت والله يحب المحسنين) حتى قيل للامام الصادق(ع): ابن المكرّمة لجلالة قدرها وأمها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر لذا كان يقول الإمام(ع) تأليفاً لقلوب العامة: (ولدني ابو بكر مرتين) ، تولّى الإمامة بعد وفاة أبيه وعاصر ملوك بني امية: هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد بن مروان آخر ملوك بني أمية وفي عصره وقعت ثورة زيد الشهيد وما ارتكبه الامويون من فضائع يندى لها الجبين وقد أثرت في قلب الإمام(ع) وكان يتتبع أخبار زيد بألم وحرقة وبكاء، وعاش فترة ضعف الدولة الاموية وانشغالها بالحروب الداخلية والثورات المتتالية فقصده العلماء وطلاب العلوم من اصقاع الارض وكان له مجلس عام وقوله هو فصل الخطاب وعدّ تلامذته فكانوا اربعة آلاف صار بعضهم أئمة لمذاهب كابي حنيفة ومالك بن أنس وبدأ في زمانه تلاقح الحضارات وترجمة العلوم واشتداد الحوار والجدال والخصومة بين التيارات الفكرية والعقائدية فهيأ مجموعة من تلامذته للدفاع عن العقيدة الحقة ودحض الاراء الفاسدة وقد سجّلت الكتب كالاحتجاج وتحف العقول واصول الكافي عدداً وافراً منها.

وبدأ الهاشميون (علويون وعباسيون) تحركات لاسقاط الملك الاموي وعقدوا اجتماعات متكررة كان الإمام يبعد نفسه عن تأييدها لأنه يعلم مصيرها ونجحت حركتهم في اسقاط الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية وحاول قادة جيوش الثورة استدراج الإمام(ع) لقيادتها بعد ان رأوا نية العباسيين في الاستئثار بالسلطة فلم يفلحوا وكان ابو العباس السفاح اول ملوك بني العباس الذي بطش بالامويين وبقي اربع سنين حتى جاء ملك ابي جعفر المنصور الذي انهى معارضة خصومه من العلويين الذين كانوا يشاركونه بالامس اجتماعات الثورة ضد الامويين فقضى

---

(١) منتهى الآمال/ ١٨٩.

عليهم بصور بشعة واولغ في الدماء وكان الإمام(ع) يتابع كل تلك الجرائم ويتألم بقدر آلام أهلها كما في خطابه لعبد الله المحض بن الحسن بن الإمام الحسن والد محمد النفس الزكية وابراهيم اللذين قادا ثورتين ضد المنصور، واستدعى السفاح والمنصور الإمام الصادق(ع) الى عاصمة ملكهما اكثر من مرة سجلها التاريخ ولم يستقر للمنصور قرار حتى قضى على الإمام الصادق(ع) بالسمّ في الخامس والعشرين من شوال سنة ١٤٨ هجرية وعمره المبارك (٦٥) عاماً ومدة امامته اربع وثلاثون سنة ودفن بالبقيع الى جنب سلفه الطاهر.

الإمام السابع: ابو الحسن موسى بن جعفر(ع)

ولد في السابع من شهر صفر سنة (١٢٨) للهجرة في الابواء وهو منزل بين مكة والمدينة امه حميدة لقبها الإمام الصادق(ع) بالمصفاة وقال فيها: (حميدة مصفاة من الادناس كسبيكة الذهب ما زالت الاملاك تحرسها حتى أدّيت اليّ كرامة من الله لي والحجة من بعدي)[١] وكانت غاية في العلم والفقاهة حتى ان الإمام الصادق(ع) كان يأمر النساء بالرجوع اليها في أخذ الاحكام.

تولّى الإمامة بعد وفاة ابيه الصادق(ع) في شدة عتو المنصور وطغيانه بحيث يكتب الى والي المدينة: انظر الى من اوصى جعفر بن محمد فاضرب عنقه ولا تراجعني لكنه فشل بلطف الله تبارك وتعالى وبالتخطيط الذي وضعه الإمام الصادق(ع) ولم يكن الامام (ع) يرشد اصحابه الى نفسه حتى مات المنصور وجاء ابنه محمد الملقب المهدي واستمر في مراقبة تحركات الإمام واستدعائه الى العاصمة بغداد وتوجد حوارات بينهما ذكرنا بعضها في الكتاب حتى هلك فجاء ولده موسى الهادي الذي ملك سنة واحدة وفيها وقعت معركة فخ التي جرّت المآسي على ذرية رسول الله(ص) وتجرّع آلامها الإمام(ع) ولما جاءوا موسى الهادي برؤوس الحسين بن علي الحسني واصحابه قال بقي عميدهم وسيدهم موسى بن جعفرH قتلني الله إن لم اقتله لكنه هلك سنة (١٧٠) هـ فجاء بعده أخوه هارون الذي شدّد الوطأة على الإمام واعتقله في سجون متعددة مدداً متفاوتة بحيث بلغ مجموع مدة سجونه لدى هارون وسلفه ما لا يقل عن عشر سنين وكان آخر اعتقال له بدأ سنة ١٧٩ هـ حينما حج هارون ومهّد لهذا الأمر وكان هارون احياناً يخفف القبضة عليه فيسمح له بالتجول في بغداد ثم يعيده الى السجن وفي احداها حدثت الواقعة المعروفة مع بشر الحافي التي ادت الى انقلابه من الفسق والفجور الى درجة رفيعة من الزهد والصلاح والعرفان وكانت اضيق تلك السجون في حبس السندي بن شاهك وهو مجوسي يريد أن يتقرب الى ولي نعمته هارون فحبسه في طامورة ظلماء لا يعرف فيها الليل من النهار .

---

(١) هذه الرواية ونظائرها مما ذكرناها في هذا الموجز موجودة في المصادر وقد جمعها المرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه: (منتهى الآمال).

نال الشهادة حيث دس له السم في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٨٣ هجرية وحاول ان يدفنه كالغرباء لكن ثورة عارمة عمّت العاصمة بغداد دفعت رجال البلاط العباسي الى اعلان تشييع عام شاركوا فيه ودفن في مقابر قريش غرب بغداد.

عُرف عليه السلام بكظم الغيظ والاحسان الى من أساء اليه وكان اذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث اليه بصرّة دنانير وكانت صراره ما بين ثلاثمائة الى المائتين دينار فكانت صرار موسى مثلاً. وقد اغتنم فرصة سجنه للتفرغ لعبادة ربه وكان يقول: (الهي طالما دعوتك ان تفرغني لعبادتك وقد فعلت).

حاول هارون ان يستميله بشتى الوسائل ومنها إرساله الى السجن بجارية جميلة وضاءة لتخدمه فخرجت منه وهي ذات عبادة وسجود طويل وتشخص ببصرها نحو السماء وترتعد حيث انبهرت بسيرة الإمام(ع) وهدده بالقتل واكتفى منه بأن يطلب منه اطلاق سراحه ليطلقه ويعطي لنفسه المشروعية بذلك لكن الإمام رفض ذلك كله فازداد سمواً وكان هارون ربما صعد سطحاً يشرف منه على الحبس الذي حبس فيه أبا الحسن(ع) فكان يرى ابا الحسن(ع) ساجداً فقال للربيع : يا ربيع ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع فقال: يا امير المؤمنين ما ذاك بثوب وإنما هو موسى بن جعفر(ع) له كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال، فقال الربيع: فقال لي هارون: أما إن هذا من رهبان بني هاشم قلتُ فما لك قد ضيّقت عليه في الحبس ؟ قال هيهات لابد من ذلك.

توفي(ع) وعمره (٥٥) عاماً ومدة إمامته (٣٥) سنة.

الإمام الثامن: ابو الحسن علي بن موسى الرضا(ع)

ولد في الحادي عشر من ذي القعدة سنة (١٤٨) في المدينة المنورة بعد وفاة جدّه الصادق(ع) بأيام،وكان متلهفاً لرؤيته كما روي عن الإمام موسى الكاظم(ع) أنه قال: (سمعت ابي جعفر بن محمد(ع) غير مرة يقول لي: ان عالم آل محمد لفي صلبك وليتني ادركته فانه سمي امير المؤمنين علي(ع)) وكان الإمام موسى بن جعفر يسمي ولده علياً (الرضا) وكان يقول: ادعوا لي ولدي الرضا، وقلت لولدي الرضا، وقال لي ولدي الرضا، واذا خاطبه قال: يا ابا الحسن.

أمه جارية لأم ابيه الإمام الكاظم(ع) اسمها تُكتم وكانت من افضل النساء في عقلها ودينها وإعظامها لمولاتها حميدة المصفّاة زوجة الإمام الصادق (ع) فقالت لابنها موسى: يا بني ان تُكتم جارية ما رأيت جارية قط أفضل منها ولست أشك أن الله تعالى سيطهّر نسلها إن كان لها نسل وقد وهبتها لك فاستوصِ بها خيراً فلما ولدت له الرضا سماها الطاهرة.

تولّى الإمامة بعد وفاة ابيه وكان في المدينة في اجواء إرهابية وقبضة حديدية لا يسمح هارون العباسي بها بأي تهديد لسلطته ولو احتمالاً وهو الذي يخاطب السحاب (اينما تمطرين ففي ملكي وخراجك اليّ) وإضافة الى ذلك فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية للدولة الاسلامية وعاشت ترفاً وبذخاً عظيمين وانتشرت مجالس اللهو والفسق والفجور واصبحت بغداد قبلة الناس وسرت في جسد الامة الامراض الفكرية والعقائدية والاخلاقية وحليت الدنيا في اعين قوم وساهمت كل هذه العوامل في تراجع المستوى الايماني لدى الناس حتى داخل مذهب أهل البيت(ع) وانشقت فرقة سميت بالواقفة لم تقل بامامة الرضا(ع) فبدأ الإمام حركة للمّ صف الشيعة ثم بث الوعي الديني والاخلاقي في الامة.

وازداد نشاطه بعد وفاة هارون سنة ١٩٣ هـ وحكم ابنه محمد الامين الذي كان مشغولاً باللهو والمجون وما لبث ان عزل اخاه المأمون عن ولاية العهد سنة ١٩٥هـ فخلع المأمون أخاه عن الخلافة وانفصل بخراسان ثم جهّز جيشاً لقتال أخيه واستمرت المعارك حتى انتهت بسقوط بغداد وقتل الامين سنة ١٩٨ هـ وتولّى المأمون الخلافة.

عقد للرضا(ع) ولاية العهد حدود سنة ٢٠٠ هـ وأمر بجلبه رغماً عنه فودّع الإمام قبر جده المصطفى(ص) بنحيب وبكاء وكذا ودع ولده محمداً الجواد وهو ابن خمس سنين وأمر ذويه ومتعلقيه ان يطيعوا ولده الجواد(ع) من بعده وأعلمهم أنه سوف لا يرجع من سفره هذا .

قتله المأمون بالسم في السابع عشر من صفر او آخر صفر سنة (٢٠٣) هجرية ودفن في طوس وعمره (٥٥) عاماً ومدة إمامته عشرون سنة.

كان(ع) يكثر وعظ المأمون وروي ان المأمون كتب الى الرضا(ع) فقال: عظني فكتب(ع) :

إنّك في دنيا لها مدةٌ يقبل فيها عمل العامل
اما ترى الموت محيطاً بها يسلب منها أمل الآمل
تعجّل الدنيا بما تشتهي وتأمل التوبة من قابل
والموتُ يأتي أهله بغتة ما ذاك فعل الحازم العاقل

الإمام التاسع: ابو جعفر محمد بن علي الجواد(ع)

ولد في العاشر من رجب سنة (١٩٥) هجرية في المدينة المشرفة، أمه أم ولد سمّاها الرضا(ع) الخيزران وكانت من اهل النوبة ومن قبيلة مارية القبطية ام ابراهيم ابن رسول الله(ص) وكانت افضل نساء زمانها، ولما توفي ابوه كان هو بالمدينة وله من العمر ثمان سنين فشكّ كثيرون انه الإمام بعد ابيه وحاولت الدولة المتغطرسة ان تستغل ذلك لتسخيف عقيدة الشيعة الإمامية فعقدوا له المناظرات والمسائل فأجابهم جميعاً وأذعن الجميع له بالتفوق عليهم وأقرّ له بالإمامة من كان في قلبه شكّ لصغر سنه.

حاول المأمون ان يقربه بعد أن سمع الناس يتداولون اتهامه بقتل ابيه الرضا(ع) فاستدعاه من المدينة الى بغداد وزوجه ابنته ام الفضل رغم اعتراض بني العباس وكراهتهم لذلك وحذّروه من خروج الملك منهم الى آل علي(ع) وطالبوه ان يتصرف كأسلافه فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل ابي طالب فآباؤكم سبب ذلك (ولو انهم لم يغصبوا حقّهم لما وقعت عداوة بيننا وبينهم وهم اولى بالخلافة منّا) وقد اعجب الناس بعلمه ونبوغه فقال له شخص: إن شيعتك تدّعي انك تعلم كل ماء في دجلة وزنه؟ وكنّا على شاطئ دجلة فقال(ع) لي: يقدر الله تعالى ان يفوّض علم ذلك الى بعوضة من خلقه ام لا؟ قلت: نعم يقدر فقال: أنا اكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه.

بقي عند المأمون معززاً مكرماً مهاباً الا ان قلبه عند مدينة جده رسول الله(ص) .

روى الحسين المكاري قال: دخلت على ابي جعفر(ع) ببغداد وهو على ما كان من امره - أي من العظمة والحظوة لدى البلاط العباسي - فقلت في نفسي: هذا الرجل لا يرجع الى موطنه ابداً وأنا أعرف مطعمه ، قال: فأطرق رأسه ثم رفعه وقد اصفرّ لونه فقال: (يا حسين خبز شعير وملح جريش في حرم جدي رسول الله(ص) أحبّ اليّ مما تراني فيه).

وكان يضيق بمعاشرة المأمون فاستأذنه في الذهاب الى الحج وصحب زوجته ام الفضل ومن هناك عاد الى مدينة جده(ص) حتى مات المأمون واغتصب الخلافة أخوه المعتصم في رجب سنة ٢١٨ هجرية وسمع فضائل ومناقب الإمام اشتعلت في قلبه نار الحسد فاستدعى الإمام الى بغداد فوصلها الإمام في محرم سنة (٢٢٠) وخطط المعتصم لقتل الإمام(ع) فرأى ان

افضل وسيلة هي السم بواسطة زوجته ام الفضل التي كانت تضمر العداء والبغض للامام لانه يفضل ام الإمام الهادي(ع) - وهي جارية - عليها وطالما اشتكت الى ابيها المأمون لكنه يرد شكايتها لانه عزم على ان لا يمسّ الإمام الجواد(ع) بسوء بعد قتل ابيه الرضا(ع) لئلاّ يزول ملكه.

وكان السبب المباشر الذي أثار حفيظة المعتصم وشاية الحاسد قاضي قضاته ابن ابي داود عندما ترك المعتصم قوله وأقوال اصحابه من الفقهاء السائرين بركاب السلطة وأخذ بقول الإمام(ع) في حادثة قطع يد السارق ، فقال القاضي : إن نصيحة امير المؤمنين علي واجبة وأنا أكلمه بما أعلم إني ادخل به النار؟ قال: وما هو، قال القاضي: اذا جمع امير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من امور الدين فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك وقد حضر مجلسه أهل بيته وقوّاده ووزراؤه وكتّابه وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ثم يترك أقاويلهم كلهم لقول رجل يقول شطر هذه الامة بإمامته ويدّعون انه اولى منه بمقامه ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء ؟!

فتغير لون المعتصم وانتبه وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً، وعزم على قتل الإمام(ع) فسمّه بواسطة زوجته ام الفضل وتوفي الإمام(ع) في آخر ذي القعدة سنة (٢٢٠) هجرية عن عمر (٢٥) سنة ودفن في ظهر جدّه ابي الحسن موسى وكانت مدة إمامته (١٧) عاماً.

الإمام العاشر: ابو الحسن علي بن محمد الهادي(ع)

ولد في النصف من شهر ذي الحجة او الثاني من رجب سنة (٢١٢) هجرية في موضع قرب المدينة يقال له: (صريا) .

يُكنى بأبي الحسن الثالث بعد جدّيه ابي الحسن موسى(ع) وأبي الحسن الرضا(ع). امه سمانة المغربية وقال فيها الإمام الهادي: (امي عارفة بحقي وهي من اهل الجنة لا يقربها شيطان مارد ولا ينالها كيد جبار عنيد وهي مكلوء بعين الله التي لا تنام ولا تخلف عن امهات الصديقين والصالحين).

تولى الإمامة بعد وفاة ابيه الجواد(ع) وهو ابن ثمان سنين وكان في المدينة وبقي أيام المعتصم حتى مات سنة ٢٢٧ هـ وشهدت العاصمة العباسية صراعاً سياسياً كان الإمام(ع) مطلعاً عليه قبل ان تصل اخباره الى الناس كما يظهر من الحوار التالي: فقد روى الشيخ المفيد في الارشاد عن خيران الاسباطي انه قال: قدمت على ابي الحسن علي بن محمدH المدينة فقال لي: ما خبر الواثق عندك قلت: جعلت فداك خلّفته في عافية أنا من أقرب الناس عهداً به، عهدي به منذ عشرة أيام قال: فقال لي: ان اهل المدينة يقولون انه قد مات، فقلت: انا اقرب الناس عهدا قال: فقال لي: إن الناس يقولون انه مات، فلما قال لي: ان الناس يقولون، علمت انه يعني نفسه ثم قال لي: ما فعل جعفر (الذي لقب بالمتوكل)؟ قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن ، قال: فقال لي: أما انه صاحب الامر، ثم قال: ما فعل ابن الزيات (وزير الواثق وكان قاسياً وله اساليب وحشية في تعذيب خصومه السياسيين) قلت: الناس معه والامر امره ، فقال: اما إنه شؤم عليه، قال: ثم إنه سكت وقال لي: لابد ان تجري مقادير الله وأحكامه يا خيران، مات الواثق وقد قعد جعفر المتوكل وقد قتل ابن الزيات ، قلت: متى جعلت فداك؟ فقال: بعد خروجك بستة ايام ، كان ذلك سنة ٢٣٢ هـ .

وقد عاش الإمام بطش المتوكل وبغضه لأهل البيت(ع) وشدة وطأته على العلويين وشيعتهم اشخصه المتوكل الى سامراء بعد ان توالت عليه الكتب بازدياد شعبية الإمام(ع) وتوجّه الناس اليه ومنهم عبد الله بن محمد والي المدينة وبريحة العباسي الذي كتب الى المتوكل (إن كان لك في الحرمين حاجة فأخرج علي بن محمد فانه قد دعا الناس الى نفسه واتبعه خلق كثير) فارسل

المتوكل كتاباً في جمادى الثانية سنة ٢٤٣ كتاباً لطيفاً يطلب زيارة الإمام ومعه من يحب الى بلاط الخليفة ووجّه المتوكل احد قواده وهو يحيى بن هرثمة لجلب الإمام(ع) ، يقول يحيى: (فلما صرت اليه ضجّ أهلها ضجيجاً - يقول يحيى - ما سمعت مثله فجعلت اسكتهم واحلف لهم اني لم أؤمر فيه بمكروه).

ولما وصل سامراء تجاهل المتوكل امره وحاول الاستخفاف به فانزله دار الصعاليك .

روى الشيخ الكليني عن صالح بن سعيد قال: دخلت على ابي الحسن(ع) فقلت له: جعلت فداك في كل الامور ارادوا إطفاء نورك والتقصير بك حتى انزلوك هذا الخان الاشنع خان الصعاليك فقال: ها هنا أنا يا ابن سعيد، ثم اومأ بيده وقال: انظر فنظرت فاذا انا بروضات آنقات وروضات باسرات، فيهن خيرات عطرات وولدان كأنهن اللؤلؤ المكنون ، وأطيار وظباء وأنهار تفور، فحار بصري وحسرت عيني ، فقال: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، لسنا في خان الصعاليك.

تعرضت داره عدة مرات للمداهمة والتفتيش ، مرة في المدينة من قبل يحيى بن هرثمة، وأخرى في سامراء من قبل الاتراك بأمر المتوكل وفي كل مرة لا يجدون فيها شيئاً.

وفي احدى غضبات المتوكل كان يردد (والله لاقتلن هذا المرائي وهو الذي يدّعي الكذب ويطعن في دولتي) وهيأ اربعة من الخزر جلاف لا يفهمون شيئاً وأمرهم بتقطيع اوصال الإمام(ع) اذا دخل ولما دخل الإمام(ع) اخذتهم هيبته واسقط ما في ايديهم بلطف الله تعالى وكان يتمتم بكلمات لم يسمعوها .

وفي سنة ٢٣٦ هـ حاول المتوكل هدم قبر الحسين(ع) وما حوله ودفع حقده هذا على اهل البيت(ع) ولده المنتصر الى قتله سنة ٢٤٧ هـ فجلس مكانه وجاء بعده المستعين ومن بعده المعتز وفي أيامه استشهد الإمام الهادي (ع) بالسمّ في الثالث من رجب سنة (٢٥٤) هجرية ودفن في داره في سامراء عن عمر بلغ (٤٢) عاماً وكان مدة إمامته (٣٤) سنة.

الإمام الحادي عشر: ابو محمد الحسن بن علي العسكري (ع)

ولد في المدينة يوم الثامن من ربيع الثاني سنة (٢٣٢) هجرية وامه يقال لها (سليل) وكانت غاية في الصلاح والورع والتقوى وكانت في بلدها من الاشراف في مصاف الملوك ويكفي في فضلها أنها كانت مفزعاً وملجأ للشيعة بعد وفاة الإمام الحسن العسكري(ع) .

تولّى الإمامة بعد وفاة ابيه الهادي(ع) ويظهر من الروايات ان الإمام كان محبوساً دائماً ممنوعاً عن معاشرة الناس فكان دائم العبادة . روى المسعودي في (اثبات الوصية) ان ابا الحسن الهادي(ع) احتجب عن كثير من الشيعة الا عدد يسير من خواصه، فلما افضى الامر الى ابي محمد الحسن(ع) كان يكلّم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر الا في الاوقات التي يركب فيها الى دار السلطان وإن ذلك إنما كان منه ومن ابيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار.

صار المهتدي خليفة بعد المعتز ثم المعتمد الذي حبس الإمام العسكري (ع) وأخاه جعفر وكان كلما سأل عنه قيل له انه يصوم النهار ويصلي الليل فأمر بإطلاق سراحه لكنه(ع) رفض الخروج الا واخوه جعفر معه فأمر المعتمد بذلك وقال: قد اطلقتُ جعفراً لك لاني حبسته بجنايته على نفسه وعليك وما يتكلم به، وخلّى سبيله فصار معه الى داره.

كان(ع) يؤكد على ضرورة إكرام ذرية رسول الله(ص) ورعايتهم وقضاء حوائجهم وإن كان لبعضهم ما يكون وامتنع عن لقاء بعض كبار شيعته لانهم قصّروا في ذلك وإن كان موقفهم بمسوّغ شرعي لكي يقلع من قصّروا في حقه عن معاصيه وكان تكريمهم لهم لاحقاً بعد وصية الإمام(ع) سبباً لهدايتهم.

كان(ع) يتفقد شيعته في الامصار ويسأل عن أخبارهم ويدعو لهم وقد انتشر موالوا أهل البيت(ع) في كل مكان واغدق الله عليهم النعم . روى القطب الراوندي وقد سافر الى الحج ومرّ على سامراء فقال للامام(ع) : يا ابن رسول الله ان ابراهيم بن اسماعيل الجرجاني وهو من شيعتك كثير المعروف الى اوليائك ، يخرج اليهم في السنة من ماله، اكثر من مئة الف درهم وهو احد المتقلبين في نعم الله بجرجان ، فقال(ع): شكر الله لابي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل صنيعته الى شيعتنا، وغفر له ذنوبه) لاحظ ثروة شيعي واحد وفي تلك البلاد أي جرجان .

توفي الإمام(ع) مسموماً في عهد المعتمد يوم الثامن من ربيع الاول سنة (٢٦٠) للهجرة فصارت سر من رأى ضجة واحدة - مات ابن الرضا - ودفن في داره الى جنب أبيه. وكان عمره (٢٨) سنة ومدة إمامته ست سنوات.

الإمام الثاني عشر: الحجة ابن الحسن المهدي الموعود (ع)

الذي يملأ الارض قسطاً وعدلاً بعد ان يملأها الطغاة والفاسقون والكفار ظلماً وجوراً وُلِد ليلة النصف من شعبان سنة (٢٥٥) هجرية في سامراء، أمه نرجس جارية رومية من بنات امرائهم القياصرة وقد احاطتها العناية الالهية طول فترة أسرها حتى ارسل الإمام الهادي(ع) الى بغداد من يشتريها وهو بشر بن سليمان النخاس من ولد الصحابي الجليل ابي ايوب الانصاري ، وقال له: يا بشر انك من ولد الانصار وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف وانتم ثقاتنا اهل البيت وإني مزكّيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بسرّ أطلعك عليه وانفذك في ابتياع أمه.

وقال الإمام الهادي(ع) الى اخته حكيمة : ها هي! فاعتنقتها طويلاً وسُرّت بها كثيراً ، فقال لها: ابو الحسن(ع): يا بنت رسول الله خذيها الى منزلك وعلميها الفرائض والسنن فانها زوجة ابي محمد وأم القائم(ع).

اخفى الله تبارك وتعالى حمله في بطن امه كما اخفى حمل كليمه موسى بن عمران خوفاً من قتل فراعنة كل زمان وقد تواترت لديهم الاخبار عن رسول الله(ص) ان الإمام الثاني عشر سيطهّر الارض من الرجس وعبادة الطواغيت والظلم والحكم بغير ما انزل الله تعالى وحين اعلن نبأ وفاة الإمام الحسن العسكري(ع) بعث السلطان الى داره من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وازداد رعبهم حين تقدم جعفر اخو الإمام الحسن(ع) للصلاة عليه فلما همّ بالتكبير خرج صبي جذب رداء جعفر وقال: تأخر يا عم ، فانا احق بالصلاة على ابي وهي غير الصلاة الرسمية التي أقامها الخليفة لكن السلطة لما لم تعثر على ولد للإمام قسّمت ميراثه على ام الإمام العسكري وأخيه جعفر ، وادعت امه وصيته وثبّتت ذلك عند القاضي وكان الإمام الحسن(ع) قد ارسل والدته الى الحج سنة ٢٥٩ هجرية وأعلمها بوفاته سنة ستين - بعد المئتين - .

تولى الإمامة بعد وفاة ابيه وهو ابن خمس سنين والتقى في حوادث متفرقة مع عدد من الاشخاص نقلوا هذه الحوادث وهي مثبتة في الكتب المتخصصة.

وعيّن له سفراء اربعة كانوا حلقة الوصل بينه وبين شيعته وهم من عظماء فقهاء الشيعة وثقاتهم تتابعوا على هذه السفارة حتى عام ٣٢٩ حيث انتهت بوفاة السفير الرابع الغيبة الصغرى لوجود علاقة ما ولو غير مباشرة بين الإمام(ع) وشيعته وبدأت الغيبة الكبرى الممتدة الى الآن وقد اوصى شيعته بالرجوع الى الفقهاء العدول القادرين على العمل بالكتاب والسنة وعينهم وكلاء ونواب عامين له(ع) حتى يأذن الله تبارك وتعالى بالظهور وإقامة شريعة الله تعالى في الارض ونسأله تعالى أن لا يكون بعيداً وأن يجعلنا من شيعته وانصاره والمستشهدين بين يديه.

الملحق (٢) نماذج تطبيقية للدراسة:

١ - (ماذا نستفيد من حياة الامام السجاد (ع) في مرحلتنا الراهنة) [١]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على نبيه محمد وآله الطاهرين.

وصف الله تبارك وتعالى القرآن بأنه (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ)[٢] وقال عز من قائل عنه: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[٣]، وما على الانسان الا ان يستثير كوامنه ويستخرج دروه وجواهره بالوسائل التي توٴهله لهذا (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ)[٤]، وأولها الاخلاص لله تبارك وتعالى وتطهير القلب من الرذائل والنفس من الاهواء، وثانيها طلب العلم والمعرفة على يد الموٴهلين الصادقين(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)[٥].

وقد دلت الاحايث الشريفة بل الآيات المباركة على أن أهل البيت (ع) هم عدل الكتاب وصنوه كما في حديث الثقلين المشهور وأنهما لن يفترقا فحيثما تجد القرآن تجد أهل البيت (ع) وكل ما تريد ان تعرفه من الكتاب تجده في صدور أهل البيت(ع) مجسداً في سلوكهم لذا لما قيل لاحدى امهات المؤمنين صفي لنا رسول الله(ص) قالت: كان خلقه القرآن فلو حولت القرآن إلى سيرة عملية لكانوا هم (ع) ولو دونت سيرتهم (ع) في كتاب لكان هو القرآن فهم (ع) كتاب الله الناطق قال تعالى: (فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ)[٦]، أي ان حقائق هذا القرآن ومعارفه في اللوح المحفوظ المكنون ولا يصل إلى هذه الحقائق ويطلع عليها الا المطهرون

---

(١) محاضرة القيت بمناسبة ميلاد الامام السجاد (ع) في شعبان عام ١٤٢٤.

(٢) النحل : من الآية ٨٩ .

(٣) الأنعام: من الآية ٣٨.

(٤) الشورى: من الآية٢٠.

(٥) عبس: من الآية ٢٤ .

(٦) الواقعة : ٧٨ - ٧٩.

الذين أذهب الله عنهم الرجس وهم أهل بيت النبي (ص) بنص القرآن الكريم <إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً> [١].

ومحل الشاهد من هذه المقدمة العميقة ان سيرة أهل البيت (ع) كتاب مفتوح تجد فيه العلاج الناجح لكل مشاكلنا وأمراضنا والجواب الشافي لكل هواجسنا وتساؤلاتنا لأن في سيرتهم تبياناً لكل شيء وما علينا الا ان نفهمها فهماً صحيحاً ومعمقاً وجديداً بعد ان نقرأ الواقع الخارجي بدقة ونشخص مواطن العلة.

وما أحوجنا نحن المسلمين اليوم ان نستلهم من تلك السيرة المباركة ما نواجه به التحديات المتكثرة والمتنوعة واريد ان اتخذ من حياة الامام السجاد زين العابدين علي بن الحسين (ع) في ذكرى مولده مضماراً للشواهد على ذلك.

فنحن على ابواب انفتاح واسع على ثقافات العالم من خلال وسائل الاتصال المتطورة كالبريد الالكتروني والستلايت مما يهدد هوية المسلم في عقيدته واخلاقه اضعاف ما يحصل له في غيرها من الشهور فاذا فشلت لا سامح الله في استغلالها فسوف تكون خسارة عظيمة ولا تتوقع تعويضها في غيرها من الشهور واذا كان الامام المعصوم يقول: (لولا اننا نزداد في كل ليلة جمعة لنفد ما عندنا) فكم نحتاج نحن من هذه الشحنات المتدفقة علماً وإيماناً وحياة للقلب ولا نحتاج الى مؤونة كبيرة في تهيئة الزاد فان كلمات المعصومين (ع) فيها الكثير مما يحيي القلوب ويهذب النفوس والصحيفة السجادية حافلة بالمعاني السامية التي تصف العلاقة بالله تبارك وتعالى فله (ع) دعاء في الحمد والثناء على الله تبارك وتعالى، وآخر في اللجوء اليه، وآخر في الرضا بقضائه، وآخر في الشكر، وآخر في التذلل له سبحانه، وآخر في طلب الستر والوقاية، وآخر في الالحاح، وآخر في الاستعاذة ثم يصلي على النبي وآله والملائكة وحملة العرش والانبياء والرسل (ع).

ولا يترك مناسبة الا احياها فله (ع) دعاء في الفطر، والاضحى، وعرفة، ويوم الجمعة، وايام الاسبوع، واستقبال شهر رمضان ووداعه، بل في كل صباح ومساء ليكون العبد على ذكر دائم واتصال مستمر بربه وخالقه ومدبره ومولاه، (واجعل اوقاتي من الليل والنهار بذكرك

---

(١) الاحزاب : ٣٣ .

معمورة وبخدمتك موصولة) وهذا الذكر المتواصل وعدم الغفلة هو صمام الامان للانسان من الوقوع في الخطأ والانحراف فليس من المعقول ان يرتكب الذاكر لله تعالى معصية.

وضمت الصحيفة ايضا دروساً في الاخلاق وتنظيم العلاقات مع الآخرين وبيان حقوقهم فله (ع) دعاء لابويه، وآخر لولده، وآخر لجيرانه واوليائه، ودعاء طويل في طلب مكارم الاخلاق وتعليمها بهذا الاسلوب اي الدعاء فمن ذلك قوله (ع): (وأجر للناس على يدي الخير ولا تمحقه بالمن وهب لي معالي الاخلاق واعصمني من الفخر)، ويقول (ع): (ولا ترفعني في الناس درجة الا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزاً ظاهراً الا احدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها اللهم لا تدع خصلة تعاب مني الا اصلحتها، ولا عائبة أؤنب بها الا حسنتها، ولا اكرومة في ناقصة الا اتممتها)، (اللهم صل على محمد وآله وسدّدني لأن أعارض من غشني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبر، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافئ من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر، وأن اشكر الحسنة وأغضي عن السيئة اللهم صل على محمد وآل محمد وحلني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتقين في بسط العدل وكظم الغيظ ... والقول بالحق وإن عز واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي، واستكثار الشر وإن قلّ من قولي وفعلي).

ومما نستفيده من حياة الامام السجاد (ع) في مرحلتنا الراهنة تخطيطه للاستقلال النقدي للدولة الاسلامية عن الروم حينما حاول ملك الروم اذلال المسلمين واخضاعهم لمطاليبه والاّ سكّ الدنانير الرومية التي كانت هي العملة المتداولة في الدولة الاسلامية بسب نبي الاسلام فاضطرب عبد الملك بن مروان وقال: احسب انني اشأم مولود في الاسلام ولم يجد حلاً لهذه المشكلة فاستنجد بالامام السجاد (ع) الذي ارسل له ولده الباقر (ع) وشرح له كيفية صبّ عملة جديدة وإلغاء التعامل بالعملة الرومية ونفذ عبد الملك ذلك، وفرج الله تبارك وتعالى عنه وعن دولة الاسلام ببركة الامام (ع) الذي انقذ الدولة وحفظ لها استقلالها وإرادتها.

٢- (صور من نشاط الامام الصادق (ع))

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سيرة أهل البيت (ع) سفر جامع لكل ما تحتاجه البشرية من اراء ومواقف وحلول وبرامج عمل لمختلف القضايا التي تواجهها ولا عجب في ذلك فانهم عدل الكتاب العزيز وصنوه وقد وصف القرآن نفسه بانه: (تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ)[١] و(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[٢] فهم كذلك.

وبمناسبة ذكرى وفاة الامام الصادق (ع) نريد ان نستلهم من حياته (ع) بعض المعالجات لمشاكلنا ونتعلم منه (ع) كيف نصمد امام التحديات التي تحاول تقويض شخصيتنا ومسخ هويتنا ونعرض ذلك باختصار من خلال نقاط:

الاولى: ان الفترة التي نعيشها تشابه تلك التي عاشها الامام الصادق (ع) من حيث انها شهدت ضعف وانحلال دولة هي الاموية وظهور دولة جديدة هي العباسية فكان اهم عمل قام به في هذه الفترة الانتقالية وتخفيف قبضة الظالمين عنه هو نشر علوم أهل البيت (ع) وتثبيت الركائز الفكرية والعلمية الرصينة لهذه المدرسة حتى لقد نسب المذهب اليه فقيل: المذهب الجعفري لان جهده(ع) كان هو الاوضح في تأسيس هذا الصرح الشامخ وقد قطع الامام شوطاً واسعاً في هذا المجال فقد تخرج على يديه اربعة آلاف عالم في مختلف العلوم والفنون فابو حنيفة شيخ أئمة المذاهب من تلاميذه (ع) وله كلمته المشهورة: (لولا السنتان لهلك النعمان) وجابر بن حيان مؤسس علم الكيمياء من طلابه (ع) وغيرهم كثير وقد انتشر هؤلاء في الامصار ونقلوا معهم ما تعلموه وكان(ع) يحث على طلب العلم ويقول: (لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا) وخاطب (ع) اصحابه: (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعراباً فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر اليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً)، ونقل (ع) عن جده رسول الله (ص): (أفٍ لرجل لا يفرغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده

---

(١) النحل : من الآية ٨٩ .

(٢) الأنعام: من الآية ٣٨.

ويسأل عن دينه). ونحن اذ نعيش اليوم زوال أيام النظام الجائر الذي حرمنا من كثير من حقوقنا ونشوء دولة جديدة يكون من اولوياتنا تأسيس الحوزات العلمية الشريفة والمؤسسات الثقافية في جميع المدن لخلق واقع جديد من انتشار مراكز العلم والمعرفة يكون اساساً تبنى عليه الحياة الجديدة حتى يتسع الوضع الحالي الذي يفترض وجود الحوزة العلمية في مدينة النجف الاشرف لان مجرد وجود الكيان العلمي الديني في مدينة ما يعني دفعة قوية للحركة الاسلامية والالتزام الديني فضلاً عما لو تحرك هذا الكيان ليبلغ الاحكام ويعظ ويوجه ويرشد فانه سميلأ تلك المدينة ولا يترك فراغاً يمكن ان يشغله غيره ويحاصر الفساد والانحراف ويسد عليه منافذ الحركة.

الثانية: بيان وتوضيح المعالم الصحيحة لشخصية المسلم بعد ان مسخها الحكام الظلمة بما كانوا يصورون للأمة من جوانب مخزية لشخصيتهم وبما كانوا ينشئون في حياة المجتمع الاسلامي من واقع فاسد من فسق وفجور وخيانة وجور وانكباب على الدنيا وتقاتل من أجلها وولع بالخمر وعدوان على أهل الحق وكان وعاظ السلاطين السائرون في ركابهم يرقعون لهم هذه المخازي بضلالاتهم فضاعت الصورة الحقيقية للمسلم خصوصاً عند الاقوام التي دخلت الاسلام جديداً وليس لهم عمق تاريخي فيه وحرموا من التعرف على ائمتهم الحقيقيين فنهض الامام (ع) بمسؤولية هذا التعريف وكان يركز اهتمامه اكثر على شيعته باعتبارهم طليعة هذه الامة التي عرفت الحق واتبعته فتكون المسؤولية عليهم أكبر قال (ع): (فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى للناس الامانة وحسن خلقه معهم وقيل هذا شيعي يسرني ذلك ويدخل علي منه السرور، ومن كان غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره)، وقال (ع): (والله ما شيعة علي الا من عف بطنه وفرجه وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه)، ويروي الامام الصادق (ع) قال: (خرجت انا وابي حتى اذا كنا بين القبر والمنبر اذا هو باناس من الشيعة فسلم عليهم ثم قال من كلام: واعلموا ان ولايتنا لا تنال الا بالورع والاجتهاد من ائتم منكم بعبدٍ فليعمل بعمله)، وقال (ع): (اوصيكم بتقوى الله واداء الامانة لمن ائتمنكم وحسن الصحبة لمن صحبتموه وان تكونوا لنا دعاة صامتين)، ولما سأله احدهم مستغربا: يا ابن رسول الله كيف ندعوا الى الله ونحن صامتون، فقال (ع): (تعملون بما امرناكم به من طاعة الله وتعاملون

الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الا على خير، فاذا رأوا ما انتم عليه علموا فضل ما عندنا فعادوا اليه).

ومجتمعنا اليوم يتعرض لحملة عالمية منظمة مدعومة بأحدث التقنيات والوسائل الاعلامية كالصحف والمجلات والتلفزيون والستلايت من اجل سلخه عن عقيدته وأخلاقه وإعادته إلىالجاهلية التي استنقذهم الله تبارك وتعالى منها، فلكي نحافظ على هويتنا الاسلامية في العقيدة والسلوك علينا ان نحشد طاقاتنا ونبتكر الاساليب والوسائل المناسبة لتلك الحملة المنظمة فنعرف بعناصر شخصية المسلم ومعالمه التي تميزه عن غيره وقد كتبت بحثاً بعنوان: (عناصر شخصية المسلم في آثار أهل البيت (ع)) ونشر في كتاب (نحن والغرب).

الثالثة: الوقوف في وجه التيارات الفكرية التي تنشأ من داخل المجتمع المسلم أو تفد عليه من الخارج والتي تهدد عقيدة الامة او سلوكها فعندما نشأت شبهة القول بالجبر وأن الله قد قهر العباد على افعالهم وساهمت السلطات الحاكمة على ترويجها لتبرير ظلمهم للعباد وقف الامام (ع) بحزم لتفنيدها وخصص عدداً من اصحابه للحوار والجدال وانتشرت كلمته التي تعبر باختصار عن مذهب اهل البيت (ع) وهي: (لا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين أمرين)، وكذا واجه حملات الالحاد وإنكار الصانع لهذا الكون وقد تبناها عدد من الزنادقة والدهريين وكانوا يصرحون بها ويدافعون عنها ويطلبون من يناظرهم فيها ويستغلون موسم الحج لنشر ضلالاتهم وتسفيه عقائد المسلمين في شعائر الحج وكان الامام الصادق (ع) يقف لهم بالمرصاد فيفحمهم ويرد كيدهم الى نحورهم وينصر المؤمنين ويشد على قلوبهم ويعزز ايمانهم.

وكذا وقف بقوة ضد الفقهاء الذين بدأوا العمل بالقياس لاستنباط الاحكام الشرعية وحذرهم مغبة عملهم وقال لهم: (إياكم ان يقف الناس يوم القيامة فيقولون قال الله ورسوله وتقولون قسنا ورأينا)، وقال لهم: (اذا قيست السنة محق الدين)، واثبت بطلان العمل بالقياس بموارد ثابتة من الفقه وتخالف اقيستهم ولولا هذه الوقفة الشجاعة لكانت الاحكام الشرعية الآن مخالفة تماماً لما اراده الله ورسوله بحيث تؤدي الى محق الدين كما عبر الامام (ع) وتأسياً بالامام (ع) فيجب على العلماء والمفكرين والمثقفين التصدي للشبهات والتيارات الفكرية والاجتماعية التي تهدد كيان الامة كالالحاد، وانكار الخالق، والقول بالصدفة او الطبيعة، وكالعلمانية، ودعوات تحرير المرأة التي لا تعني الآ تدمير اخلاق المجتمع تحت هذه العناوين البراقة الخادعة ومثل

دعوات التغريب التي يراد منها إلحاق المجتمع الشرقي المسلم بالغربي بجميع انماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية رغم البون الواسع في مرتكزات كل منهما .

الرابعة: التصدي لتصحيح التصرفات المنحرفة التي تنشأ عن جهل فمنها ما روي عن الامام الصادق (ع) انه قال: (قوله عز وجل: اهدنا الصراط المستقيم يقول: ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ الى جنتك من ان نتبع اهوائنا فنعطب ونأخذ بآرائنا فنهلك فان من اتبع أهواءه واعجب برأيه كان كرجل سمعت غثاء الناس تعظمه وتصفه فاحببت لقاءه من حيث لا يعرفني لانظر مقداره ومحله فرأيته في موضع قد أحدق به جماعة من غثاء العامة فوقف منتبذاً عنهم متغشياً بلثام انظر اليه واليهم فما زال يرواغهم حتى خالف طريقهم وفارقهم) الى ان يقول: (فلم يلبث ان مر بخباز فتغفله فاخذ من دكانه رغيفين مسارقة، ثم مر بعده بصاحب رمان فمازال به حتى تغفله فاخذ من عنده رمانتين مسارقة، ثم لم ازل اتبعه حتى مر بمريض فوضع الرغيفين والرمانتين بين يديه) فسأله الامام (ع) عن سر فعله هذا فاتهمه بجهله للقرآن يقول الامام (ع): قلت : (وما الذي جهلت ؟) قال: قول الله عز وجل: (من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها) واني لما سرقت الرغيفين كانت سيئتين، ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين فهذه اربعة سيئات، فلما تصدقت بكل واحدة منها كانت اربعين حسنة ، انقص من اربعين حسنة اربعة سيئات بقي ستة وثلاثين، قلت: ثكلتك امك! أنت الجاهل بكتاب الله اما سمعت قول الله عز وجل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)[1] ، انك لما سرقت رغيفين كانت سيئتين ولما سرقت الرمانتين كانت سيئتين ولما دفعتهما من غير رضا صاحبها كنت انما اضفت اربع سيئات الى اربع سيئات ولم تضف اربعين حسنة الى اربع سيئات فجعل يلاحيني فانصرفت عنه وتركته).

وكم يوجد مثل هذا الرجل في زماننا وكل زمان حيث يقومون بافعال يضنون انها تقربهم الى الله تعالى وهي لا تزيدهم منه الا بعداً او يحرصون على فعل المستحبات ويتركون الواجبات كالذي ينفق ماله في اقامة الولائم على حب اهل البيت(ع) وهو لا يدفع ما بذمته من الحقوق الشرعية وهو بذلك يسرق حقوق مستحقيها.

---

(١)المائدة: من الآية٢٧.

الخامسة: حرصه (ع) على وحدة المسلمين والتأليف بين قلوبهم فرغم انه (ع) وأهل بيته ظلموا وغصبت حقوقهم الا انه لم يثر فتنة وسلم لهم من اجل ان تسلم امور المسلمين كما قال جده امير المؤمنين (ع): (لقد علمتم اني احق الناس بها من غيري ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا عليّ خاصة التماساً لاجر ذلك وفضله زهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه).

وضربوا (ع) لذلك مثلاً في امرأتين تنازعتا في ولد كل واحدة تقول هو لي، وتحير الخليفة الثاني في حل النزاع فالتجأ الى امير المؤمنين(ع) فما كان منه (ع) الا ان دعا بسيفه وقال: سأقطع الولد نصفين لكل واحدة نصف مراعاة للعدل والانصاف فصاحت ام الولد الحقيقية : لا تفعل يا امير المؤمنين واحفظ الولد سالماً ولتأخذه المرأة الأخرى فقال لها (ع): انت امه الحقيقية ودفعه اليها فكان كل امام يشعر انه ام الولد وعليه ان يضحي حفاظاً لسلامة كيان الامة من التمزق والتشتت وكان الامام الصادق (ع) يقول: (ولدني ابو بكر مرتين)(١) تأليفاً لقلوب العامة .

السادسة: الاهتمام بامور المسلمين وقضاء حوائجهم ومساعدة ضعفائهم بحيث يصل الى درجة التعبير عمن لم يهتم بامور المسلمين لانه ليس منهم وكان الامام الصادق (ع) يطوف بالبيت الحرام فجاء رجل الى احد اصحابه طالبا منه قضاء حاجته فأجله الى حين انتهاء الطواف فلم يرض الامام (ع) عليه وطلب منه قطع الطواف حتى يقضي حاجة اخيه المؤمن ويعود الى طوافه. ومر المعلى بن خنيس وهو من خواص اصحاب الامام(ع) بمسلمين يتنازعان على مال فدفع منه مالاً يرضيهما ولما استغربا من عظيم صنعه قال: والله ليس هو من مالي وانما وضعه عندي سيدي ومولاي جعفر بن محمد للمساعدة في اصلاح الخلافات بين المؤمنين وحل نزاعاتهم .

المواقف السياسية للامام الصادق (ع)

---

(١) فامه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وكانت في غاية الجلالة والكرامة بحيث قيل للامام الصادق (ع): ابن المكرمة، وكانت من اتقى نساء زمانها وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر، (معجم رجال الحديث: ١٤ / ٤٩، ومنتهى الآمال مج/ ٢).

شهدت الفترة الاخيرة من الدولة الاموية اجتماعات عديدة كان يعقدها العلويون والعباسيون لاعلان الثورة وقد حاولوا اقناع الامام (ع) بالانضمام اليهم الا ان الامام (ع) كان يبين موقفه بوضوح باننا لسنا طلاب دنيا وليس لنا مطامع في السلطة وانما نريد الاصلاح وتهذيب النفوس وتكاملها ورقيها وهو ما يجب ان نعمل لاجله ومن دون وصول الامة الى مستوى رفيع من التربية الايمانية لا يمكن ان تنجح فيهم سيرة الامام (ع) في الحكم بين الناس وعندما كتب اليه ابو سلمة الخلال احد قادة جيوش العباسيين التي اطاحت بالامويين يعرض عليه الدعوة اليه بعدما تكشفت له نوايا القوم بالاستئثار بالسلطة دون العلويين قال الامام (ع): ما لي ولابي سلمة وهو شيع لغيري ثم قال لخادمه: ادنو مني السراج فدناه منه فوضع الكتاب على النار حتى احترق بكامله والرسول ينظر اليه فقال له الامام(ع): هذا جواب كتابه ، ولما جاء ابو مسلم الخراساني قائد جيوش العباسيين يعرض عليه تسليم الامر بعدما احس بخيانة العباسيين الذين بنوا حركتهم على الدعوة الى الرضا من آل محمد (ص) قال (ع): لست من رجالي ولا الزمان زماني فالتصدي للسلطة عند الامام (ع) وسيلة لاحقاق الحق واقامة شريعة الله تبارك وتعالى وليست شهوة وغاية في نفسها فلذا نأى بنفسه عن الخوض في هذه الحياة بل تركها لأهلها الذين رضوا بهذه الدنيا الدنية ثمناً لدخولهم نار جهنم وتفرغ هو لبناء النفس المطمئنة والقلب السليم والمجتمع الاسلامي النظيف ولكنه (ع) كان يرى ان بعض الثورات كانت تنطلق بين حين وآخر بقيادة العلويين كزيد الشهيد وبني الحسن(ع) كانت مخلصة وضرورية لابقاء ارادة الامة حية وتعميق ادامة رفض الظلم والظالمين وهو (ع) وان لم يتبناها بشكل مباشر وحرص على ان لا يدان بشيء متصل بها الا ان تعاليمه وخطه الفكري والتربوي والاخلاقي كان يصب في اشعال هذه الثورات لذا كانت السلطات تعتبره المرشد لها وكان (ع) يقول: (لا زال الدين بخير ما خرج الخارجي من آل محمد)، اي الثوار الرافضون لظلم الطواغيت ويقول: (لوددت ان الخارجي من آل محمد خرج وعليه نفقة عياله) فهو وان لم يكن يرى ان المقاومة المسلحة هي الحل الامثل لبناء الامة الا انه يراها قوة له وتصب في مصلحة الاسلام العليا، وكتب (ع) رسالة تفصيلية الى عبد الله المحض واخوته واولاده وبني عمومته من بني الامام الحسن (ع) بعد ان اعتقلهم المنصور العباسي في الهاشمية للضغط على ولد عبد الله محمد النفس الزكية وابراهيم احمر العينين حتى يتركا الثورة ويستسلما وضمّن الرسالة كل معاني

المواساة والصبر والمصابرة والتسلية، وحينما قتل قائد شرطة الوالي العباسي على المدينة مولاه المعلى بن خنيس قصد مقر السلطة بنفسه على غير عادته وطالب بالاقتصاص من القاتل وبعد محاولات عديدة للتخلص من الموقف قابلها الامام (ع) بالاصرار على اقامة العدل استسلم الوالي وقدم الجاني للقصاص.

بهذه النشاطات الكبيرة والمتعددة التي كان يؤديها الامام (ع) ينجح في ادامة الروح الدينية في الامة وتوعيتها وبناء الاسس الرصينة لشخصيتها لذا حضي بتقدير الامة بجميع طبقاتها وصدرت منه اعلى كلمات الثناء والاطراء قال مالك بن انس احد أئمة المذاهب: (ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعاً) ، وقال فيه ابو حنيفة: (ما رأيت افقه من جعفر بن محمد)، وقال ابن ابي العوجاء عندما قصد الامام (ع) ليناظره وقد قال له الامام (ع) : (ما يمنعك من الكلام) فقال له : (اجلالا لك ومهابة منك ولا ينطق لساني بين يديك واني شاهدت العلماء وناظرت المتكلمين فما تداخلني من هيبة احد منهم مثلما تداخلني من هيبتك يا ابن رسول الله). وكان المنصور على شدة عداوته للامام (ع) يقول: ان جعفر بن محمد من السابقين بالخيرات ومن الذين اصطفاهم الله من عباده واورثهم الكتاب.

الفهارس

(فهرس ورود اسماء المعصومين (ع) في الكتاب)

رسول الله (ص) ١٠، ١٤، ٥٧، ٦٣، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٧، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٦٤، ٣٧٧.

الامام علي بن ابي طالب امير المؤمنين(ع) ١٧، ١٩، ٢٨، ٤٨، ٥٥، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٦، ١٧٧، ١٨١، ١٩١، ١٩٦، ١٩٨،

٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢١، ٢٢٤،
٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٢،
٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١،
٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٧،
٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٣، ٣٠٧،
٣١٠، ٣١١، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١،
٣٣٣، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٩، ٣٦٩، ٣٧٧.

السيدة فاطمة الزهراء I ٤٥، ٤٨، ٦٥، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٩٩، ١٤٥، ١٨٧،
٢٠١، ٢١٧، ٢٧٩، ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٧،
٣١٨، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١،
٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٧٦.

الامام الحسن بن علي (ع) ٣٢، ٥٩، ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٤، ٩٤، ١١٢، ١١٩،
١٣٥، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٢، ١٧٤، ١٩٦، ٢٠٣،
٢١٤، ٢١٦، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٨،
٢٥٣، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٨،
٣٠٠، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤،
٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٧١، ٣٧٢.

الامام الحسين بن علي (ع) ١٩، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٤،
٧٠، ٧٧، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١١٣،
١١٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٦، ١٨١، ١٨٥،
١٩٤، ١٩٧، ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١،
٢٤٢، ٢٤٩، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢،
٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٣، ٣٠١،
٣٠٣، ٣١١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥،
٣٣٦، ٣٤١، ٣٥٢.

الامام علي بن الحسين السجاد(ع)	١٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٦، ٩٠، ٩٦، ٩٨، ١١٣، ١١٤، ١١٩، ١٢١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٩، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٤٢، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١ .
الامام محمد بن علي الباقر(ع)	١٩، ٢١، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٣، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٨٠، ٩٥، ٩٨، ١٠٠، ١١٥، ١٢٤، ١٢٩، ١٤٦، ١٤٨، ١٦٣، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٨، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٩، ٢٥١، ٢٧٤، ٢٨٥، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٧٣، ٣٦١ .
الامام جعفر بن محمد الصادق(ع)	٢٦، ٣٢، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٧، ٤٩، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٦، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٩٢، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٦، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٦، ١٦١، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٣، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٤، ٣٦٣،

٣٦٥، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٩،

الامام موسى بن جعفر الكاظم(ع) ١٠، ٣٢، ٣٤، ٣٩، ٦٣، ٦٥، ٨٥، ١٠٢، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٤، ١٩١، ١٩٢، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٤٣، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٨، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤.

الامام علي بن موسى الرضا(ع) ٤١، ٤٥، ٤٦، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٨٠، ٩١، ١٠٤، ١١١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٥، ١٨٤، ١٨٥، ١٩١، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٠، ١٦٤، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٩

.

الامام محمد بن علي الجواد(ع) ٣١، ٤١، ٦٥، ٧٥، ٨٠، ١٢٣، ١٧٣، ١٩٥، ٢١١، ٢٢٢، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠.

الامام علي بن محمد الهادي(ع) ٤٦، ٦٥، ٧٤، ٩١، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١١، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٤، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥.

الامام الحسن بن علي ٣٦، ٩١، ١٣٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤،

العسكري(ع) ١٦٨، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣١٦، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦ .

الامام الحجة المهدي المنتظر (عج) ٨٥، ١٠١، ٢٠٤، ١٠٥، ١٠٩، ١٦٨، ٢١٢، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٩٤، ٣٠٢، ٣٠٩، ٣٥٥ .

(فهرس المصادر)

١ - القرآن الكريم.

٢ - نهج البلاغة .

٣ - المناقب للخوارزمي .

٤ - مقاتل الطالبيين.

٥ - الكافي .

٦ - الانساب للبلاذري .

٧ - النص والاجتهاد للسيد شرف الدين.

٨ - نحن والغرب.

٩ - الميزان في تفسيرالقرآن.

١٠ - منهاج الصالحين.

١١ - منتهى الآمال للشيخ عباس القمي.

١٢ - منتهى الآمال للشيخ عباس القمي.

١٣ - مناقب آل ابي طالب.

١٤ - الملل والنحل.

١٥ - مقتل الحسين للمقرم.

١٦ - مفاتيح الجنان.

١٧ - معجم رجال الحديث.

١٨ - مستند العروة الوثقى.

١٩ - مستدرك الوسائل.

٢٠ - مراقد المعارف.

٢١ - المراجعات للسيد شرف الدين.

٢٢ - المحجة البيضاء للكاشاني.

٢٣ - مجلة دراسات اسلامية.

٢٤ - مجلة الإيمان.
٢٥ - الكشكول للبهائي.
٢٦ - الكافي للكليني.
٢٧ - الغدير للأميني.
٢٨ - علل الشرائع.
٢٩ - عقيدة الشيعة في الامام الصادق.
٣٠ - ضياء الصالحين.
٣١ - صفات الشيعة للصدوق.
٣٢ - الشيعة والتشيع.
٣٣ - شكوى القرآن.
٣٤ - شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد.
٣٥ - الشافي في شرح اصول الكافي.
٣٦ - الشافي.
٣٧ - سيرة الائمة الاثني عشر.
٣٨ - وسائل الشيعة.
٣٩ - السيدة سكينة للمقرم.
٤٠ - السقيفة والخلافة.
٤١ - سفينة البحار.
٤٢ - زينب الكبرى للشيخ جعفر النقدي.
٤٣ - زبدة الافكار.
٤٤ - روضات الجنات.
٤٥ - الدر النظيم.
٤٦ - حديث الروح مع الشهيد الصدر.
٤٧ - جامع السعادات.
٤٨ - التقية اصولها وتطورها للشيبي.

٤٩- تجاربي مع المنبر للشيخ الوائلي.
٥٠- تاريخ دمشق.
٥١- تاريخ الغيبة الكبرى.
٥٢- تاريخ الغيبة الصغرى.
٥٣- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام للسيد حسن الصدر.
٥٤- البداية والنهاية.
٥٥- البحار .
٥٦- اهل البيت تنوع ادوار ووحدة هدف.
٥٧- الانوار البهية للشيخ عباس القمي.
٥٨- اعيان الشيعة.
٥٩- الاعلام للزركلي.
٦٠- اصول الفقه للمظفر.
٦١- الاصول العامة للفقه المقارن.
٦٢- الارشاد للشيخ المفيد.
٦٣- احياء علوم الدين.
٦٤- الاحتجاج.
٦٥- اثبات الوصية.
٦٦- أمالي الصدوق.
٦٧- تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة للفياض.
٦٨- الكامل في التاريخ لابن الاثير.
٦٩- حياة الائمة لعادل الاديب.

(فهرس المحتويات)

تقريض سماحة آية الله الشهيد السيد محمد الصدر ٣
المقدمة والتعريف بالكتاب ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٥
بسم الله الرحمن الرحيم ١١
ما هو الدور المشترك للائمة (ع) ١٦
الايجابية تتكشف في علاقات الائمة(ع) بالامة ٢٦
الايجابية تتكشف في علاقة الائمة(ع) بالحكام ٣٣
هل كان الائمة يحاولون استلام الحكم ٣٤
رعاية الشيعة بوصفها الكتلة المؤمنة بالامام (ع) ٣٥
(دراسة حياة الأئمة (ع) بنظرة كلية) ٤٣
(الأدوار المشتركة للأئمة(ع) في حياة الأمة) ٤٩
المحور الاول: دورهم (ع)في حياة الامة عموماً ٤٩
(الاولى): تموين الامة بالعلم والعقيدة والفكر وشخصيتها الاسلامية الاصيلة. ٤٩
(الثانية): مقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطرا على الرسالة. ٥٥
(الثالثة): مواجهة المشاكل والتحديات التي تواجه كيان الامة ودولتها: ٦٢
(الرابعة): تثبيت حقهم(ع) في ولاية امر الامة وحفظه من الضياع. ٦٧
(الخامسة): المحافظة على وحدة المسلمين. ٧٣
(السادسة): معايشة آلام الامة وآمالها والاهتمام بما يجري للقاصي والداني. ٧٩
(السابعة): تحذير الأمة من الممارسات الخاطئة في فهم وتطبيق الاسلام. ٨٤
(الثامنة): توفير بعض خريجي مدرستهم ممن لم يصبغوا بطابع الانتماء لهذه المدرسة. ٩٤
(التاسعة): تربية الأمة على اخلاق الاسلام والالتزام بتعاليمه. ٩٥
(العاشرة): قيادة الحركات الاصلاحية التي تستهدف تغيير الواقع الفاسد ٩٩
(الثانية عشرة): الاهتمام بوظيفة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٠٧

المحور الثاني: رعاية الشيعة خصوصاً..... ١١٦
(الاولى): تنظيم شؤونهم الداخلية من خلال عدة امور: ١١٦
(الثانية): توجيه علاقاتهم مع الحكام : ١٢٤
(الثالثة): تشريع التقية ١٢٩
(الرابعة): مقاومة التيارات الفكرية..... ١٣٢
(الخامسة): رسم علاقاتهم مع الأمة. ١٣٥
(السادسة): وضع منهج حياتي متكامل لهم ١٤٠
(السابعة): توفير ما يشبه الصندوق المالي ١٤٢
(الثامنة): صيانة حقوق الشيعة وأرواحهم وممتلكاتهم ١٤٢
(التاسعة): توفير عدد من خريجي مدرستهم ١٤٣
(العاشرة): تعيين الإمام ١٤٤
(الحادية عشرة): تسهيل سبل الاتصال بشيعتهم..... ١٥٢
(الثانية عشرة): تفهيمهم المعنى الحقيقي للتشيع وصفات الشيعي..... ١٥٥
(الثالثة عشرة): الاشراف المباشر او تاليف لجنة للاشراف ١٥٨
(الرابعة عشرة): حفظ الشيعة والتخطيط لحمايتهم..... ١٥٨
(الخامسة عشر): النهي عن المبالغة في نقل المناقب والكرامات:..... ١٥٩
(السادسة عشرة): تهيئة الاذهان لقبول الافكار الجديدة..... ١٦١
(السابعة عشرة): تحميل كل شخص المسؤوليات حسب درجته وقابلياته النفسية والتربوية .
..... ١٦٣
(الثامنة عشرة): الثناء عليهم والاشادة بهم وبيان عظيم منزلتهم. ١٦٤
(التاسعة عشرة): الدعاء لهم في ظهر الغيب ١٦٦
المحور الثالث: علاقتهم (ع) مع الحكام ١٧٠
(الجهة الاولى): علاقتهم(ع) بالحكام..... ١٧٠
(الاولى): ايقاف الحاكم عن المزيد من الانحراف ١٧٠
(الثانية): تعرية الزعامة المنحرفة اذا شكلت خطراً..... ١٧١

(الثالثة): التنديد بجرائم السلطات واستنكار جرائمها. ١٧٣
(الرابعة): قول كلمة الحق في وجوههم بارادة صلبة لاتلين وقوة نفسية. ١٧٥
(الخامسة): مسايرة الحكام ما داموا في خط الاسلام في الجملة واسداء النصيحة لهم .١٧٨
(السادسة): عدم الركون اليهم ورفض ولايتهم وعدم مداهنتهم مما يؤدي الى امضاء انحرافهم. ١٧٩
(السابعة): التعاون معهم في مجابهة المشاكل التي تهدد كرامة الدولة وتعجز الزعامات عن حلها وتهدد سياسة الدولة. ١٨١
(الثامنة): الحذر من اعطاء أي ذريعة للوقيعة بهم ١٨٢
(التاسعة): مواجهة المؤامرات التي تقوم بها السلطات. ١٨٧
(العاشرة): دعم وتاييد الحركات المسلحة كآخر اسلوب لردع الحكام.....١٩٠
الجهة الثانية: علاقة الحكام بهم.....١٩٢
المحور الرابع: هل كان الائمة (ع) يحاولون استلام الحكم.....٢٠٨
الملحق (١) موجز تواريخ الائمة(ع) :.....٢٣٦
الإمام الاول: امير المؤمنين علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم(ع) ٢٣٦
الإمام الثاني: الحسن بن عليH ٢٣٩
الإمام الثالث: الحسين بن عليH ٢٤٠
الإمام الرابع: علي بن الحسينH ٢٤٢
الإمام الخامس: محمد الباقر(ع) ٢٤٤
الإمام السادس: ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق(ع) ٢٤٦
الإمام السابع: ابو الحسن موسى بن جعفر(ع) ٢٤٨
الإمام الثامن: ابو الحسن علي بن موسى الرضا(ع) ٢٥٠
الإمام التاسع: ابو جعفر محمد بن علي الجواد(ع) ٢٥٢
الإمام العاشر: ابو الحسن علي بن محمد الهادي(ع) ٢٥٤
الإمام الحادي عشر: ابو محمد الحسن بن علي العسكري (ع) ٢٥٦

الإمام الثاني عشر: الحجة ابن الحسن المهدي الموعود (ع) ٢٥٨
الملحق (٢) نماذج تطبيقية للدراسة: ٢٦٠
١- (ماذا نستفيد من حياة الامام السجاد (ع) في مرحلتنا الراهنة) [1] ٢٦٠.
٢- (صور من نشاط الامام الصادق (ع)) ٢٦٣
المواقف السياسية للامام الصادق (ع) ٢٦٧
(فهرس ورود اسماء المعصومين (ع) في الكتاب) ٢٧٣
(فهرس المصادر) ٢٧٨
(فهرس المحتويات) ٢٨١